الذنوب الكبيرة

سماحة المجاهد آية الله
السيد عبد الحسين دستغيب شيرازي

ترجمة
صدر الدين القباني

مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر
شارع فارس - حمص
تلفون ٢٤٥٦٨

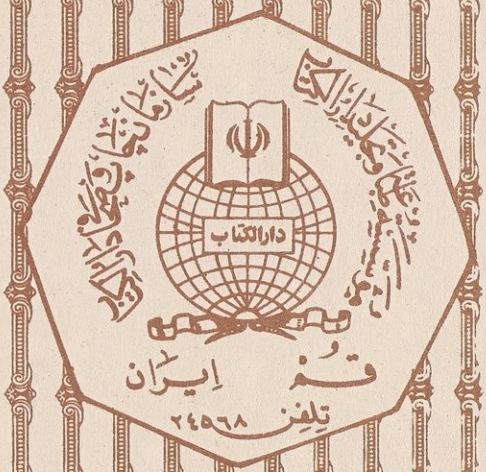
دارالکتاب
قم ایران
تلفن ۲۴۵۶۸

Princeton University Library
32101 063449845

(SK) BP166.75.D3712 qism 2
Dastghayb, Abd al-Husayn
al-Dhunub al-kabirah.

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

A. Dast'ghayb

الذنوب الكبيرة

شهيدالمحراب آيةا... السيد
عبدالحسين دستغيب شيرازى

ترجمة
صدرالدين القبانچى

القسم الثانى

مطبعة مهر ـ قم

(SA)
BP166
.25
.D3712
gism 2
(RECAP)

مشخصات :
الاسم : الذنوب الكبيره
المؤلف : شهيدالمحراب آيةا... دستغيب
المترجم : صدرالدين القبانچی
الناشر : دارالكتاب
المطبعة : سازمان چاپ مهر
الحروف : لاينوتايپ مهر
العدد : ١٥٠٠ نسخه
التاريخ : صيف ١٤٠٤ هـ

32101 0003011868

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٦)

حبس الحقوق

السادس والعشرون من الكبائر المنصوصة (حبس الحقوق) من دون عسر.

يعنى اذا كان لأحد حق فى ذمة الغير. وطالبه بحقه، وكان ذلك الشخص قادراً، ومع ذلك لم يؤد الحق، فانه بذلك يرتكب ذنباً كبيراً.

كما أن رواية الاعمش عن الامام الصادق(ع) وهكذا رواية الفضل بن شاذان عن الامام الرضا(ع) عدت ذلك فى عداد الكبائر حيث يقول(ع): «وحبس الحقوق من غير عسر».

عن الامام الصادق(ع) أنه قال:

«من حبس حق المؤمن أقامه يوم القيامة خمسمأة عام على رجليه حتى تسيل عرقه أودمه(١) وينادى مناد من عند الله، هذا الظالم الذى حبس عن الله حقه. قال(ع): فيوبخ أربعين يوماً ثم يؤمر به الى النار»

١ــ ذكر العلامة المجلس فى معنى هذا الحديث أنه اذا كان ظلمه قليلاً جرى عرقه، واذا كان ظلمه كثيراً جرى دمه. (مرآت العقول) ٣٦١.

ويقول أيضاً أن هذه الجملة تدل على أن حق المؤمن حق الله بسبب كمال قربه الى الله، أو بسبب أن الله أمر بذلك الحق، أو أمر بأدائه.

ـالكافىـ «والموبخون هم المؤمنون أو الانبياء».

وقال(ع) :

«اذاكان يوم القيامة نادى مناد، أين الصدود لأوليائى؟

فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم فى دينهم ثم يؤمر بهم الى جهنم».

وقال(ع): «كانوا والله الذين يقولون بقولهم ولكنهم حبسوا حقوقهم وأذاعوا عليهم سرهم» ـ وسائل الشيعة ـ أحكام العشرة

وقال(ع): «أيما مؤمن حبس مؤمناً عن ماله وهو يحتاج اليه لم يذق والله من طعام الجنة، ولايشرب من الرحيق المختوم ـ بحار الانوار ـ

المطالبة بالحقوق يوم الحشر :

عن الامام السجاد(ع) أنه قال:

«يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الاشهاد :

ألا من كان له قبل هذا حق فليأخذه .

ولاشىء أشد على أهل القيامه من أن يروا من يعرفهم، مخافة أن يدعى عليه شيئاً» لئالى الاخبار / ٥٤٨

ولعل الى ذلك تشير الآية الشريفة :

«يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه» السورة ٨٠ / ٣٤ ـ ٣٦ اى من خوف مطالبتهم بحقوقهم .

المفلس الحقيقى :

قال رسول الله(ص) لاصحابه :

«أتدرون من المفلس؟

قالوا: المفلس فينا من لادرهم ولامال ولامتاع له، قال(ص): ان المفلس من أمتى من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج ويأتى قدشتم هذا،وأكل مال هذا، وهتك دم هذا،وضرب هذا، فيؤتى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فأن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياه عليه ثم يطرح فى النار». ـ بحارالانوار ـ

موارد حبس الحقوق

الدين :

الدين هومال كلى لشخص يثبت فى ذمة شخص آخر بسبب من الاسباب مثل أن يقترض منه فيصبح المبلغ ثابتاً فى ذمة المقترض ليدفعه الى الدائن.

ومثل الجنس الذى يبيعه سلفاً فتصير ذمته مشغولة للمشترى بذلك الجنس يدفعه اليه فى موعده .

ومثل الثمن فى بيع (النسيئة) حيث يجب عليه أن يدفع ثمن الجنس الى البائع. ومثل مال الاجارة فان المستأجر مدين لصاحب الملك، وهكذا مهر الزوجة الذى يكون فى ذمة الزوج، وهكذا نفقة الزوجة الدائمية، وكذلك سائر أنواع الضمان المذكورة فى الكتب الفقهية وفروعها كثيرة .

ويناسب هنا أن نشير الى بعض المسائل الهامة :

الدين مع الأجل وبدون أجل :

الدين على قسمين :

حال : وهو الدين الذى لامدة له، أوالذى كانت له مدة فانتهت.

ومؤجل: وهو الدين الذى له مدة .

وفى الدين المؤجل لايحق للدائن المطالبة بحقه قبل تمام المدة، نعم اذامات المديون صار دينه حالاً.

مثال ذلك اذاكان لأحد على الآخر ديناً يجب دفعه اليه على رأس السنة، ولكنه مات قبل حلول هذا الموعد، فهنا يجب دفع الدين من ماله قبل تقسيم الارث، ولايحق للورثة أن يقولوا بان مدة الدين لم تنته بعد، نعم اذامات الدائن، وكان للدين مدة، هنالايستطيع الورثة أن يطالبون بالدين قبل انتهاء المدة.

يجب دفع الدين :

اذالم يكن للدين أجل، وطالب به الدائن، وجب على المدين اداؤه فوراً وبأية وسيلة كانت، حتى اذا اقتضى الأمر أن يبيع بعض مالديه مما هوزائد عن حاجته المعيشية، وحتى لوكان بأقل من القيمة فيجب عليه بيعه وأداء الدين. اللهم الااذاكان يراد شراؤه بثمن قليل جداً بحيث يعتبر بيعه به عند العرف اتلافاً وتضييعا فلايبعد فى هذه الصورة أن لايجب على المدين بيعه .

وهكذا اذالم يكن لديه مايبيعه كالفرش واللباس وأثاث المنزل والدكان وغير ذلك، فيجب عليه أن يعمل ليؤدى دينه، أى أنه يجب عليه ـ من أجل الوفاء بدين الدائن مع مطالبته به ـ أن يعمل أجيراً، أو يشتغل بكسب آخر يليق بحاله ولايوقعه فى حرج، ومن خلال هذا العمل يؤدى دينه .

وبنحو عام يجب على المدين أن يؤدى دينه، ويحرم عليه التماهل فيه، وحبس الحق من الذنوب الكبيرة، ولايلزم على المدين أن يبيع اللوازم الحياتية التى لايستغنى عنها، كالمنزل الذى يسكن فيه ـ ان لم يكن زائداً عن حاله وشأنه ـ وكذلك اللباس والفرش والآوانى وسائر

الامور التى لايستغنى عنها فى حياته بنحو لوأراد بيعها لوقع فى مشقة وصعوبة، وأوجب ذلك انتقاصه، فمثل هذه الامور لايلزمه بيعها، كما لايحق للدائن أن يجبره على بيعها .

نعم يجوز للمدين أن يتحمل المشقة ويبيعها ويؤدى دينه، كما يحق للدائن فى هذه الصورة أن يأخذ دينه، لكن يجدر به أن لايرضى بوقوع المدين فى الحرج والمشقة ببيع لوازمه الحياتية، يجدر به أن يمهله حتى يفرج الله له، حتى اذاكان المديون راضياً .

روى عن عثمان بن زياد عن الامام الصادق(ع) :

قال: قلت رجل لى عليه دراهم وكانت داره رهناً فأردت أن أبيعها؟

قال(ع): أعيذك بالله أن تخرجه من ظل رأسه» ـ وسائل الشيعة ـ كتاب الدين ـ وبهذا المضمون وردت عدة احاديث .

ويروى ان محمد بن أبى عمير (وهو من خواص أصحاب الامام موسى بن جعفر، والامام الرضا والامام الجواد عليهم السلام) كان رجلا بزازاً، فذهب ماله وافتقر، وكان له على رجل عشرة آلاف درهم ، فباع داراً له كان يسكنها بعشرة آلاف درهم، وحمل المال الى بابه، فخرج اليه محمد بن أبى عمير، فقال : ماهذا؟

فقال : هذا مالك الذى لك على .

قال : ورثته ؟

قال : لا

قال : وهب لك ؟

فقال : لا

فقال : هو ثمن ضيعة بعتها ؟

فقال : لا

فقال : ماهو ؟

فقال : بعت داری التی أسکنها لأقضی دینی .

فقال محمدبن أبی‌عمیر : حدثنی ذریع المحاربی عن أبی عبدالله(ع) :

قال : لایخرج الرجل من مسقط رأسه بالدین، ارفعها فلاحاجة لی فیها،، وانی لمحتاج فی وقتی هذا الی درهم واحد، وما یدخل ملکی منها درهم واحد» ـ الوسائل ـ الدین ـ

والسبب فی فقر هذا الرجل مع أنه کان یملك خمسمائة الف درهم هو أنه نتیجة علاقتة بالامام موسی‌بن‌جعفر(ع) ألقی القبض علیه، وضرب ضرباً مبرحاً، وحبس مدة اربعة‌اعوام‌وأخذ کل‌مالدیه، رحمة الله ورضوانه علیه .

لابد من وفاء الدین :

عن‌جعفر بن محمد(ع) عن‌آبائه عن‌النبی(ص) فی حدیث‌المناهی أنه قال (ص) :

«من مطل علی ذی‌حق حقه، وهو یقدر علی أداء حقه فعلیه کل یوم خطیئة عشار»

ـ وسائل الشیعة/کتاب التجارة ـ

وعن الامام‌الباقر(ع) أنه قال :

«کل ذنب یکفره القتل فی سبیل‌الله الاالدین، لاکفارة له الا أدائه أویعفو الذی له الحق» ـ وسائل الشیعة ـ

وعنه(ع) أنه قال :

«أول قطرة من دم الشهید کفارة لذنوبه الاالدین‌فان کفارته قضائه» ـ وسائل‌الشیعة ـ

ویکفی لأهمیة هذاالمطلب أن‌رجلاً من‌الأنصار مات وعلیه دیناران

دينا، فلم يصل عليه النبى (ص)، وقال صلوا على صاحبكم حتى ضمنها عنه بعض قرابته».

وقال الامام الصادق (٣) :

«ان رسول الله (ص) انما فعل ذلك ليتعظوا وليرد بعضهم على بعض ولئلا يستخفوا بالدين، وقدمات رسول الله (ص) وعليه دين ، وقتل أمير المؤمنين (ع) وعليه دين، ومات الحسن (ع) وعليه دين ، وقتل الحسين (ع) وعليه دين» ـ وسائل الشيعة / كتاب الدين ـ

وخلاصة المعنى أن كون الانسان مديناً لامذمة فيه وهو أمر جائز، انما الحرام هو التماهل فى أداء الدين .

ويروى عن ابى تمامة قال :

قلت لأبى جعفر (ع) انى اريد أن الزم مكة والمدينة وعلى دين؟

فقال (ع) ارجع الى مؤدى دينك، وانظر أن تلقى الله تعالى و ليس عليك دين فأن المؤمن لايخون» ـ الكافى ـ

عدم رد الدين خيانة وظلم للجميع .

يعلم من هذا الحديث الشريف أن حبس الحق والتسامح فى أداء الدين خيانة، وبناءاً على ذلك يأتى فيه كل ماذكر فى باب الخيانة . وقد عد ذلك فى الحديث النبوى من مصاديق الظلم، حيث يقول (ص):

«مطل المسلم الموسر ظلم للمسلمين» ـ الكافى ـ

اما انه ظلم لشخص الدائن فذلك واضح، واما أنه ظلم لسائر المسلمين فلعله من جهة أنه يكون سبباً فى أن لايقرض باقى المسلمين خوفاً من التساهل فى اداء الدين كمافعل هذا الشخص، أو أن يتلف مالهم .

وبعبارة اخرى أن التسامح فى أداء الدين مع وجود القدرة يسد

باب الخير والمعروف، فلا يجرأ بعد ذلك أحد على أن يقرض الآخر، في حين أن القرض من اكبر الخيرات، وذلك الشخص هو السبب في المنع عنه .

قال الامام الصادق(ع) :

«لعن الله قاطعي سبيل المعروف، وهو الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره» ـ بحار الانوار ـ

وظاهره أن اعطاء القرض احسان، والتسامح في الرد كفران، وسبب لامتناع الآخرين عن ذلك الاحسان .

حكم الأقراض والأقتراض :

في الروايات المعتبرة ذكر ثواب كثير في دفع القرض كما وعدت بعذاب شديد في تركه .

بل في بعض المورد أن دفع القرض واجب، وتركه حرام، وفي بعض الموارد أنه مستحب وتركه مكروه .

اما أخذ القرض فهو مكروه في حالة عدم الحاجة اليه، واما عند الحاجة فكراهته أقل، وشدة الكراهة وضعفها يرتبط بالحاجة شدة وضعفا، فكلما كانت الحاجة أقل ازدادت كراهة الاقتراض، وكلما اشتدت الحاجة كان الاقتراض أقل كراهية.

الى أن ترتفع الكراهة مطلقا، بل يصبح الاقتراض واجبا، فيما اذا توقف عليه أمر واجب مثل حفظ النفس أو العرض. والاحوط لمن لايقدر على أداء الدين أن يقترض ولايجعل نفسه مديناً، الافي صورة الضرورة .

ثواب اعطاء القرض وعقاب تركه :

قال رسول الله(ص) :

«من أقرض مؤمناً قرضاً ينظر به ميسوره كان ماله في يده زكاة وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يؤديه» ـ وسائل الشيعة ـ

وقال (ص) أيضاً :

«من أقرض أخاه المسلم كان له بكل درهم أقرضه مثل جبل أحد من جبال رضوى وطور سيناء حسنات، وان رفق به في طلبه تعدى به على الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير حساب ولا عذاب ومن شكى اليه أخوه المسلم فلم يقرضه حرم الله عليه الجنة يوم يجزى المحسنين» ـ وسائل الشيعة ـ

يجب أن يكون لديه قصد الارجاع :

المديون الذى لا يتمكن من أداء الدين يجب أن يكون من قصده أنه متى ما تمكن من أداء الدين فسوف لا يتسامح فيه، بل ان هذه النية يجب أن تكون لديه منذ البداية، فلو كان من نيته حين الاقتراض أن لا يؤدى الدين كان تصرفه فى ذلك المال حراماً من أول الأمر.

يقول الامام الصادق (ع) :

«من استدان ديناً فلم ينو قضائه كان بمنزلة السارق» ـ وسائل الشيعة ـ

وقال (ع) ايضاً :

«السراق ثلاثة، مانع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو قضائه» ـ خصال الصدوق ـ

وقال (ع) أيضاً :

«من كان عليه دين ينوى قضائه كان معه من الله حافظان يعينانه على الاداء عن أمانته، فان قصرت نيته عن الاداء قصر عنه من المعونة بقدر ما قصر من نيته» ـ وسائل الشيعة ـ

يجب امهال المدين العاجز :

اذا لم يكن المدين قادراً على أداء دينه حتى ببيع مايزيد عن حاجته من أمواله وجب على الدائن اعطائه مهلة حتى يدفع اليه عند التمكن، ويحرم عليه مطالبته وايقاعه فى المشقة والحرج، كما يقول تعالى فى القرآن الكريم :

«وان كان ذوعسرة فنظرة الى ميسرة، وأن تصدقوا خيرلكم انكنتم تعلمون» حيث أنه اذا استرجعه منه كان كسائر الاموال منتهياً، أما اذا عفى عنه وتصدق به فأنه سيكون عند الله أمانة يستفيد منها دائما.

يستفاد من هذه الآية الشريفة أمران :

أحدهما: وجوب الأمهال للمدين العاجز عن الاداء،

والآخر: العفو عن الطلب والصدقة به.

وفى الروايات الكثيرة اشارة لكلا الموضوعين .

يقول رسول الله (ص) :

«وكما لايحل لغريمك أن يمطلك وهو موسر فكذلك لايحل أن تعسره اذا علمت أنه معسر» ـ وسائل الشيعة ـ

ويقول الامام الصادق (ع):

«اياكم واعسار أحد من اخوانكم المسلمين أن تعسروه بشىء يكون لكم قبله وهو معسر، فان أبانا رسول الله (ص) كان يقول: ليس لمسلم أن يعسر مسلماً، ومن أنظر معسراً أظله الله يوم القيامة بظله يوم لاظل الاظله». الوسائل / أبواب الدين

وقال (ع) أيضاً :

«من أراد ان يظله الله فى ظل عرشه يوم لاظل الاظله فلينظر معسراً أوليدع حقه» ـ وسائل الشيعة ـ

وقال الامام الباقر (ع) :

«يبعث يوم القيامة قوم تحت ظل العرش وجوههم من نور، ولباسهم من نور، جلوس على كراس من نور ـ الى أن قال :

فينادى مناد هؤلاء قوم كانوا ييسرون على المؤمنين وينظرون المعسر حتى ييسر» ـ وسائل الشيعة ـ

ثواب صدقة لكل يوم :

روى الكلينى عن الامام الصادق (ع) قال: قال رسول الله (ص):

«من أنظر معسراً كان له على الله فى كل يوم صدقة بمثل ماله عليه حتى يستوفى» ـ وسائل الشيعة ـ

يعنى له بكل يوم يمهله فيه ثواب مالو أخذ المال كله وأنفقه فى سبيل الله.

وفى هذا المجال روايات عديدة، يكفى منها ماتقدم. ضمناً يجب أن يعلم أن من جملة موارد حبس الحقوق عدم أداء الخمس والزكاة أو التساهل فى دفعها، وحيث أن منع الزكاة من جملة الذنوب الكبيرة وردفيه نص خاص، لذا سنكره مستقلاً قريباً ـ ان شاء الله ـ

الله (تعالى) يتلافى :

المستفاد من الروايات أنه اذا مات المدين قبل اداء الدين، ولم يؤخذ الدين من ماله بعدئذ، ولم يعفه صاحب الدين، وكان ذلك فى صورة عدم وجود اى تقصير منه فى دفع الدين، ولم يكن الاقتراض لأجل أمر حرام، ولم يتسامح فى ادائه، بل كان من نيته دفعه اليه، كما لم يكن لديه مال يوصى به، فان الله تعالى سوف يرضى الدائن يوم القيامه من فضله.

كما ورد فى (وسائل الشيعة) أن محمد بن بشر دخل على الامام

الصادق(ع) وكان مديناً الى (شهاب) بألف دينار فسأل الامام الصادق أن يكلم شهاباً حتى ينقضى موسم الحج، فأرسل اليه الامام(ع) فأتاه فقال له: قد عرفت حال محمد وانقطاعه الينا، وقد ذكر أن لك عليه ألف دينار لم تذهب فى بطن ولا فرج، وانما ذهبت ديناً على الرجال، ووضائع وضعها، فأنا أحب أن تجعله فى حل، وقال(ع): لعلك ممن تزعم أنه يقبض من حسناته فتعطاها، فقال: كذلك هو فى أيدينا، فقال عليه السلام: ألله أكرم وأعدل من أن يتقرب اليه (عبده) فيقوم فى الليلة القرة، ويصوم فى اليوم الحار ويطوف بهذا البيت ثم يسلبه ذلك فتعطاه، لكن لله فضل كثير يكافى المؤمن فقال شهاب: هو فى حل»

يعطى للدائن من الحسنات :

اذا كان مقصراً فى أداء الدين بأن كان قد اقترض المال ليصرفه فى أمر حرام، أو أنه قصر فى أدائه مع قدرته، ثم لم يدفع من ماله بعد موته، ولم يعفه الدائن، فيوم القيامة يؤخذ من حسناته بمقدار الدين وتعطى للدائن، وان لم يكن لديه حسنات أو كانت قليلة أضيف اليه من ذنوب الدائن. وقد صرح بهذا الموضوع فى عدة روايات .

عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«ان أشد مايكون الناس حالاً يوم القيامة أن يقوم أهل الخمس فيتعلقون بذلك الرجل، فيقولون ربنا ان هذا الرجل قد أكل خمسنا وتصرف فيه ولم يدفعه الينا فيدفع الله اليهم عوضه عن حسنات ذلك الرجل وكذلك أهل الزكاة». لئالى الاخبار / ٥٤٩

روى عن أحدهم عليهم السلام :

«يؤتى يوم القيامة بصاحب الدين يشكو الوحشة، فأن كانت له حسنات أخذت منه لصاحب الدين، وان لم يكن له حسنات القى عليه

من سيئات صاحبه» ـ بحار الانوار ـ كتاب العقود والايقاعات .

وورد التصريح فى روايات كثيرة بأن من كان فى ذمته حق الناس لم ينج حتى يرضى أصحاب الحق أو يؤخذ من حسناته، أو يوضع عليه سيئاتهم، أو يعفو عنه الله تعالى بشفاعة أهل البيت عليهم السلام.

بأى مقدار تكون المعاوضه :

الله ورسوله أعلم بكيفية هذه المعاوضة التى يقع فيها مقدار من الحسنات فى مقابل الحق، ولا طريق لنا لمعرفة ذلك، ولا لزوم له. نعم فى بعض الروايات اشارة الى بعض مراتب ذلك حيث قال (ع) «يؤخذ ستمائة صلاة بدرهم».

وقال (ع) «يؤخذ بدانق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فيعطاها الخصم».

على أى حال ما أصعب أن يفارق الانسان الدنيا وهو مدين، فيجب على كل واحد أن يسعى قبل الموت أن لا يبقى عليه دين، واذا كان عاجزاً عن أى طريق، عليه أن يتوسل بأهل البيت (ع) ليرضوا عنه الخصماء.

قال رسول الله (ص) :

«ليس ذنب أعظم عند الله بعد الكبائر التى نهى الله عنها من رجل يموت وعليه دين لرجال وليس له ما يقضى عنه»(١) المستدرك.

وقال يوماً لاصحابه بعد الصلاة :

١ـ جاء فى كتاب (دار السلام) للمحقق النورى نقلاً عن كتاب نور العيون، أن السيد العالم الزاهد السيد هاشم الحائرى قال استقرضت من بعض اليهود مائة دينار، واشترطت أن أوفيها فى ظرف عشرين يوماً كل يوم نصف عشرها، فأوفيت قسط عشرة ←

أيام، ثم طلبته ـ اليهودى ـ فلم أجد له أثراً، وقيل أنه ذهب الى بغداد فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وجمع الناس فى موقف الحساب، وجيء بى وبآخرين عند الموقف والعرض على الله، فأذن لى بفضله ومنه أن أدخل الجنة فأرسلنى اليها، فلما قصدتها رأيت الصراط على جهنم، ففرعت من زفيرها وشهيقها ولما وصلت اليه رأيت غريمى اليهودى كحجرة نار خرجت من جهنم، ووقف على الصراط، وصد عنى الطريق، وقال: اعطنى خمسين ديناراً، ثم أقبل على شأنك، فكلما تضرعت وقلت : كنت أطلبك دائماً ولم آل جهداً فى ايصالها اليك لم يفده شيئاً، وقال : صدقت ولكن لاتجوز من الصراط الا أن توفينى حقى، فلما رأيت اصراره بكيت وتضرعت وقلت : ليس عندى الآن شيء أقضى به حقك، فقال اليهودى : دعنى أضع اصبعاً واحدة منى على عضو من أعضائك، فرضيت بذلك لصده وابرامه فيه، فوضع اصبعه على صدرى فانتبهت من لذعة حرقته، فرأيت صدرى مجروحاً هكذا، والى الآن مشغول بمعالجته، ولا أجد أثراً من اليهودى، ثم كشف صدره فرأى الناس الجراحة المنكرة فيه، وارتفعت أصواتهم بالبكاء والعويل» الجزء ٢/١٩٠ .

كما جاء فى (بحار الانوار) عن أحمد بن أبى الجوزى أنه قال : كنت أتمنى أن أرى فى المنام (أبوسليمان الدارانى) الذى كان من العباد الزهاد، فرأيته بعد سنة من وفاته فسألته كيف كانت معاملة الله معك ؟

فقال : يا أحمد يوماً ماحين كنت خارجاً من باب الصغير رأيت حمل بعير فأخذت منه عوداً لاأدرى خللت به أسنانى أم القيته بعيداً دون أن يبقى فى فمى، وأنا الآن منذ سنة مبتلى بالحساب عليه .

ويؤيد هذه القصة الآية الشريفة فى وصية لقمان لأبنه «يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله» .

كما كتب أمير المؤمنين عليه السلام فى رسالة الى محمد بن أبى بكر : «واعلموا عباد الله أن الله عزوجل سائلكم عن الصغير من عملكم والكبير» ويكفى فى هذا المقام قوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» .

كما نقل فى كتاب (دار السلام عن السيد حسن بن السيد على الاصفهانى أنه قال : كنت مشغولاً بطلب العلم فى النجف الاشرف حين مات أبى، وتعهد بأعمال أبى بعض أخوتى ولم يكن لى علم بتفاصيلها، وبعد مضى سبعة شهور من وفاته توفيت أمى فى

←

«ماهنا من بنى النجار أحد وصاحبهم محتبس على باب الجنة بثلاثة دراهم لفلان اليهودى ـ وكان شهيداً ـ» المستدرك / التجارة ـ ابواب الدين ـ

التعجيل فى اداء الدين مستحب :

كما أن حبس الحق وعدم أداء الدين حرام ومن كبائر الذنوب، فكذلك أداء الدين والعجلة فيه فى صورة المطالبة والقدرة من أهم الواجبات الالهية، وقد وعد عليه بثواب كثير .

→

اصفهان، وحملوا جنازتها الى النجف الاشرف، وفى ليلة من تلك الليالى رأيت والدى فى المنام فقلت له أنك توفيت فى اصفهان وانت الآن فى النجف الاشرف، فقال بلى بعد وفاتى نقلونى الى هذا المكان، فسألته عن والدتى قريبة منك؟ فقال هى فى النجف ولكن فى مكان آخر، وعلمت أنها ليست بدرجة أبى فسألته عن حاله فقال : كنت فى الضيق والشدة والآن ارتحت منها فتعجبت وقلت : وهل مثلك من يعذب؟ فقال · نعم ان الحاج رضا ابن (آقابابا) كان له على دين و كان يطالبنى به لذا كنت فى شدة.

يقول السيد حسن الاصفهانى فاستيقظت فزعاً، وكتبت رؤيايى لأخى الذى كان وصيا لوالدى وطلبت منه التحقيق فى ذلك، فكتب لى فى الجواب : أننى فتشت فى دفاتر ديون والدى فلم أجد اسم حاج رضا، فكتبت اليه : اجهد أن تعرف ذلك الشخص ثم تسأله ماذا كان يطلب والدى ؟

فكتب لى فى الجواب : سألته فقال نعم كنت أطلب والدك مبلغ سبعة عشر تومانا (درهم) ولم يكن يعلم بذلك أحد الاالله وقد سألتك بعد وفاته هل يوجد اسمى فى سجل الديان فقلت لا، ولم يكن لدى سند أستند اليه فى ذلك الدين، ولم يكن لى طريقاً لاثباته، فضاق صدرى لأن المرحوم لم يدون اسمى فى سجله .

لما سمعت ذلك أردت أن أدفع له ذلك المبلغ فلم يقبل وقال قد أبرئت ذمته.

ـ تأمل فى هذا الحديث عن الامام الباقر(ع) حيث قال :

«الظلم ثلاثة، ظلم يغفره الله ، وظلم لايغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما الظلم الذى لايغفره الله فالشرك، وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم الرجل فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذى لايدعه فالمداينة بين العباد» ـ وسائل الشيعة ـ كتاب الجهاد ـ

قال رسول‌الله(ص) :

«من أرضى الخصماء من‌نفسه وجبت‌له الجنة بغير حساب، و يكون فى الجنة رفيق اسماعيل‌بن ابراهيم» ـالمستدركـ

وقال(ص) :

«من رد درهما الى الخصماء اعتق لله رقبته من‌النار وأعطاه‌بكل دانق ثواب نبى وبكل درهم مدينة من درة حمراء» ـالمستدركـ

وأيضاً قال :

«فان درهماً يرده العبد الى الخصماء خيرله من صيام النهار و قيام الليل ومن رد ناداه ملك من‌تحت العرش ياعبدالله استانف العمل فقد غفرلك ماتقدم من ذنبك» ـالمستدركـ

دفع حق الناس :

الحق المالى الثابت فى ذمة الشخص على قسمين :

أحدهما. أن يكون متعلقاً بعين مال موجود لديه، مثل أن يعلم يقيناً بأن نصف أمواله ترجع الى فلان شخص، أوأن مايعادل مائة درهم من‌ماله الفلانى يرجع الى فلان شخص.

الثانى: أن‌يكون حق‌الغير متعلقاًبذمته لابعين‌ماله، مثل القرض الذى اقترضه وصرفه، فان ذمته تصبح مشغولة للدائن، ومثل أنواع الضمانات والنفقات الواجبة .

القسم الاول له أربع صور :

(١)مقدار المال وصاحبه معلوم :

أن يكون مقدار الحق وصاحب الحق معلومين ومعينين، بأن‌يعلم أن‌كذا مقدارمن ماله يرجع لفلان شخص، وفى هذه الصورة يجب

عليه أن يسلم ذلك المقدار لصاحبه. كما أنه لومات صاحبه وجب عليه أن يدفع ذلك المقدار لورثته حسب قانون الارث.

(٢) مقدار المال معلوم والمالك مجهول :

أن يكون مقدار الحق معلوم الاأن صاحبه غير معين بل يكون مرددأ، وحينئذ اذاكان مرددأ بين عدة أشخاص محصورين كأن يعلم أن كذا مقدار من ماله يرجع الى أحد ثلاثة أشخاص، أو أحد خمسة اشخاص، فالأحوط هنا ارضاؤهم جميعاً بكل نحو ممكن وان لم يكن ارضاؤهم ممكناً يوجد فى هذا المورد ثلاثة اقوال :

أحدهما تعيين أحدهم بالقرعة، وتسليم المال له.

والآخر تقسيم المال بينهم بالسوية .

والثالث: أن يكون المال فى حكم (مجهول المالك) فيتصدق به بأذن الحاكم الشرعى (على الاحوط)(١).

وأما اذاكان صاحب الحق مرددأ بين أشخاص غير محصورين، بأن كان أطراف الشبهة مائة أوأكثر، أولم يكن يعرف صاحب الحق أصلاً، فالمال هنا فى حكم مجهول المالك حيث يجب عليه أن يتصدق به بأذن الحاكم الشرعى (على الأحوط) .

(٣) المال مجهول والمالك معلوم :

أن يكون مقدار الحق مجهولا، ولكن صاحب الحق معين، بأن يعلم أن قسماً من أمواله ترجع الى فلان شخص، ولكن لايدرى هل ثلث ماله، أو نصفه .

فى هذه الصورة يجب دفع أقل مقدار يتيقن به (وهو ثلث ماله فى المثال) لذلك الشخص، والاحوط مصالحته فى الزائد وتحصيل رضاه.

١ــ من كانت هذه المسألة محل حاجته يلزمه مراجعة مرجع التقليد ليعرف تكليفه .

(٤) المال والمالك مجهولان :

أن يكون مقدار الحق وصاحبه مجهولين، مع علمه بأن قسماً من ماله الموجود يعود الى الناس، ولكنه لايعرف مقداره، ولايعرف صاحبه حتى بنحو مردد فى أشخاص محصورين .

فى هذه الصورة يجب عليه دفع خمس أمواله لمستحقى الخمس، وحينئذ يحل له جميع ماله .

راجع كتاب الخمس فى الرسائل العملية .

القسم الثانى(١)له أربع صور ايضا :

(١) أن يكون مقدار الحق وصاحبه معلوماً، ولاشك هنا بوجوب دفع ذلك المقدار لصاحبه .

(٢) أن يكون المقدار معلوماً ولكن صاحبه غير معلوم. فهنا ان كان مردداً بين أشخاص محصورين، وجب ارضاؤهم بالتفصيل الذى تقدم فى القسم الاول .

وان كان مردداً بين أفراد كثيرين غير محصورين، أوكان صاحب الحق مجهولاً أساسا وجب عليه أ ن يدفع ذلك المبلغ الذى فى ذمته لحاكم الشرع، أو يتصدق به نيابة عن صاحبه الواقعى بأذن الحاكم الشرعى.

(٣) أن يكون مقدار الحق مجهولاً، ولكن صاحبه معين، وهنا يجب أن يدفع له أقل مقدار يتيقن به، ويصالحه على الزائد .

(٤) أن يكون مقدار الحق وصاحبه مجهولاً، وفى هذه الصورة يجب عليه المصالحة مع الحاكم الشرعى على مبلغ متوسط بين الأقل والأكثر، ثم يتصدق بذلك المبلغ نيابة عن صاحبه الواقعى .

١ــ وهو الحق الثابت فى الذمة لافى عين المال .

(٢٧)

الفرار من الزحف

السابع والعشرون من الذنوب الكبيرة المنصوصة (الفرار من الزحف) بمعنى الفرار من معركة الجهاد الشرعي في وقت يبلغ عدد الاعداء أكثر من ضعفي جنود الاسلام، وقد صرح باعتباره من الكبائر في الاحاديث الواردة عن رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) والامام الصادق، والكاظم، والرضا، والجواد عليهم السلام.

وقد استدل على ذلك بالآية ١٦ من سورة الانفال حيث يقول ـ تعالى ـ: «يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب الله ومأواه جهنم وبئس المصير».

وفي الوسائل عن أمير المؤمنين (ع) قوله:

«وليعلم المنهزم بأنه مسخط ربه، وموبق نفسه، وأن في الفرار موجدة الله، والذل اللازم، والعار الباقي، وأن الفار لغير مزيد في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه، ولا يرضى ربه، ولموت الرجل محقاً قبل اتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها، والاقرار ـ الاقدار ـ عليها» ـ وسائل الشيعة / كتاب الجهاد ـ

الجهاد الابتدائي والدفاعي :

الجهاد الشرعي على قسمين: ابتدائي ودفاعي.

الجهاد الابتدائي هوما يكون لأجل الدعوة الى الاسلام، وبسط العدل، ويبتدى فيه المسلمون بالحرب مع الكفار .

وهذا القسم من الجهاد مشروط بأذن الرسول(ص)أو الامام(ع) أونائبه الخاص، وعلى هذا ففي زماننا وهو زمن الغيبة الكبرى لايشرع هذا القسم من الجهاد .

وأما الجهاد الدفاعي فهو أن يقصد الكفار الحملة على بلاد الاسلام، ومحوآثار الاسلام واصوله، أويقصدون الحملة على مجموعة من المسلمين، لنهب أموالهم والتجاوز على أعراضهم ونفوسهم، ففي هذه الصورة يجب على تمام المسلمين الأقرب فالاقرب وجوبا كفائياً الدفاع وصد هجوم الكافرين، ومقاتلتهم، والجهاد في هذا القسم غير مشروط بأذن الأمام أو نائبه .

والفرار من الزحف ـ الذي هوموضوع بحثنا ـ هل يختص بالقسم الاول أو يشمل كلا القسمين؟

هنا قولان :

حيث قال بعض بأنه مختص بالجهاد الذي يكون بأذن الامام أو نائبه الخاص (كما أن سقوط الغسل والكفن عن الشهيد مختص بهذا القسم)(١)

وقال بعض بأنه شامل للقسمين .

وعلى من يريد التحقيق في هذه المسألة وفي سائر مسائل الجهاد

١ـ هكذا جاء في الكتاب ولكن المذكور في كتب الفقهاء ان من يستشهد في الدفاع عن بيضة الاسلام يسقط عنه الغسل والكفن ايضا / المترجم .

مراجعة الكتب الفقهية(١)

١ـ يناسب هنا فى مسألة الفرار من الزحف أن نشير الى ثبات قدم الامام أمير المؤمنين فى الغزوات، وذلك من فضائله ومناقبه(ع) .

لم يذكر فى أى وقت ـ وفى كتب الشيعة والسنة ـ بأنه(ع) قد فر من المعركة بالخصوص فى غزوة أحد حيث لم يبق فى المعركة الاهو(ع)ـ كما يروى ذلك فى المجلد التاسع من بحارالانوار فى باب شجاعته نقلاً عن ابن مسعود من طرق العامة ـ ثم التحق به(ع) أربعة عشر شخصاً من الفارين، من جملتهم أبودجانة، والمقداد وطلحة، ومصعب، وبعد ذلك رجع سائر الانصار .

وقد تركوا المختار فى الحرب مفرداً ... وفر جميع الصحب عنه وأجمع
وكان على غائصاً فى جموعهم ... لهاماتهم بالسيف يفرى ويقطع

وقد أثنى عليه رسول الله(ص) فى غزوة الاحزاب بأنه (كرار غير فرار) .

وبالجملة فأن اتصافه(ع) بهذه الصفة الكمالية ليس محلاً لأية شبهة .

كما أن فرار أبوبكر، وعثمان فى غزوة أحد، وهكذا فى غزوة خيبر، وحنين وذات السلاسل، هو مورد اتفاق الشيعة والسنة، وقد أشار الى ذلك ابن ابى الحديد فى قصيدته المشهورة :

وليس بنكر فى حنين فراره ... وفى أحد قد فر خوفاً وخيبرا

(٢٨)

التعرب بعد الهجرة

الثامن والعشرون من الذنوب التى ورد التصريح بأنها كبيرة (التعرب بعد الهجرة)، كماورد فى (اصول الكافى) فى باب الكبائر فى صحيحة ابن محبوب سأل الامام الكاظم(ع) فى رسالة عن الكبائر، فكتب(ع) فى ضمن جوابه (والتعرب بعد الهجرة)، وأيضاً يروى (فى أصول الكافى) محمد بن مسلم عن الامام الصادق(ع) أنه عد التعرب بعد الهجرة من الكبائر، كما ذكر التعرب بعد الهجرة ضمن الكبائر فى كتاب على عليه السلام، حيث يقول «التعرب والشرك واحد» ـ أصول الكافى ـ

ماهو التعرب بعد الجهرة؟

كلمة (أعرابى) تطلق على ساكن البادية الذى لامعرفة له بالدين وآدابه وأحكامه، ولايبالى بذلك، و(الهجرة) معناها ترك البادية والمجىء الى مراكز الاسلام، والتشرف بخدمة الرسول الاكرم(ص) أو وصيه(ع)، لأجل التدين بدين الله ومعرفة الاحكام الدينية .

و«التعرب بعد الجهره» هو أن يعود الى وضعه السابق من الجهل، واللامبالاة بأحكام الدين، قبل أن يتعلم ماينبغى أن يتعله. وفى صدر الاسلام كانت الهجرة واجبة الى جهة الرسول(ص) من أجل

تعلم الامور الدينية اللازمة، وكان يحرم البقاء فى بلاد الكفار اذاكان ذلك مانعاً عن اقامة شعائر الله، كمالو لم يتمكن من اقامة الصلاةأو صيام شهر رمضان فى بلاد الكفار، كما بين تعالى ذلك فى سورة النساء فى الايات ٩٩ ـ ١٠١ حيث يقول تعالى :

«ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً ،

واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا».

وقد كتب فى تفسير (منهج الصادقين) :

أن عدداً من المسلمين الذى يقولون بحسب الظاهر (لااله الاالله) مثل قيس بن الفاكة، وقيس بن وليد وأمثالهم، لم يهاجروا من مكة الى المدينة مع قدرتهم على ذلك، ولما جاء رؤساء قريش الى بدر حضروا معهم وقتلوا بسيوف المسلمين فنزل قوله تعالى :

«ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم،

قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض،

قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا» ٩٧ / النساء

وفى هذه الآية دلالة على وجوب الهجرة من مكان لايتمكن فيه من اقامة شعائر الاسلام، وقد روى عن رسول الله (ص) :

«من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبراً من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد (ص)».

«الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا، فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله

عفوا غفورا».

وقد روى عن عكرمة أنه كان جمع من المسلمين في مكة لا يقدرون على الهجرة فلما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع بن ضمرة وكان بمكة فقال والله ما أنا مما استثنى الله انى لأجد قوة وانى لعالم بالطريق، وكان مريضاً شديد المرض فقال لبنيه والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها فأنى أخاف أن أموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى اذا بلغ التنعيم ظهرت عليه آثار الموت فوضع يده اليمنى في اليسرى وقال:

«اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه»، ثم مات.

ولما وصل خبر وفاته الى المدينه قال بعض الاصحاب:

لو وصل الى المدينة لنال ثواب الهجرة، فأنزل الله تعالى قوله:

«ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً». (١) ١٠٠ / النساء

التعرب بعد الرسول الاكرم (ص):

بحكم الآيات كانت الهجرة الى رسول الله (ص) من أجل تعلم الاحكام واجبة، وهكذا بالنسبة لمن كان في بلاد الكفر ولا يستطيع أن يؤدى الشعائر الدينية كالصلاة والصيام فانه يجب عليهم المهاجرة من محلهم.

وترك الهجرة أساساً، أو العودة بعد الهجرة الى الحالة الاولى حرام أيضاً ومن الذنوب الكبيرة وقد جاء الوعيد على ذلك بالنار كما تقدم.

وبعد رسول الله (ص) كانت الهجرة واجبة الى الائمة (ع)، من

١ـ انتهى ما نقل عن تفسير منهج الصادقين.

أجل التدين بدين الله، وتعلم أحكامه والتى أهمها معرفة الامام .

والتعرب هوعدم الهجرة الى الامام من أجل التعرف عليه وتعلم الوظائف الدينية منه، والتعرب بعد الهجرة هوعبارة عن الاعراض عن الامام بعد معرفته، كماروى الصدوق عن حذيفة بن المنصور عن الامام الصادق(ع) :

«المتعرب بعد الهجرة، التارك لهذا الأمر بعد معرفته» معانى الاخبار / ٢٦٥ ويبقى الحكم بوجوب الهجرة، وحكم التعرب بعد الهجرة فى زماننا هذا، حيث امام العصر(عج) فى غيبته، على التفصيل المتقدم .

يجب الهجرة الى الفقيه :

ان الهجرة واجبة على :

أولا: اولئك الذين لامعرفة لهم بالاحكام الشرعية، وهم فى مكان لايوجد عالم دينى يرجعون اليه فيه، فهؤلاء يجب عليهم الذهاب الى مكان يمكنهم فيه الوصول الى العالم الدينى، وتعلم المسائل اللازمة منه .

ثانياً: أولئك الذين يعيشون فى بلاد الكفر، ولايمتكنون من أداء شعائرهم الدينية نتيجة الضغوط والممانعات .

فيجب عليهم فى هذه الصورة الهجرة الى مكان توجد فيه حرية دينية، وقد صرح بهذا المطلب فى الفقه الشيعى.(١) .

١ـ العلامة فى كتاب القواعد والمنتهى، والشهيد الاول فى كتاب (اللمعة) والشهيد الثانى فى شرح اللمعة، والمسالك.

وقال المحقق فى الشرايع فى كتاب الجهاد :

«وتجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن اظهار شرائع الاسلام مع المكنة والهجرة باقية مادام الكفر باقياً».

وكما أوضحنا سابقاً فى معنى آية «الاالمستضعفين» أن وجوب الهجرة انما هوفى صورة القدرة والتمكن منها .

بناءاً على ذلك فاذا كان غير قادر لمرض، أوفقر، أوشيخوخة غير عادية لاتجب عليه الهجرة .

فى كتاب المسالك عن الرسول الاكرم (ص) أنه قال :

«لاينقطع الهجرة حتى ينقطع التوبة ولاينقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» أى أن حكم الهجرة باق الى يوم القيامة .

لاهجرة من مكة :

ذكر الشهيد الثانى فى المسالك أن المراد بقوله (ص) «لاهجرة بعد الفتح» هوالهجرة من مكة لأنها صارت دار الاسلام، فلا يلزم نفى الهجرة من غيرها»

وذكر بعضهم أن المراد بالحديث نفى أفضلية الهجرة من مكة بعد الفتح بالنسبة الى ماقبل الفتح، مثل فضيلة الانفاق والجهاد قبل فتح مكة بنص القرآن الكريم «لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح...» السورة ٥٧ / الاية ١٠

ولأجل مزيد التوضيح، واكمال الفائدة نشير الى بعض المطالب التى ذكرها العلماء حول مسألة التعرب .

الهجرة واجبة، ومستحبة، ومباحة :

١ــ يقول العلامة الحلى فى كتاب (المنتهى) ص ٨٩٨ :

«واعلم أن الناس فى الهجرة على أقسام ثلاثة :

أحدها: من تجب عليه، وهو من أسلم فى بلاد الشرك وكان مستضعفاً فيهم لايمكنه اظهار دينه ولاعذر له من مرض وغيره، لقوله تعالى:

«ان الذين توفاهم الملائكه ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها».

الثانى: من لاتجب عليه لكن يستحب له المهاجرة وهو من أسلم بين المشركين ويمكنه اظهار دينه ويكون آمنا على نفسه ..

الثالث: من لاتجب عليه ولايستحب له وهو من كان له عذر يمنعه عن المهاجرة من مرض أوضعف أو عدم نفقة أو غير ذلك».

لاهجرة من بلاد العامة :

٢ــ نسب فى شرح اللمعة، وفى جامع المقاصد الى الشهيد الاول القول بوجوب الهجرة على الشيعى الذى يقطن فى بلاد المخالفين اذالم يكن قادراً على أداء شعائره المذهبية، فتجب عليه والحال ذلك الهجرة الى بلاد الشيعة، كماتجب الهجرة على المسلم من بلاد الكفر التى لايتمكن فيها من اقامة شعائر دينه الى بلاد الاسلام .

الا أن هذا الرأى غير سديد اذلايتعذر على الشيعة اقامة شعائر الدين فى بلاد المخالفين، أما بالنسبة الى الشعائر الخاصة بالشيعة (مثل اسبال اليدين فى الصلاة، ومسح الرأس والقدمين فى الوضوء) ففى الغالب لايكون السكنى فى بلاد العامة مستلزماً لتركها، ومتى ما احتمل الخطر وجب عليه العمل بالتقية، فيعمل عمل أبناء العامة، ويقع عمله حينئذ صحيحاً حسب مذهبنا، ولم نعثر على رواية تؤيد مانسب الى الشهيد، بل وردت روايات عديدة عن الائمة الطاهرين (ع) تأمر بالتقية، وحسن المعاشرة مع أبناء العامة .

الاستدلال على كلام الشهيد :

استدل بعض العلماء لاثبات كلام الشهيد (ره) برواية محمد بن

مسلم ـقالـ :

سألت عن رجل أجنب فی سفر ولم يجد الاالثلج أو ماءأجامداً؟

فقال(ع) : هو بمنزلة الضرورة يتيمم، ولاأرى أن يعود الى هذه الأرض التى يوبق دينه» ـوسائل الشيعة / ابواب التيمم ـ

فحيث نهى الامام فی هذا الحديث عن الذهاب الى مكان لايستطيع الوضوء أوالغسل فيه، فيلزم منه النهى عن التوقف فی مكان لايستطيع الوضوء أو الغسل فيه وفقاً لمذهب الشيعة .

الاأن هذا الاستدلال غير صحيح لأن ظاهر الحديث النهى عن الذهاب الى محل يتيقن أن بعض الواجبات الالهية تفوت عليه فيه، أما فی التوقف فی بلاد المخالفين فان الابتلاء بالتقية أمر احتمالی لايقينی، وفی صورة الابتلاء فأن هناك بدل وهو العمل وفقا لمذهب العامة من باب التقية، وهو صحيح وكاف بمقتضى أدلة التقية .

نعم اذاكان فی الهجرة من بلاد المخالفين مصلحة أكبر، فلايبعد استحبابها كما اذاكان لايستطيع هناك أن يظهر ولايته للائمة(ع) ويستطيع اظهارها فی مكان آخر .

التبليغ بالولاية فی بلاد الكفر :

عن حماد السندی قال :

قلت لابی عبدالله(ع): انی أدخل الى بلاد الشرك وان من عندنا يقولون : ان مت ثم حشرت معهم ؟

قال: فقال لی: ياحماد اذا كنت ثم تذكر أمرنا وتدعوا اليه؟

قلت : نعم

قال : فاذا كنت فی هذه المدن، مدن الاسلام، تذكر أمرنا و تدعوا اليه؟

قال : قلت لا

فقال لي : انك ان مت ثم حشرت امة وحدك يسعى نورك بين يديك». ـ وسائل الشيعة / كتاب الجهاد ـ

٣ـ يقول العلامة المجلسي في شرح الكافي ان من المحتمل أن يكون المراد بالتعرب بعد الهجرة اختيار حالة الأعرابية، وترك الهجرة بعد نزول الحكم بوجوبها، وذلك مثل الحكم بحرمة الربا بعد ظهور حكمه ـ وان كانت المعاملة قد وقعت قبل قبل نزول الحكم وظهوره ـ .

وعلى كل تقدير فأن ترك الهجرة ابتداءاً أو العوده الى الاعرابية بعد الهجرة هو من الذنوب أوعد الله عليها في القرآن المجيد بالنار كما تقدم .

الاعرابية وموارد التعرب بعد الهجرة :

ذكرنا في أول البحث أن العرب البدو، وساكني الصحراء يقال لهم «الاعراب»، وحيث أنهم نتيجة بعدهم عن المركز الاسلامي، وعدم تواجدهم في المجتمع الاسلامي، محرومون من المعارف الدينية ومحرومون من تعلم المسائل والاحكام الشرعية والعمل بها، لذا ذمهم القرآن الكريم ووبخهم حيث يقول في سورة التوبة :

«الأعراب أشد كفراً ونفاقاً، وأجدر الا يعلموا حدود ماأنزل الله على رسوله والله عليم حكيم» .

«ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم» .

وفي الآية بعدها يقول :

«ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات

عندالله وصلوات الرسول، ألا انها قربة لهم سيد خلقهم الله فـي رحمته ان الله غفور رحيم» .

يستفاد من الآيتين السابقتين فـي ذم الاعراب، أن الأعرابية ليست بذاتها مذمومة بل مذمتها مـن جهة فقدان الايمان والجهل باحكام الله، وعدم ألأستفادة منها فى العمل، كما جاء فى الاية الثالثة المتقدمة أن بعض الاعراب موفقون للايمان والعمل بالاحكام الدينية، وهم مورد المدح والوعد بالرحمة .

بناءاً على ذلك فكل مسلم يمتنع عن تحصيل المعارف الدينية، وتعلم المسائل الشرعية، ويبتعد عن المجتمعات الدينية التى يتعلم فيها الحقائق والمعارف والمسائل الدينية، فهو فى الحقيقة (متعرب) وماجاء فى مذمة الاعرابى يشمله حتى لوكان ساكناً فى المدن .

فى (بحار الانوار) عن الامام الصادق (ع) أنه قال :

«تفقهوا فى الدين، فانه من لم يتفقه منكم فى الدين فهو أعرابى، ان الله عزوجل يقول فى كتابه «ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون». بحار الانوار ـ كتاب العقل ـ

وقال (ع) لاصحابه :

«عليكم بالتفقه فى دين الله ولاتكونوا أعراباً، فأنه من لم يتفقه فى دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك لـه عملا». منية المريد / الشهيد الاول

عدم العمل بعد العلم تعرب أيضاً :

ذكر المحدث الفيض الكاشانى فى كتاب الوافى أنه لايبعد صدق عنوان الأعرابى على من تعلم الاداب والسنن الشرعية ولكنه لم يعمل بها، ونقل فى تأييد هذا المطلب رواية عن الامام الصادق (ع) .

كما يقول المجلسى فى شرح الكافى أن بعض فقهاء الشيعة ذكر أن التعرب بعد الهجرة فى زماننا هو أن يكون الشخص مشغولاً بتحصيل العلوم الدينية ولكنه لايعمل بها كما كان جاهلاً .

وروى عن الامام أمير المؤمنين قوله :

«يقول الرجل هاجرت ولم يهاجر انما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوابها ويقول الرجل جاهدت ولم يجاهد انما الجهاد اجتناب المحارم ومجاهدة العدو، وقد يقاتل أقوام فيحبون القتال لايريدون الا الذكر...» بحار الانوار ـ باب ترك العجب ـ

صحراء الجهل وعدم المعرفة :

مما تقدم من الآيات والاخبار وكلمات الفقهاء المتقدمة يعلم أن حقيقة التعرب عبارة عن البقاء فى صحراء الجهل وعدم الاطلاع على المعارف الالهية والكمالات الانسانية والحرمان من السعادة الدائمية، والقناعة بالحياة الفانية الدنيوية، والأنس بالشهوات الحيوانية، وعدم الاستعداد لتحصيل المعرفة، والوصول الى السعادة وأن عدم التورع عن أى ذنب وعمل قبيح موجب للعقوبة الاخروية، وعدم الاعتناء بأى عمل خير موجب للثواب الخالد هو تعرب. كما أن الهجرة ضد ذلك .

والتعرب بعد الهجرة يعنى الرجوع الى حالة الاعرابى بعد الانتباه والمعرفة .

ويمكن القول أن من أقسام التعرب بعد الهجرة الاعراض عن كل عمل خير اشتغل به مدة. وطبعاً فان حرمة هذا القسم من التعرب انما هى فى صورة ماإذا لم يكن ترك ذلك العمل من باب المسامحة والكسل أولأجل الابتلاء ببعض الموانع، وانما كان من باب الاعراض و

المخالفة، نعم جدير بالانسان أن لايترك عمل الخير الذى اشتغل به مدة من الزمن .

عن جابر الجعفى قال سمعت أباعبدالله(ع) كان يقول :

«انى أحب أن أدوم على العمل اذا عودته نفسى، وان فاتنى بالليل قضيته بالنهار، وان فاتنى بالنهار قضيته بالليل وان أحب الاعمال الى الله ماديم عليها، فان الاعمال تعرض كل خميس وكل رأس شهر وأعمال السنة تعرض من النصف من شعبان، فاذا عودت نفسك عملاً فدم عليه سنة». بحار الأنوار .

اهمال العلوم الدينية :

عد بعض الاعاظم ترك الاستمرار فى طلب العلوم الدينية بعد الاشتغال مدة من الزمن، قسماً من أقسام التعرب بعد الهجرة .

وحرمة ذلك انما هى فيما اذاكان تحصيل العلوم الدينية بالنسبة لذلك الشخص واجباً عينياً على تفصيل ذكر فى محله، وأما فى غير هذه الصورة فجدير بالانسان أن لايترك تحصيل العلوم الدينية الى آخر عمره(١)، وأن يكون مشغولاً بأفضل الاعمال بنية خالصة، و يقصد القربة، لكى لايحرم من السعادة العظيمة المترتبة على ذلك فى الدنيا والآخرة .

(٢٩)

معونة الظالمين

التاسع والعشرون من الذنوب التـى ورد التصريح باعتبارها كبيرة (معونة الظالمين) كماورد فى رواية الفضل بن شاذان عن الامام الرضا(ع) ضمن تعداد الكبائر قوله «ومعونة الظالمين والركون اليهم».

وفى رواية الاعمش عن الامام الصادق(ع) هكذا «وترك اعانة المظلومين» أى ان ترك اعانة المظلومين من الذنوب الكبيرة اذن فمعونة الظالم فى ظلمه بطريق أولى تكون من الذنوب الكبيرة.

عن سليمان الجعفرى قال: قلت لأبى الحسن(ع) ـ الكاظم(ع) ـ ماتقول فى أعمال السلطان فقال(ع):

«الدخول فى أعمالهم والعون لهم والسعى فى حوائجهم عديل الكفر، والنظر اليهم على العمد من الكبائر التى يستحق بها النار» وسائل الشيعة / كتاب التجارة.

وأيضاً ورد عن رسول الله(ص) فى حديث الاسراء ومارآه مكتوباً على أبواب النار ومن جملته:

«لاتكن عوناً للظالمين» ـ وسائل الشيعة ـ

وأيضاً هى من الذنوب التى أوعد الله عليها فى القرآن الكريم

١ـ «اطلب العلم من المهد الى اللحد».

حيث يقول تعالى :

«ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار،» ـ سورة هود / ١١٣ ـ

وكتب فى تفسير (منهج الصادقين) :

«الركون المنهى عنه فى هذه الآية هو بمعنى الميل اليسير، فيكون المعنى ولاتميلوا قليلاً الى الذين ظلموا كم أو ظلموا غيركم، فتعظيم ذكرهم، والمخالطة معهم، واظهار محبتهم، والطمع بهداياهم، ومداهنتهم، واتباع أوامرهم، كل ذلك ركون للظالم، ومورد للنهى، فكيف بالميل الكثير اليهم، مثل معونتهم على الظلم، والرضى به، والاشتراك معهم فيه، ففى الخبر عن رسول الله (ص) أنه قال:

«من دعا ظالماً بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه» ـ منهج الصادقين ـ

وجاء فى كتاب (روضات الجنات) ضمن أحوال حضرة السيد محمد مؤلف كتاب (مدارك الاحكام) أنه اتفق مع الشيخ صاحب (المعالم) على السفر سوياً من النجف الاشرف لزيارة قبر الامام الرضا (ع)، وحيث علما أن السلطان عباس الصفوى كان مقيماً ذلك الوقت فى مشهد انصرفا عن السفر، خوفا من الابتلاء بملاقاة السلطان فيكونا مصداقا للآية الشريفة «ولاتركنوا الى الذين ظلموا».

وأيضاً جاء فى حالات السيد بحر العلوم أنه حيث كان والى مدينة شوشتر يخضع له قال بأن مقداراً من الميل له تحقق فى قلبى، وخوفاً من أن يكون مورداً للآية الشريفة غادر من دزفول وسكن العراق الى آخر عمره، ويعلم من مراجعة حالات عدة من عظماء الدين كم كانوا يجهدون خلال مخاطباتهم ومراسلاتهم ومعاشرتهم مع الظالمين أن لايتورطوا بخطر الركون للظالم، ولايبتلون بمدحه .

وفى كتاب (الفوائد الرضوية) ينقل عن المحدث الجزائرى قوله:

أن شخصا كان قد قصر تقصيراً كبيراً بحق السلطان عباس الصفوى، وخوفاً منه لجأ بحرم الامام أمير المؤمنين(ع)، وطلب من المرحوم المقدس الاردبيلى أن يكتب رسالة الى السلطان ليعفى عنه، وبالفعل فقد كتب المقدس الاردبيلى للسلطان «ياصاحب الملك العارية ـ عباس ـ اعلم أن كان هذا الرجل ظالماً سابقاً فهو الآن مظلوم، ولو عفوت عن تقصيره فعسى الله أن يعفو عن بعض تقصيراتك ـ كتبه عبد سلطان الولاية أحمد الاردبيلى» فكتب له السلطان فى جوابه:ـ

«نطلعكم أن ما تفضلتم به وقد بلغ منتهى المنة منكم قد قدمنا على تنفيذه، أرجو أن لاتنسوا هذا المحب من دعاء الخير ـ كتبه كلب الحرم العلوى عباس). وينقل عن (تاريخ بحيرة) أن الخواجة نظام الملك وزير السلطان السلجوقى كان يهتم كثيراً بأمر الآخرة والحساب يوم القيامة ومن هنا فقد كان خائفاً بالرغم من أنه كان طوال مدة وزارته حريصاً على اغاثة الضعفاء، وتقدير العلماء وتعظيم الشعائر الدينية، وأخيراً فكر لاثبات حسن سلوكه مع الناس مدة وزارته أن يرتب وثيقه يشهد فيها عظماء الاسلام ويو قعون على حسن سلوكه، ويضع تلك الوثيقة فى كفنه لعله ينجو بذلك .

وبالفعل فقد شهد مجموعة من الأكابر بحسن سلوكه وكتبوا ذلك، ولكن حين وصلت ورقة الشهادة بيد الشيخ أبواسحاق المدرس فى المدرسة النظامية ببغداد كتب فيها مايلى :

«خير الظلمة حسن، كتبه أبواسحاق» ولما اطلع الخواجة نظام الملك على ماكتبه أبو اسحاق بكى كثيراً وقال: ماكتبه أبواسحاق هو الصحيح»

لاشك فى أن معونة الظالمين حرام فى الجملة، ولاشك أنها من الذنوب الكبيرة، انما الذى يجب أن يعلم هو أقسام الظالم وأنواع

معونة الظالم وحكم كل واحد منها .

أقسام الظالمين :

الظلم هو عبارة تجاوز حدود الله، ومخالفة ماأقره الشرع و العقل، وهو على قسمين :

١ـ تجاوز حدود الله مع نفسه، مثل الشرك كما قال تعالى «ان الشرك لظلم عظيم» (٣١ / ١٢) أو التكذيب بآيات الله كماقال تعالى «ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون» ٢/٢٢٩ .

وبالجملة ففى جميع هذه الموارد انما يظلم الشخص نفسه كما قال تعالى «فمنهم ظالم لنفسه» ٣٠ / ٣٢ .

٢ـ تجاوز حدودالله مع الآخرين، وذلك بأيذاء الغير وايلامه فى نفسه كضربه وقتله وحبسه أو فى كرامته كشتمه، وغيبته واتهامه وهتكه، أوفى ماله كأخذ المال من صاحبه بغير حق أوعدم دفع الحق له وسائر أنواع الغصب، وأشدمراتبه اشغال منصب الخلافة وهو الحق الصريح لأهل البيت(ع) الذى غضبه خلفاء الجور وبنى أمية، وبنى العباس، ومثله جلوس غير المجتهد العادل فى كرسى القضاء. وهذا القسم من الظالمين هو أيضاً على قسمين :

أحدهما : ماكـان الظلم والعدوان حرفته ومهنته، مثل حكام الجور، وقطاع الطرق .

والآخر : ماصدر منه الظلم للغير صدفة وفى مورد أو عدة موارد .

وللتعرف على أحكام كل واحد من هذه الاقسام المذكورة نوضحها فى أربعة فصول:

(١) معونة الظالم فى ظلمه :

معونة الظالم الذى مهنته الظلم فى ظلمه .

ولاشك فى أنها من الذنوب الكبيرة، مثل أن يعطيه سوطاً ليضرب به المظلوم، أو يعطيه قلماً ليكتب فيه حكماً جائراً، أو يوقع عليه، أو يمسك المظلوم حتى يضربه الظالم، أو يقتله أو يحبسه.

يقول الشيخ الانصارى ـ عليه الرحمة ـ فى المكاسب المحرمة: «معونة الظالمين فى ظلمهم حرام بالادلة الاربعة وهو من الكبائر».

معونة الظالم وأخبار أهل البيت(ع):

الاخبار الواردة فى هذا المقام كثيرة، منها مارواه الشيخ الانصارى عن كتاب (ورام) أن رسول الله(ص) قال:

«من مشى الى ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام» وسائل الشيعة / التجارة

وظاهر أن مايخرج الانسان من الايمان والاسلام هو من الذنوب الكبيرة المهلكة. ويقول الامام الصادق(ع):

(اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة، وأعوان الظلمة، وأشباه الظلمة، حتى من برى لهم قلماً، ولاق لهم دواة، قال: فيجتمعون فى تابوت من حديد ثم يرمى بهم فى جهنم» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

وفى الحديث النبوى:

«ألا ومن علق سوطاً بين يدى سلطان جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من النار طوله سبعون ذراعاً، يسلطه الله عليه فى نار جهنم وبئس المصير» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

وفى حديث عن رسول الله(ص) أنه قال:

«من تولى خصومة ظالم أو أعانه عليها نزل به ملك الموت بالبشرى بلعنه ونار جهنم وبئس المصير، ومن خف لسلطان جائر فى حاجة كان قرينه فى النار، ومن دل سلطاناً على الجور قرن مع هامان، وكان

هو والسلطان من أشد أهل النار عذاباً» ـوسائل الشيعةـ

مدح الظالم حرام أيضاً :

من موارد هذه المسألة مدح الظالم بنحو يكون سبباً لقوته، أو تمكنه من ظلم أكثر، أو يكون أكثر جرأة .

والشاهد على أن هذا القسم من كبائر الذنوب مضافاً الى الادلة السابقة تمام أدلة النهى عن المنكر خصوصاً مانقله الشيخ الانصارى عن رسول الله(ص) :

«من عظم صاحب دنيا وأحبه لطمع دنياه سخط الله عليه، وكان فى درجته مع قارون فى التابوت الاسفل من النار» ـوسائل الشيعة / التجارةـ

وغير خفى أن هذه الرواية أعم من أن يكون الممدوح ظالماً، وبناءاً على ذلك فلو كان الممدوح ظالماً لكان المادح أجدر بهذه العقوبة .

وأيضاً عنه(ص) أنه قال :

«من مدح سلطاناً جائراً وتخفف وتضعضح لـه طمعاً فيه كان قرينه فى النار» ـوسائل الشيعة / التجارة ـ

وقال رسول الله(ص) :

«اذا مدح الفاجر اهتز العرش وغضب الرب» سفينة البحار /٢ /٥٢٨

لاينبغى قبول المنصب من الظالم :

من أكبر موارد معونة الظالم، قبول المنصب والمقام من جهته حتى وان لم يكن فى ذلك المقام ظلم، مثل حفظ النظام والاستقرار،

والأمن، فكيف اذاكان فى ذلك المقام ظلم؟

مثل أن يكون مأموراً من طرف الظالم فى أخذ أموال الناس ظلماً وجوراً .

ولاشبهة فى أن هذا القسم الثانى أثمه أشد، وعقوبته أصعب.

يقول الامام الصادق(ع) فى رواية تحف العقول المعروفة :

«أما وجه الحرام من الولاية فولاية الوالى الجائر، وولاية ولاته، الرئيس منهم وأتباع الوالى فمن دونه من ولاة الولاه الى أدناهم باباً من أبواب الولاية على من هو وال عليه .

والعمل لهم والكسب معهم بجهة الولاية لهم حرام محرم معذب من فعل ذلك على قليل من فعله أوكثير، لأن كل شىء من جهة المعونة معصية كبيرة من الكبائر وذلك أن فى ولاية الوالى الجائر دوس الحق كله، واحياء الباطل كله، واظهار الظلم والجور والفساد وابطال الكتب وقتل الانبياء والمؤمنين وهدم المساجد وتبديل سنة الله و شرائعه، فلذلك حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم الابجهة الضرورة نظير الضرورة الى الدم والميتة» .

وعن الامام موسى بن جعفر(ع) أنه قال :

«ان أهون مايصنع الله جل وعز بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادقاً من نار الى أن يفرغ الله من حساب الخلائق»(١) ـ وسائل

١ـ جاء فى كتاب (دار السلام) للعراقى ضمن المكاشفات البرزخية مكاشفة السيد الجليل، والعارف النبيل، السيد محمد على العراقى الذى يذكر من جملة من رأى المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف، حيث يقول :

حين كنت شابا فى مدينة (أراك) وطنى الاصل، فى قرية (كزهرود) من قرى أراك المعروفة، توفى شخص كنت أعرفه بأسمه ونسبه، فجيىء به ودفن فى مقبرة مجاورة الى بيتنا، ولمدة أربعين يوماً كلما حل وقت الغروب ظهر من القبر ناروسمع ←

الشيعة ـ التجارة ـ هذا وأن قبول الولاية من الظالم مضافاً الى أنه من أكبر موارد الاعانة على الظلم يلزم لامحالة أن يرتكب الظلم بنحو لايستطيع أن يقوم فى هذا المقام ثم لايظلم ولايعصى .

كما ورد فى صحيحة داود بن زرى قال أخبرنى مولى لعلى بن الحسين (ع) قال :

كنت بالكوفة فقدم أبو عبدالله (ص) الحيرة فاتيته، فقلت: جعلت فداك لوكلمت داود بن على أو بعض هؤلاء فأدخل فى بعض هذه الولايات؟ فقال : ماكنت لأفعل... الى أن قال: جعلت فداك ظننت أنك انما

→

منه أنين يقطع الاكباد، وفى ليلة من أوائل تلك الليالى اشتد الفزع والأنين الى درجة أرعبنى وأخافنى وارتعشت من الخوف وفقدت السيطرة على نفسى حتى أوشكت على الاغماء .

ولما اطلع على الحال بعض معارفى أخذنى الى منزله، وبعد مدة رجعت الى نفسى متعجباً من حالة ذلك الشخص، حيث لم تكن حالته المعيشية تدعو لما رأيت، الى أن علمت أن ذلك الشخص كان جابياً لديوان المحلة، وكان قد فرض على شخص سيد مبلغاً بغير حق، ولم يكن ذلك السيد قادراً على دفعه فحبسه، ووضعه مدة معلقاً فى سقف بيته .

وينقل أحد الثقات أنه كان رجل فى كاشان يمارس أعمال الجباية للديوان فى صنف العطارين، ومنع بيع وشراء أجناس العطارين.

وصادف أن شخصاً سيداً فقيراً حصل على مقدار من الثوم وباعه لشخص آخر، فلما اطلع ذلك الظالم شتمه كثيراً، وضربه، ومضى السيد لحاله وهو يقول جدى هو الذى يعطيك جزاءك، فسمعه الظالم وأعرض عنه، الأن ملازم ذلك الظالم قال له أعد ذلك السيد فأعاده وضربه بيده عدة ضربات، وقال له أذهب الى جدك وقل له ليخلع كتفى.

وفى اليوم التالى أصيب ذلك الظالم بحمى، ووجع فى كتفه و ورم فى اليوم الثانى فوضعوا على كتفه بعض المعاجين الطبية، وفى اليوم الرابع أزال الاطباء جميع لحم كتفه حتى بان عظمه، ومات فى اليوم السابع) .

كرهت ذلك مخافة أن أجور أو أظلم، وان كل امراة لي طالق، وكل مملوك لي حر، وعلي وعلي أن ظلمت أحداً أو جرت عليه، وان لم أعدل.

قال: كيف قلت؟

فأعدت عليه الأيمان فرفع رأسه الى السماء، فقال: تناول السماء أيسر عليك من ذلك» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

موارد جواز قبول الولاية :

في موردين يجوز قبول الولاية من الظالم، بل في بعضها يجب ذلك كما سيأتي .

المورد الاول : التقية أو الاضطرار والاكراه، بحيث لولم يقبل تعرض للخطر في نفسه أو ماله أو كرامته، والادلة العامة والخاصة التي وردت في جواز هذا القسم من الولاية كثيرة .

مثل قول رسول الله (ص) :

«رفع عن امتي تسعة.. ما أكرهوا عليه... وما أضطروا اليه...» ـ خصال الصدوق ـ

وعن الامام الصادق (ع) قوله :

«مامن شيء الا وقد أحله الله لمن أضطر اليه»

وقد وردت راويات في وسائل الشيعة عن الامام الرضا (ع) أن قبوله لولاية عهد المأمون كانت من باب الاكراه والتقية .

وعن الامام الصادق (ع) أنه سئل عن أعمال السلطان يخرج فيه الرجل ؟

فقال (ع) : الا أن لايقدر على شيء يأكل ولايشرب ولايقدر على حيلة، فان فعل فصار في يده شيء فليبعث بخمسه الى أهل البيت» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

المورد الثانى : المناصب التى ليس فيها أى ظلم وتعد، مثل بعض مقامات الجيش والدولة التى مسؤوليتها حفظ النظم، والراحة، وتأمين الطرقات، وحراسة الحدود الاسلامية من هجمات الاجانب و نظير ذلك، مما يكون لأجل القيام بمصالح المسلمين، ونصرة المظلومين، ومساعدة المؤمنين، وايصال الحق لأهله، فأنه لامانع من ذلك .

والخلاصة أن قبول هذا القسم من المناصب من جهة الظالم بقصد بسط العدل والاحسان للمؤمنين هو أمر جائز بل راجح ومستحب .

عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«كفارة عمل السلطان قضاء حوائج المؤمنين» وسائل الشيعة / التجارة ـ

وعن زياد بن أبى سلمة قال :

دخلت على أبى الحسن موسى(ع) فقال لى :

يا زياد انك لتعمل عمل السلطان؟

قال : قلت أجل

قال لى : ولم ؟

قلت : أنا رجل لى مروة، وعلى عيال، وليس وراء ظهرى شىء.

فقال لى : يازياد لئن اسقط من حالق فأتقطع قطعة قطعة أحب الى من أن أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم الا لماذا؟

قلت : لا أدرى جعلت فداك!

قال : الا لتفريج كربة عن مؤمن، أوفك أسره، أوقضاء دينه.

يازياد : ان أهون مايصنع الله جل وعز بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادقاً من نار الى أن يفرغ من حساب الخلائق .

يازياد : فان وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن الى اخوانك فواحدة بواحدة، والله من وراء ذلك يازياد...» ـ مستدرك الوسائل ـ كتاب

التجارة ـ

وعن الفضل بن عبدالرحمن الهاشمي قال :

كتبت الى أبي الحسن(ع) أستاذنه في أعمال السلطان .

فقال : (لاباس به مالم تغير حكماً، ولم تبطل حداً، وكفارته قضاء حوائج اخوانكم) ـ مستدرك الوسائل ـ كتاب التجارة ـ

وكتب علي بن يقطين ـ وكان رئيس وزراء هرون ـ الى الامام موسى بن جعفر(ع) في الخروج من عمل السلطان؟

فأجابه: انى لاأرى لك الخروج من عمل السلطان، فأن لله بأبواب الجبابرة من يدفع بهم عن أوليائه وهم عتقائه من النار فاتق الله في اخوانك» ـ المستدرك / التجارة ـ

وروى محمد بن اسماعيل بن بزيع (وكان من وزراء هرون وعاصر الامام الكاظم، والرضا، والجواد عليهم السلام، أخذ من الامام الجواد(ع) ثوبه ليكون له كفناً» عن الامام الرضا(ع) أنه قال :

«ان لله تبارك وتعالى بأبواب الظالمين من نور الله به البرهان، ومكن له في البلاد، ليدفع بهم عن أوليائه ويصلح الله به أمور المسلمين، اليهم يلجاء المؤمن من الضر، واليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا، وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة، أولئك المؤمنون حقاً، أولئك أمناء الله في أرضه ـ سفينة البحار/ج ١ / ٣١٦ ـ

تجب الولاية في صورة واحدة :

أحياناً يكون قبول الولاية، وقبول بعض المناصب واجباً لبعض الاشخاص، وذلك في صورة ما اذا كان للشخص يقين بأنه اذا قبل المنصب الفلاني أو قبل الولاية فانه يستطيع حينئذ أن يدفع مفسدة عظيمة عن الدين، أو يمنع منكراً من المنكرات الدينية، الاأن حصول

مثل هذا المورد أمر قليل جداً، حيث أن الشرط الاساسى فيه الاطمئنان بنفسه، وأن لايصدر منه بعد قبول ذلك المقام أى ظلم وأى تعد، وأن لايعمل عملاً على خلاف العدالة وخلاف الوظيفة الالهية، وواضح أن احراز مثل هذا الامر فى نهاية الصعوبة، ففى الرئاسة تختفى أخطار عظيمة يصعب حفظ النفس عنها .

كتب الامام الصادق(ع) فى جواب رسالة عبدالله النجاشى حاكم الاهواز :

«... وزعمت أنك بليت بولاية الاهواز فسرنى ذلك وساءنى.. فأما سرورى بولايتك فقلت: عسى أن يغيث الله بك ملهوفاً من آل محمد(ص)، ويعز بك ذليلهم، ويكسو بك عاريهم، ويتقوى بك ضعيفهم، ويطفى بك نار المخالفين عنهم .

وأما الذى ساءنى من ذلك فان أدنى ما أخاف عليك أن تعثر بولى لنا فلاتشم حظيرة القدس» ـ وسائل الشيعة / التجارة / باب / ٤٩ ـ

وقال رسول الله(ص) :

«من تولى عرافة قوم أتى به يوم القيامة ويداه مغلولتان الى عنقه، فان قام فيهم بأمر الله عزوجل أطلقه، وان كان ظالماً هوى به فى نار جهنم وبئس المصير»

«ومن تولى عرافة قوم ولم يحسن فيهم حبس على شفير جهنم بكل يوم الف سنة وحشر ويده مغلولة الى عنقه، فان قام فيهم بأمر الله أطلقها الله، وان كان ظالماً هوى به فى نار جهنم سبعين خريفا» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

وروى عن الامام الصادق(ع) قوله :

من تولى أمراً من أمور الناس فعدل وفتح بابه ورفع ستره ونظر فى امور الناس كان حقاً على الله عزوجل أن يؤمن روعته يوم القيامة،

ويدخله الجنة» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

ولاننس القول أن لموارد الاستثناء فروعاً كثيرة لـم نذكرها طلباً للاختصار، وعلى الراغبين مراجعة الكتب الفقهية .

(٢) معونة الظالم فى غير الظلم :

معونة الظالم فى غير ظلمه مثل خدمته أو الخياطة له، أو البناء له، أو خزانة أمواله وحفظها، ونظائر ذلك على أقسام ثلاثة :

١ـ أحياناً تكون فى هذه الامور جهة محرمة، مثل أن يأمر البناء أن يبنى فى أرض مغصوبة، أو يخيط قماشاً قد غصبه من الناس، و يحفظ أموالاً أخذها من الناس عنوة، ونظائر ذلك.

ولاشبهة فى حرمة هذا القسم من المعونة، ذلك أن التصرف فى الغصب لكل من يعلم بأنه غصب حرام، يستوى فى ذلك الغاصب وغيره.

٢ـ اما اذا لم يكن فى هذه الأعمال أية جهة حرمة، ولكن بنحو اذا قبلها من الظالم عد فى العرف من أعوان الظالم، وكان ذلك سبباً فى تقويته، وسجل اسمه فى سجل الظلمة، وعد آخذاً من حقوقهم، فالمستفاد من كثير من الروايات أن هذا القسم حرام أيضاً .

روى عن الامام الصادق(ع) :

«من سود اسمه فى ديوان ولد سابع ـ بنى العباس ـ حشره الله يوم القيامة خنزيراً» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

وفى رواية آخرى قال(ع) :

«حشره الله يوم القيامة مسوداً وجهه» ـ المستدرك / التجارة / باب / ٣٥ ـ

وقال(ع) «لاتعنهم على بناء مسجد» .

وعن ابن أبى يعفور قال :

«كنت عند أبى عبدالله(ع) اذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال

له: جعلت فداك انه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة فيدعى الى البناء يبنيه، أو النهر يكريه، أو المسناة يصلحها، فما تقول فى ذلك؟

فقال(ع) :

«ما أحب أنى عقدت لهم عقدة، أو وكيت لهم وكاءاً، وأنلى مابين لابتيها، لاولامدة بقلم، انأعوان الظلمةيوم القيامة فىسرادق من نارحتى يحكم الله بين العباد» .

ويروى محمدبن عذافر عن أبيه قال :

قال أبوعبدالله: ياعذافرنبئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع فما حالك اذا نودى بك فى أعوان الظلمة؟

قال : فوجم أبى .

فقالله أبوعبدالله(ع) لما رأى ما أصابه:أى عذافر انماخوفتك بما خوفنى الله عزوجل به .

قال محمد : فقدمأبىفما زالمغموماً مكروباً حتى مات»ـوسائل الشيعة / التجارةـ

وعن الامام الصادق(ع) قوله :

«حق على الله عزوجل أن تصيروا مع من عشتم معه فى دنياه».

وأيضاً عنه(ع) :

«ان قوماً ممنآمن بموسى(ع) قالوا لوأتيناعسكرفرعون فكنافيه وتلنا من دنياه حتى اذا كان الذى نرجوه من ظهور موسى(ع) صرنا اليه فغعلوا، فلما توجه موسى(ع) ومن معههاربين من فرعون ركبوا دوابهم وأسرعوا فى السير ليلحقوا موسى(ع)وعسكره فيكونوا معه، فبعثالله ملكاً فضرب وجوه دوابهم فردهم الى عسكر فرعون فكانوا فيمنغرق مع فرعون» ـوسائلالشيعة/التجارةـ

وأيضاً عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع، وقووه بالتقية، والاستغناء بالله عزوجل عن طلب الحوائج الى صاحب سلطان، انه من خضع لصاحب سلطان ولمن يخالفه على دينه طلبا لما فى يديه من دنياه أخمله الله عزوجل ومقته عليه، ووكله اليه، فأن هو غلب على شيء من دنياه فصار اليه منه شيء نزع الله جل اسمه البركة منه ولم يأجره على شيء منه ينفقه فى حج ولا عتق، ولا بر» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

ويقول على بن أبى حمزة :

كان لى صديق من كتاب بنى أمية فقال لى، استأذن لى على أبى عبدالله(ع) فاستأذنت له فأذن له، فلما أن دخل سلم وجلس ثم قال:

جعلت فداك انى كنت فى ديوان هؤلاء القوم فاصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت فى مطالبه، فقال أبو عبدالله(ع) :

لولا أن بنى أمية وجدوا لهم من يكتب ويجبى لهم الفيىء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس ومافى أيديهم ماوجدوا شيئاً الاما وقع فى أيديهم .

قال فقال الفتى: جعلت فداك فهل لى مخرج منه؟

قال : ان قلت لك تفعل؟

قال : أفعل قال له: فاخرج من جميع ماكسبت فى ديوانهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وأنا أضمن لك على الله عزوجل الجنة، فأطرق الفتى طويلاً ثم قال له: لقد فعلت جعلت فداك .

قال ابن أبى حمزة: فرجع الفتى معنا الى الكوفة فماترك شيئاً على وجه الارض الاخرج منه حتى ثيابه التى كانت على بدنه .

قال : فقسمت له قسمه واشترينا له ثياباً وبعثنا اليه بنفقة .

قال : فما أتى عليه الا أشهر قلائل حتى مرض، فكنا نعوده ،

قال : فدخلت عليه يوماً وهو فى السوق ـ الاحتضار ـ، قال ففتح عينيه ثم قال لى: ياعلى وفى لى والله صاحبك .

قال: ثم مات فتولينا أمره، فخرجت حتى دخلت على أبى عبدالله (ع) فلما نظر الى قال لى: ياعلى وفيناوالله لصاحبك .

قال : «فقلت جعلت فداك والله هكذا والله قال لى عند موته» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

٣ـ معونة الظالم بدون ارتكاب حرام، ولاتقوية، ولاصدق الاسم:

والقسم الثالث هوا الأعمال التى ليس فيها جهة حرمة، ولاهى سبب فى تقوية الظالم ولايعد بسببها داخلاً فى جهاز الظالم عرفاً، مثل أن يؤجرله سيارته، أويكون أجيراً له فى حمل الاجناس المباحة، كالا طعمة، من مدينة لأخرى، ومثل العمل فى بناء بيت الظالم وأخذ الاجرة منه .

وحرمة هذا القسم وان لم تكن مسلمة كما ذكر بعض الأكابر الا أن الاحتياط الأكيد فى تركه، وذلك أولاً: لشمول اطلاقات الروايات السابقة وغيرها لهذا القسم وثانياً : ان الشخص فى مثل هذا المورد يبتلى غالباً بالركون (الميل القلبى) للظالم، ويكون فى معرض الخطر الكبير .

كلام الامام الكاظم لصفوان الجمال :

صفوان الجمال الكوفى من أصحاب الامام الصادق (ع) والامام موسى الكاظم (ع)، وهو رجل صاحب تقوى، وكانت معيشته تعتمد على تأجير ابله .

يقول : دخلت على أبى الحسن (موسى بن جعفر (ع)) فقال لى:

يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ماخلا شيئاً واحداً ،

قلت : جعلت فداك أى شيء؟

قال : اكراؤك جمالك من هذا الرجل، يعنى هارون .

قال : والله ما أكريته أشراً ولابطراً ولا للصيد ولاللهو ولكنى أكريته لهذا الطريق يعنى مكة، ولا أتولاه بنفسى، ولكن أبعث معه غلمانى ـ

فقال لى : ياصفوان أيقع كراؤك عليهم ؟

قلت : نعم جعلت فداك .

قال : فقال لى: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟

قلت : نعم .

قال : من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار.

قال صفوان : فذهبت فبعت جمالى عن آخرها .

فبلغ ذلك الى هارون فدعانى فقال لى: ياصفوان بلغنى أنك بعت جمالك، قلت نعم، قال : ولم ؟

قلت : أناشيخ كبير وان الغلمان لايفون بالاعمال؟

فقال : هيهات هيهات انى لأعلم من أشار عليك بهذا ،

أشار عليك بهذا موسى بن جعفر ،

قلت : مالى ولموسى بن جعفر؟

فقال : «دع هذا عنك، فوالله لولاحسن صحبتك لقتلتك» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

وعن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«ومن أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

وعنه(ع) فى قول الله عزوجل «ولاتركنوا الى الذين ظلموا

فتمسكم النار» قال : هو الرجل يأتى السلطان فيحب بقاءه الى أن يدخل يده الى كيسه فيعطيه» ـ وسائل الشيعة / التجارة ـ

٤ـ معونة الظالم الذى لايكون الظلم مهنته :

القسم الرابع هوأن يعين من لايكون الظلم مهنةله، بل صدفة وفى مورد أوعدة موارد يظلم أحداً، بأن يضرب أحداً بدون حق، أو يهتك حرمته، أو يأخذ ماله بدون حق، أو لايؤدى حقه .

لاشبهة فى حرمة معونة مثل هذا الظالم فى ظلمه، أى أن من يعلم بأن هذا الشخص ظالم فى هذا العمل، ومع علمه هذا يقوم بمعونته حتى يصل الى هدفه فذلك حرام، بل هو من الذنوب الكبيرة، ذلك أن الظلم نفسه من الكبائر ومن الذنوب التى أوعدالله عليها بالعذاب حيث يقول تعالى :

«انا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوابما كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا» ١٨/ ٢٩

كما أن مساعد الظالم فى ظلمه شريك معه فى الاثم كما قال الامام الصادق(ع): «العامل بالظلم والمعين له والراضى به شركاء ثلاثتهم» ـ الوسائل ـ التجارة ـ

وقريب من هذا المضمون ماورد عن الامام الباقر(ع) .

وروى عن رسول الله(ص) أنه قال :

«من نكث بيعة، أورفع لواء ضلالة، أوكتم علماً، أواعتقل مالاً ظلماً أو أعان ظالماً على ظلمه، وهو يعلم أنه ظالم فقد برء من الاسلام» ـ المستدرك ـ التجارة باب ٣٥ ـ

وفى حديث المعراج قال(ص) :

«ورأيت على أبواب النار مكتوباً على الباب الاول.. الى أن قال: وعلى الباب الرابع مكتوب ثلاث كلمات :

أذل الله من أهان الاسلام .

أذل الله من أهان أهل البيت ،

أذل الله من أعان الظالمين على ظلمهم للمخلوقين» ـ المستدرك التجارة ـ باب ٣٥

وبالجملة فانه يستفاد من الآيات والروايات أن الظلم ذنب كبير، والمعين للظالم فى ظلمه مساو له فى المعصية، هذا مضافاً. الى أن معونة الظالم هى ترك لأهم الواجبات الالهية وهو النهى عن المنكر، بل فى الحقيقة يصبح المعين منافقاً من حيث أنه لم ينه عن المنكر و ذلك من صفات المنافقين، كما فى الآية ٦٦ من سورة البراءة حيث يقول تعالى :

«المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف»

يجب منع الظلم :

يجب على المسلم الذى يرى ظالماً وهو يظلم أحداً أن يمنعه اذا كانت شرائط وجوب النهى عن المنكر مجتمعة، كما قال رسول الله (ص:)

«أنصر أخاك ظالماً كان أو مظلوما، فقيل يارسول الله ننصره مظلوماً فما بالنا ننصره ظالما؟

فقال : «خذوا على يديه وامنعوه عن الظلم فهذا نصرتكم لاخيكم».

أى امنعوا عن تلوثه بالوزر واثم الظلم .

(٣) معونة من لايكون الظلم مهنة له فى غير الظلم :

معونة مثل هذا الظالم فى سائر الجهات أمر مباح، وتكون حراماً اذا كانت سبباً فى جرأة ذلك الشخص على تكرر أو اشتداد ظلمه، أو

كانت باعثة على عدم ندمه وتوبته من ذلك الظلم .

والخاصة أن معونة الظالم فـى سائر الامور تكون حراماً من باب وجوب النهى عن المنكر، أما اذالم يكن لتلك المعونة أى أثر صغير فى ظلمه اثباتاً ونفياً ابتداءاً واستمراراً فانها ليست حراما،

بناءاً على ذلك لاتحرم معونة الظالم فى غير مجال ظلمه اذالم تكن مورداً من موارد النهى عن المنكر .

(٤) يجب أن لايعين على الأثم أيضاً :

أمامعونة المذنب الذىذنبه غيرالظلم، مثل ترك الصلاةوالصيام وشرب الخمور، والزنا، ولعب القمار وغير ذلك، فقد ذكرنا فـى أول البحث أن الآيات والروايات تعتبر كل مذنب ظالماً لنفسه، و بناءاً على ذلك فكل من يعين الغير فى ارتكاب معصية يكون معيناً للظالم، وذلك حرام يقيناً، وهو شريك معه فى الاثم والعقوبة، كما جاءفى سورة المائدة حيث يقول تعالى :

«تعاونوا على البر والتقوى، ولاتعاونوا على الاثم والعدوان، واتقوا الله ان الله شديد العقاب»(١) المائدة / ٢

وجميع أدلة وجوب النهى عـن المنكر، والتهديدات الواردة على تركه والتى ذكرت سابقاً تشمل هذا المورد .

المعونة فى الأثم على قسمين :

١ـ توفير المقدمة لمن يريد أن يرتكب ذنباً، مثل أن يصنع من عنبه خمراً لأجل أن يبيعه بائع الخمور .

١ـ نظراً لشدة العقوبة الالهية التى ذكرت جاء فى بعض الاحاديث لوأن أهل النار وجدوا مكاناً فىنار الدنيا لغلبهم النوم، واستراحوا فيها (الحديث بالمضمون).

٢ـ أن يوفر العمل الحرام لكن من دون أن يقصد بذلك ارتكاب الحرام من قبل ذلك الشخص، الاأن الأمركان بنحو بحيث لولم يهيىء تلك المقدمة لما وقع الحرام .

مثلا : أن يبيع صاحب العنب عنبه لمن يصنعه خمراً، ولم يكن يقصد بذلك أن يصنع خمراً، الاأنه حيث كان بائع العنب منحصراً بهذا الشخص ـمثلاـ بحيث لولم يبعه لتعطل صانع الخمر (اذلايوجد عنب فى مكان آخر، أو لايبيعوه، أوغير متاحله) ففى هذه الصورة لاشك فى حرمة بيع العنب حتى وان لم يقصد بائعه أن يصنع خمراً، وذلك لأن بيع فى هذه الصورة هو (اعانة على صنع الخمر) عرفاً .

معونة المذنب فى غير الذنب :

معونة المذنب فى غير الذنب مثل أن يقرض شارب الخمر أو تارك الصلاة ديناً، أو يغيثه فى موارد الضرورة والحاجة، وهو أمر كثيراً ما يتفق للناس، وتعيين التكليف فى مثل هذه الموارد مشكل جداً، اذأنه من موارد تزاحم الحقوق، فمن جهة ورد الأمر بوجوب الابتعاد عن أهل المعاصى، كما وردعن أمير المؤمنين(ع) أنه قال :

«أمرنا رسول الله(ص) أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهرة» ـوسائل الشيعةـ

وقال الامام الصادق فى توبيخ بعض أصحابه :

«وأنتم يبلغكم عن الرجـل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولاتوءذونه حتى يترك» ـالتهذيبـ الطوسى ـ

وقد ورد بالنسبة الى بعض الـذنوب روايات مشدده، منها قوله(ع) :

«من أعان تارك الصلاة بلقمة أو كسوة فكأنما قتل سبعين نبياً

أولهم آدم وآخرهم محمد(ص)» لئالى الاخبار .

وفى خبر آخر قال(ص) :

«من أعان تارك الصلاة بشربة ماء فكأنما حارب وجادل معى ومع جميع الانبياء» لئالى الأخبار .

وقال(ع) :

«من تبسم فى وجه تارك الصلاة فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة وقتل سبعين ملكاً» لئالى الاخبار .

وروايات اخرى بهذا المضمون، وكذلك ماورد فى اجتناب مصاحبة شارب الخمر، وقاطع الرحم، والكذاب، فقدوردت تهديدات عديدة. ومن جهة أخرى وردت روايات عديدة فى وجوب رعاية حق المؤمن، والمحب لأهل البيت(ع)، والرحم، والسادات والجار، و غيرهم، ووجوب محبتهم ومصاحبتهم، وظاهر هذه الروايات غير مختص بأهل التقوى، اى أن رعاية حق الرحم واجبة وقطع الرحم حرام بشكل عام، حتى وان لم يكن من أهل التقوى، كما تقدم فى قطع الرحم وعقوق الوالدين حتى وان كان كافراً أو فاجراً فانه حرام، وورد بالنسبتة الى السادات .

«أكرموا أولادى، الصالحون لله، والطالحون لى»(١)

وفى محبى آل محمد(ص) يقول الامام الرضا(ع) :

«كن محبا لآل محمد(ص) وان كنت فاسقاً، ومحباً لمحبهم وان كانوا فاسقين» دار السلام ٢ / ص ٢٠٣

وفى الجار ورد قوله(ص): «الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق حق الاسلام وحق الجوار وحق القرابة، ومنهم من له حقان حق

١ــ فى كتاب الكلمة الطيبة للمرحوم النورى، نقلاً عن الشهيد الاول فى كتاب الدرة الباهرة، وهكذا فى كتاب فضائل السادات .

الاسلام وحق الجوار، ومنهم من له حق واحد، الكافر له حق الجوار» المستدرك / أبواب احكام العشرة / باب ٧٢

بناءاً على ذلك يجب محبة محبى أهل البيت(ع)، ومعونتهم، وقضاء حوائجهم حتى وان لم يكونوا من أهل التقوى،

كما يجب احترام السادات ورعاية الرحم حتى اذا كان من العاصين.

اذن ماهو التكليف؟

الجمع وان لم يمكن فالأهم :

فى صورة تزاحم الحقوق، واجتماع عدة تكاليف مختلفة يجب فى المراحلة الاولى الجمع بينها اذا كان ممكناً، واطاعة الكل وامتثاله.

وأما اذا لم يكن الجمع ميسوراً وكان مضطراً للعمل ببعض وترك الآخر، فيجب ملاحظة الأهم والمهم.

يعنى : اى تكليف كان أقرب للشارع المقدس، وجب تقديمه على الأخر، مثلاً اذا كان صائماً صوماً واجباً معيناً، وغرق ابنه فى الماء بنحو تعين أن يغطس هذا الشخص فى الماء وينجيه، ففى هذه الصورة يتوجه على هذا الشخص تكليفان مختلفان لايمكن الجمع بينهما، أحدهما حرمة غمس الراس فى الماء لأنه صائم، والآخر وجوب انقاذ النفس المحترمة وهو متوقف على غمس رأسه فى الماء، فهنا عمل واحد هو حرام من جهة وواجب من جهة.

ولاشك أن انقاذ النفس المحترمة أهم فى نظر الشارع، ومقدم على الافطار الذى هو أمر قابل للتدارك بالقضاء.

بناءاً على ذلك يجب عليه أن يغمس رأسه فى الماء وانقاذ الطفل، من دون أن يكون قد ارتكب بذلك ذنباً، بل عمل بواجبه ويؤجر عليه.

النهى عن المنكر أهم :

اذا اتضح هذا الأمر يعلم أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمقتضى نص الايات والروايات من الواجبات الالهية المهمة التى لاشك فى تقدمها اذا تزاحمت مع بعض الحقوق الواجبة .

مثلاً اذاكان الاب أوالام أوالولد أوسائر الاقارب غير مصلين، أو يعملون المعاصى، وكان حالهم بنحواذالم يحسن لهم، أويساعدهم عند الضيق، امتنعوا عن عملهم القبيح، أو يصيروا من المصلين، ففى هذه الصورة يجب من باب النهى عن المنكر أن يحسن لهم وأن لايساعد رحمه .

وبنحو عام اذاكان ترك الاحسان نافعاً وجب ذلك وأما اذاكان لايتنبه بقطع الاحسان عنه، وغير مستعد لاجتناب المعصية، فأنه لايعلم حينئذ أن الاحسان وتقديم المعونة اليه حرام وذلك أن تقديم المعونة للعاصى انماكان حراماً اذاكان بنحولولم يعنه لاجتنب المعصية (أى كان من باب النهى عن المنكر) اما اذاكان تقديم المعونة وعدمه، الاحسان وعدمه، سواءاً فى عدم اجتنابه للمعصية، فسوف تسقط حرمة ذلك من باب النهى عن المنكر، ولايعلم أنه حرام من جهة أخرى.

مثلاً: حرمة مساعدة تارك الصلاة ـ التى ذكرت قبلاً ـ انما هى فى صورة ماإذا كانت عدم مساعدته سبباً فى التزامه بالصلاة، اذن لوكان والد الشخص أو أقربائه غير مصلين، ولو قطع عنهم الاحسان لبقواغير مصلين أيضاً، ففى هذة الصوره تبقى حرمة قطع الرحم، و والعقوق على حالها.

يجب مراعات المراتب :

ولايفوتنا القول أن ماتقدم من أولوية قطع المساعدة والاحسان

من باب النهى عن المنكر ـ على سائر الحقوق ـ مثل حق الرحم و السيادة والجوار انما هو فى صورة :

أولاً: اجتماع شرائط وجوب النهى عن المنكر (والتى من جملتها احتمال التأثير)

ثانياً : أن تكون المرتبة الأقل من ترك المساعدة غير مفيدة، ذلك أنه يشترط فى النهى عن المنكر ـ على تفصيل سيأتى ـ مراعاة المراتب، يعنى الأخذ بالمرتبة الأسهل مهما أمكن، ولايتجاوز الى المرتبة الأشد .

بناءاً على ذلك فاذا كان العاصى يتخلى سريعاً عن المعصية بمجرد قطع الأحسان عنه فلاشك حينئذ فى وجوب ذلك من باب النهى عن المنكر .

مثلا : اذاكان الاب أو الابن غير مصل، ويحتمل قوياً من خلال المحبة وتقديم المعونة اليه (كما هو كذلك فى الغالب لأن الانسان عبيدالأحسان) أن يصير مصلياً مادام الأحسان مستمراً عليه .

ففى هذه الصورة يجب الاحسان اليه ومعونته.

وخلاصة المطلب : أنه فى صورة ماذالم يكن للأحسان والمعونة أى ربط بمعصية ذلك الشخص وجوداً وعدماً واستمراراً، فحرمته غير معلومة، بل فى بعض الموارد ـ التى تكون تلك الحقوق مسلمة شرعاً ـ تجب الاعانة والاحسان ويحرم تركها .

(٣٠)

عدم نصرة المظلومين

والثلاثون من الذنوب التى ورد التصريح بأنها من الكبائر عدم نصرة المظلومين وعدم دفع الظلم عنهم، كماعد ذلك من الكبائر فى رواية الاعمش عن الامام الصادق(ع) حيث قال(ع) «وترك معونة المظلومين» اى ان من جملة الذنوب الكبيرة ترك معونة المظلومين.

وفى الحقيقة أن نصرة المظلوم هى نهى عملى عن المنكر، اذن فمن لم ينصر المظلوم يكون تاركاً لأعظم واجب الهى .

عن الامام موسى بن جعفر(ع) :

«من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيراً به فى بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله» ـ الكافى ـ

وعن الامام الصادق(ع) :

«أيما مؤمن بخل بجاهه على أخيه المؤمن وهو أوجه جاهاً منه الا مسه قتر وذلة فى الدنيا والاخرة وأصابت وجهه يوم القيامة نفحات النيران معذباً كان أو مغفوراً له» ـ بحار الانوار

وعن الامام الباقر(ع) قوله :

«لايحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولا ولامظلوماً اذالم ينصره، فأن نصرة المؤمن على المؤمن فريضة واجبة اذا هو حضره والعافية أوسع مالم يلزمك الحجة الباهرة» ـ سفينة

البحار / مجلد ٢ / ٥٩٠ ـ

وفى الرواية أن الحسين (ع) اجتمع فى قصر بنى مقاتل بـ (عمرو بن قيس المشرقى وابن عمه) فقال لهما الحسين :

جئتما لنصرتى ؟

قال : لا، انا كثيرو العيال وفى أيدينا بضائع للناس ولم ندر ماذا يكون ونكره أن نضيع الأمانة .

فقال لهما عليه السلام : انطلقا فلا تسمعا لـى واعية ولا ترياى سواداً فانه من سمع واعيتنا أو راى سوادنا فلم يجبنا أو يغثنا كان حقاً على الله عزوجل أن يكبه على منخريه فى النار» ـ عقاب الاعمال / للصدوق ـ

وعن الامام الصادق (ع) :

«جلد بعض الاحبار فى قبره من عذاب الله فامتلأ قبره نارا لأنه صلى يوماً بغير وضوء ومر على ضعيف فلم ينصره» ـ سفينة البحار / مجلد ٢ ـ

وقال رسول الله (ص) :

«وينصره ظالما ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فبرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه» ـ دار السلام / مجلد ٢ / ١٩٧ ـ

وقال الامام الصادق (ع) :

«ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته الا خذله الله فى الدنيا والاخرة ـ بحار الانوار ـ

وعن الامام الباقر (ع) :

«من أعيب عنده أخوه المؤمن فلم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه فضحه الله فى الدنيا والاخرة»

يعلم من هذا الحديث وأحاديث أخرى أن وجوب نصرة المظلوم لااختصاص له بالمظلوم من الناحية المالية أو البدنية، بل من ناحية الكرامة والشرف أيضا، حيث أن كرامة المؤمن محترمة كالمال والدم، فكما أن اهراق دمه وسلب أمواله غير جائز فكذلك هدر كرامته حرام أيضاً.

وقد جاء فى الروايات تهديد شديد على ذلك.(١)

وكما يجب نصرة المؤمن والوقوف ضد قتله، وسلب أمواله، فكذلك يجب نصرته فى حفظ كرامته وماء وجهه.

قال رسول الله(ص):

«من تطول على اخيه فى عيبة سمعها فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر فى الدنيا والاخرة، فأن هولم يردها وهوقادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة».

يقول الشيخ الانصارى:

«ولعل وجه زيادة عقابه أنه اذالم يرده تجرأ المغتاب على الغيبة فيصر على هذه الغيبه وغيرها».

والظاهر أن الرد غير الغيبة، والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة، فأن كان عيباً دنيوياً انتصر له بأن العيب ليس الاماعاب الله من المعاصى التى من أكبرها ذكرك أخاك بمالم يعبه به الله، وان كان عيباً دينيا وجهه بمحامل تخرجه عن المعصية»(٢)

فاذا قيل ـ مثلاً ـ فلان لايؤدى الصلاة! يقال فى جوابه: لعله نسى،

١ـ عن الامام الصادق(ع) «من روى على مؤمن رواية يريدبها شينه وهدم مروته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان، فلايقبله الشيطان» اصول الكافى.

٢ـ المكاسب المحرمة/الشيخ الانصارى.

أوصلى ولم تعرف بذلك ،

واذا قيل فلان يشرب الخمر، يقال: لعله لم يكن خمراً، وان افترض صحة الخبر قال: المؤمن غير معصوم، وقد يبتلى أحياناً بمعصية، فيجب الاستغفار له والشفقه به، لا الطعن به في غيابه .

وتفصيل هذا المطلب يذكر في بحث (الغيبة) ـ ان شاء ا... تعالى ـ

الاعانة لاتنحصر بالمستغيث :

يجب أن يعلم أن وجوب اعانة المظلوم لاينحصر بالمظلوم الذى يطلب العون منه، بل كل من علم بذلك، وكان قادراً على دفع الظلم عن المؤمن، وجب عليه .

نعم، اذا استنصر ذلك المظلوم كان الوجوب مؤكداً وشديداً.

يقول رسول الله (ص) :

«من سمع رجلاً ينادى يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» ـ وسائل الشيعة / الجهاد باب / ٥٩ ـ

ويقول الامام الصادق (ع) :

«أيما مؤمن سأله أخوه المؤمن حاجته وهو يقدر على قضائها فرده سلط الله عليه شجاعاً فى قبره ينهش أصابعه» ـ المستدرك ـ كتاب الامر بالمعروف

وأيضاً قال (ع) :

«لم يدع رجل معونة أخيه المسلم حتى يسعى فيها ويواسيه الا ابتلى بمعونة من يأثم ولا يؤجر» الكافى

وبهذا المضمون وردت روايات عديدة .

ويقول الامام السجاد (ع) :

«والذنوب التى تنزل البلاء ترك اعانة الملهوف» ـ معانى الاخبار ـ

وفى دعائه(ع) :

«اللهم انى أعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتى فلم أنصره»

ـالدعاء ٣٨ من الصحيفة السجاديةـ

والاخبار الواردة فى هذا المجال كثيرة جداً نكتفى بهذا المقدار.

نصرة المظلوم لاتختص بالمؤمن :

لااختصاص لوجوب نصرة المظلوم بالمؤمن، بل مقتضى اطلاق بعض الادلة الواردة فى المقام، وعموم أداء وجوب النهى عن المنكر، هو وجوب نصرة المظلوم عند القدرة، حتى وان لم يكن شيعياً، بل كان من سائر فرق المسلمين، بل حتى اذا كان كافراً (غير حربى)، أو كان المظلوم حيواناً، فأنه يجب من باب النهى عن المنكر منعه ودفع ذلك الظلم.

جاء فى (منتهى الآمال) أن المنصور الد وانيقى فى السنة التى ذهب فيها الى مكة المكرمة جيىء اليه بمجوهرة ثمينة لغرض بيعها عليه فنظر فيها المنصور طويلاً ثم قال انها من مجوهرات هشام بن عبد الملك بن مروان التى يجب أن أظفر بها وقد بقى له ولد اسمه محمد ما أراه ألا أنه هو الذى عرضها ليبيعها، ثم دعى حاجبه (الربيع) وأمره أن يغلق ابوأب المسجد الحرام بعد صلاة الصبح من اليوم الأتى، و يترك واحدة منها مفتوحة لخروج الناس، ويقبض على محمد بن هشام ويحضره اليه.

وفى اليوم التالى بدأ الناس بالخروج من تلك الباب الواحدة، ولكن محمد بن هشام عرف بأن المقصود من ذلك القبض عليه فظهر عليه القلق والاضطراب ولم يدر مايفعل، وهنا التقى معه محمد بن زيد بن على بن الحسين(ع) فسأله من أنت؟ ومم اضطرابك؟ فقال له:

لئن عرفتك بنفسي هل تعطيني ألأمان؟ فقال: نعم، فقال: انامحمدبن هشام بن عبدالملك بن مروان، فمن أنت؟ فقال: انا محمدبن زيدبن علي بن الحسين(ع) ولئن كان أبوك قدقتل أبي (زيد) الاأنك يابن العم في أمان، فلست أنت قاتل أبي، ولابد أن انقذك الان مماأنت فيه، وقدحضرني الأن ماأستطيع به انقاذك شريطة أن توافق عليه ولا تخف، فلما وافق محمدبن هشام خلع محمدبن زيد رداءه وألقاه على وجهه وبدأ يجره قليلاً قليلاً، ويضربه بين حين وآخر فلما انتهى الى باب المسجد نادى الربيع قائلاً: هذا جمال من أهل الكوفة قد آجرني بعيراً ثم دفعه لغيري، ولي على ذلك شاهدان عادلان فابعث معي رجلين من شرطتك لأخذه الى القاضي، فلما سمع الربيع بذلك أرسل معه اثنين من رجاله، وخرجوا جميعاً من المسجد، وفي وسط الطريق التفت محمدبن زيد الى محمدبن هشام وقال له: يا خبيث لو دفعت لي حقي لأرحنابذلك القاضي والشرطة. فقال له محمدبن هشام ـ وقد التفت الى مايريده ـ يابن رسول الله سمعاً وطاعة! فالتفت محمدبن زيد الى الشرطة وقال لهم قد تعهدلي بحقي فانصرفا.

ولما انصرفا ونجامحمدبن هشام من خطر الموت وقع على محمدبن زيد يقبل رأسه ووجهه قائلاً: فداك أبي وأمي الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم أخرج من جيبه مجوهرة وقال: اقبلها مني فقال له محمدبن زيد نحن أهل بيت لانأخذ أجراً على خير عملناه، وقد أعفيتك من دم أبي فما أصنع بالمجوهرة؟

العابد الذي خسفت به الأرض :

روى الشيخ الطوسي عن الامام الصادق(ع) «أن رجلاً من عباد بني اسرائيل كان مشغولاً بصلاته فرأى طفلين ينزعان عن ديك ريشه

وهو يستغيث، فلم يعبأ له العابد وضل مشغولاً بصلاته، فأوحى الله الى الارض أن تخسف به فهو تحتها الى اخر الدنيا» ـ الرواية ليست نصاً ـ

آثار عظيمة لنصرة المؤمن في الدنيا والآخرة :

الاخبار الواردة في أهمية، وزيادة ثـواب نصرة المظلومين ـ وبنحو كلي السعي في حاجات المؤمنين ـ كثيرة نشير الى بعضها لمزيد الاطلاع .

روى زيد الشحام عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته كتب الله عزوجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من من الله يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ويدخر له احدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله) ـ وسائل الشيعة ـ كتاب الامر بالمعروف / ٢٩ ـ

وقال(ع): أوحى الله عزوجل الى داود: ان العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأدخله الجنة، قال: يارب وماتلك الحسنة؟

قال: يفرج عن المؤمن كربته ولو بتمرة، فقال داود(ع): حق لمن عرفك أن لاينقطع رجاؤه منك» ـ بحار الانوار ـ

١ـ يقول بعض الاكابر : رأيت شخصاً وهو في حاله الاحتضار في غاية الظلمة فاستوحشت وقلت في نفسي لومات على هذا الحال فماذا سيكون مصيره؟ وفجأة ارتفع نداء يقول : ياملك الموت انتظر فأن له على حقاً يجب أن اؤديه له، وفجأة شعت عليه انوار فانقلبت ظلمته الى نور، وعفونته الى عطور، وقبح منظره الى أجمل صورة، واصبح بدنه يتلألأ كأنه قطعة بلور ثم مات وهو في تلك الحال .

فسألت الله تعالى أن يعرفني ماكان حقه عليه، فرأيت في عالم الرؤيا ذلك ←

وروى فى كتاب (الفقيه) عن ميمون بن مهران أنه قال:
«كنت جالسا عند الحسين بن على عليهما السلام فأتاه رجل فقال له:
يابن رسول الله ان فلاناً له على مال ويريد أن يحبسنى فقال (ع):
والله ماعندى مال فأقضى عنك، قال: فكلمه. قال: فلبس (ع) نعله
فقلت له يابن رسول الله أنسيت اعتكافك؟
فقال: لم أنس، ولكنى سمعت أبى عليه السلام يحدث عن رسول
الله (ص) أنه قال من سعى فى حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله
عزوجل تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله».

رسالة الامام الصادق (ع) لحاكم الاهواز :

ورد أن عاملاً من عمال النجاشى ـ وكان حاكماً على الاهواز ـ
دخل على الامام الصادق (ع) وقال له: ان فى ديوان النجاشى على
خراجاً وهو مؤمن يدين بطاعتك فأن رأيت أن تكتب لى اليه كتاباً
قال فكتب اليه أبو عبد الله (ع) «بسم الله الرحمن الرحيم، سر أخاك
يسرك الله) قال: فلما ورد الكتاب عليه دخل عليه وهو فى مجلسه
فلما خلا ناوله الكتاب وقال: هذا كتاب أبى عبد الله (ع) فقبله ووضعه
على عينيه وقال له :
ماحاجتك؟ قال: خراج على فى ديوانك، فقال له: وكم هو؟ قال:
عشرة آلاف درهم، فدعا كاتبه وأمره بأدائها عنه ثم أخرجه منها،
وأمر أن يثبتها له لقابل ثم قال له : سررتك؟
فقال: نعم جعلت فداك، ثم أمر له بمركب وجارية وغلام وأمر

→ الشخص وسألته فقال : أما سيئاتى فقد رأيت، ولكن يوماً مارأيت مظلوماً يريدون اعدامه من دون ذنب، وحيث كان لى يد فى جهاز السلطان سعيت وانقذته، وكان ذلك سبباً فى أن أغاثنى ربى وأنا فى اسوأ الاحوال .

له بتخت ثياب فى كل ذلك يقول له هل سررتك؟ فيقول: نعم، جعلت فداك، فكلما قال نعم زاده حتى فرغ. ثم قال له: احمل فرش هذا البيت الذى كنت جالساً فيه حين دفعت الى كتاب مولاى الذى ناولتنى فيه وارفع الى حوائجك، قال: ففعل وخرج الرجل، فصار الى أبى عبدالله (ع) بعد ذلك فحدثه الرجل بالحديث على جهته فجعل يسر بما فعل فقال الرجل: يا بن رسول الله كأنه قد سرك ما فعل بى؟

فقال: «اى والله لقد سر الله ورسوله» ـ اصول الكافى ـ

وروى يقطين والد على بن يقطين قال: كان لوالى الاهواز ـ وهو أحد كتاب يحيى بن خالد ـ على مبلغ لا أستطيع دفعه الا أن أبيع كل ما أملك، فقيل لى أنه من الشيعة ولكن خشيت أن ألاقيه ثم لا يكون شيعياً، ولم أجد حيلة الا أن فررت من الاهواز الى مكة، وبعد أن فرغت من مناسك الحج عدت الى المدينة ودخلت على الصادق (ع) وعرضت عليه ما أنا فيه وأنى قد لجأت الى الله والبه، فقال لى (ع) لا خوف عليك ثم كتب (ع) فى رقعة صغيرة: «بسم الله الرحمن الرحيم. ان لله فى ظل عرشه ظلالاً لا يملكها الا من نفس عن أخيه المؤمن كربة و أعانه بنفسه أو صنع اليه معروفاً ولو بشق تمر، وهذا أخوك والسلام» يقول يقطين: ثم ختمها (ع) وأعطانيها وأمرنى بأن أوصلها الى الوالى، فلما رجعت الى الاهواز ذهبت الى الوالى ليلاً واستأذنت فى الدخول عليه وقلت. رسول الصادق اليه، وفجأة رأيته قد خرج حافياً و بمجرد أن وقعت عينه على سلم على وقبل ما بين عينى وقال سيدى أنت رسول مولاى؟ قلت: نعم، فقال: فداء لعينيك أن كنت صادقاً ثم أخذ بيدى وقال كيف تركت مولاى؟ قلت: بأحسن حال، فقال: والله، قلت: والله، وكرر على سؤاله ثلاث مرات، ثم سلمته رسالة الامام (ع) فقرأها وقبلها ووضعها على عينيه، ثم قال: أى أخى هات أمرك،

فقلت: فى سجلك على عدة آلاف درهم وفيها هلاكى،

فنادى صاحب السجل ومسح ماكان على من المبلغ، وسلمنى سنداً بأدائها جميعاً، ثم طلب صندوق ماله، واعطانى نصفه، ثم طلب خيله فأخذ اليه واحدة ثم دفع لى واحدة، ثم طلب ثيابه فأخذ اليه واحداً ودفع الى واحداً حتى ناصفنى جميع أمواله، وقال لى: أى أخى هل سررت؟ فقلت، اى والله .

ولما صار موسم الحج قلت فى نفسى أنى لاأستطيع مكافأته الا أن أذهب للحج وأدعو له عندالله ورسوله(ص) ثم أذهب الى مولاى الصادق(ع) وأشكر الوالى عنده واساله الدعاء له.

فلما دخلت على الصادق(ع) بعد رجوعى من مكة، قرأت فى وجهه السرور، ثم سألنى عن قصتى مع الرجل، فشرعت أقص له الحال، وأرى السرور يعلو وجهه ثم قلت: مولاى هل سرك ماصنع معى؟ فقال : اى والله، لقد سر آبائى، والله لقد سر أمير المؤمنين، والله لقد سر رسول الله(ص)، والله لقد سر الله فى عرشه .

الامام الكاظم(ع) مع على بن يقطين :

استأذن ابراهيم الجمال وكان من الشيعة على على بن يقطين، وكان وزيراً لهرون الرشيد فحجبه لأنه جمال، فحج على بن يقطين فى تلك السنة فاستأذن بالمدينة على الامام موسى بن جعفر(ع) فحجبه فرأه ثانى يومه خارج الدار فقال على بن يقطين ياسيدى ما ذبنى؟ فقال حجبتك لأنك حجبت اخاك ابراهيم الجمال وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفرلك ابراهيم الجمال! قال على: فقلت ياسيدى ومولاى من لى بابراهيم الجمال فى هذا الوقت وانا بالمدينة وهو بالكوفة ؟

فقال: اذاكان الليل فامضى الى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من اصحابك وغلمانك وتجد نجيباً هناك مسرجاً فاركبه وامضى الى الكوفه.

فوافى البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب ابراهيم الجمال بالكوفة فى مدة قصيرة، فقرع الباب وقال أنا على بن يقطين فقال ابراهيم الجمال من داخل الدار وما يعمل على بن يقطين الوزير ببابى؟

فقال على بن يقطين: ماهذا ان أمرك عظيم، وآلى عليه أن يأذن له، فلما دخل قال يا ابراهيم ان المولى عليه السلام أبى أن يقبلنى أو تغفرلى!!

فقال: يغفر الله لك.

فألى على بن يقطين على ابراهيم الجمال أن يطأخده فامتنع ابراهيم من ذلك، فألى عليه ثانياً ففعل فلم يزل ابراهيم يطأخده و على بن يقطين يقول: اللهم اشهد ثم انصرف وركب النجيب ورجع الى المدينة من ليلته وأناخه بباب المولى موسى بن جعفر عليه السلام فأذن له ودخل عليه فقبله»

من هذا الحديث يعلم عظمة حقوق اخوة الايمان، فمع أن على بن يقطين من خواص الامام الكاظم(ع) وقد قبل الوزارة بأمره، وكان محل اهتمام، وعناية الامام(ع)، ومع كل ذلك فانه(ع) رفض أن يستقبله حتى يرضى عنه ابراهيم الجمال. والى أن ذهب على بن يقطين بأمر اعجازى وبطى الارض الى الكوفة ورضى عنه ابراهيم.

بناءاً على ذلك يجب أن نلاحظ أنفسنا جداً فى حياتنا اليومية. لئلا نضيع حقوق الاخوان.

تقضى حاجات الشخص نفسه :

وليس خفياً أن من يعمل فى دفع الظلم عن المظلومين، أوفى قضاء حاجات المؤمنين، فمضافاً الى الثواب الاخروى يوجب ذلك زيادة فى كرامة الشخص، وقضاء حاجاته، والروايات والشواهد على هذا الأمر عديدة نكتفى بذكر قصة تتضمن حديثاً أيضاً .

يقول العالم الجليل أحمدبن محمدبن خالد البرقى صاحب كتاب (المحاسن) الذى أدرك الامام الحسن العسكرى(ع) وعاش فى فترة الغيبة الصغرى :

دخلت مدينة (رى) وحللت ضيفاً عند (أبوالحسن المادرانى) و كان كاتباً للأمير (كوتكين) وكان له على حقاًفى كل سنة عشرة آلاف درهم أحتسبهاله من ماليات قرية لى فى كاشان .

وحين طلبوا المبلغ المقرر، غفل عن محاسبتى (ابوالحسن المادرانى) منشغلاً ببعض مشاغله، وبينما كنت مضطرباً مهموماً دخل على فجأة شيخ عفيف قد ضعف من كثرة مانزف الدم منه حتى كان ميتاً بصورة حى فقال: ياأباعبدالله لقد جمع بينى وبينك الدين ومحبة الأئمة الطاهرين(ع) هل لك أن تقوم معى هذه الايام طلباً لرضى الله ومحبة ائمتنا .

قلت : ومابك؟

قال : لقد قالوا عنى بأنى رفعت للسلطان رسالة سراً أشرح فيها حال الأمير (كوتكين)، ولهذا السبب فقد أباحوا جميع أموالى!!

يقول البرقى : فوعدته بأن أقضى حاجته، وبعد أن مضى عنى فكرت فى نفسى وقلت لاأستطيع أن أطلب حاجته وحاجتى معاً، ولئن طلبت حاجته فان حاجتى سوف تبقى!!

ثم عدت الى مكتبتى وعثرت على حديث للامام الصادق(ع) يقول

فيه من أخلص نيته فى قضاء حاجة أخيه المؤمن قضاهاالله علىيده، وقضى له حاجته(١) .

فلما قرأت هذا الحديث نهضت من ساعتى واقبلت الى دار ابو-الحسن المادرانى، وبعد الاذن دخلت عليه فاذا هوجالس على عرشه، متكئاً على أريكة له وبيده عصاً. وبعد أن سلمت عليه وأجابنى وطلب منى الجلوس، أجرى الله على لسانى هذه الاية «وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسنالله اليك ولاتبغ الفساد فى الارض انالله لايحب المفسدين» فقر أتها بصوت مرتفع. فقال أبوالحسن: قراءة هذه الاية دليل على أن لك حاجة اذكرها!

فقلت بجرأة: لقد قالوا على فلان كذا وكذا!!

فقال : هو من الشيعة؟

قلت : نعم، فنزل من كرسيه وأمر الغلام فأحضر دفتراً سجلفية اموال ذلك الشيخوكان مبلغاًهائلاً. فأمر برده‌له جميعاً،وأمر له‌بهدية، وبغل وأرجعه لأهله معززاً مكرماً ثم قال: يا أباعبدالله لم تقصر فى نصيحتى وأصلاح عملى، ثمأخذ رقعةكتب فيهاتدفع لأحمدبن محمد البرقى وتحسب لهفى ماليات مزرعته بكاشان، ثم صبر قليلاً وقال: يا أباعبدالله جـزاك الله خيراً فقد أصلحت ما فسدمن عملى فـى ظلم ذلك الشيخ، ثم كتب رقعة أخرى «يدفع له ألف درهم أخرى» بما دلنى على الخير .

يقول البرقى: فهممت أن أقبل يده فقال: لاتبطل عملى، والله

١- الرواية ليست نصاً .

لئن قبلت يدى لقبلت قدمك، لقدكان ماصنعته قليلاً بحق الشيخ لأنه متمسك بحبل آل محمد (ص)*

١ـ (الكلمة الطيبة) للشيخ النورى نقلاً عن منهاج الصلاح للعلامة الحلى .

(٣١)

السحر

الحادى والثلاثون من الذنوب التى ورد التصريح بأنها من الكبائر (السحر) كما جاء فى الوسائل عن رسول‌الله(ص) أنه عد السحر من الكبائر، كماعد من الكبائر أيضاً فى صحيحة عبدالعظيم عن الامام الجواد(ع) عن الامام الرضا(ع) عن‌الامام الكاظم(ع) عن الامام الصادق(ع) حيث قال(ع) ضمن تعداد الكبائر :

«والسحر لأن الله تعالى يقول «ولقد علموا لمن اشتراه ماله‌فى الاخرة من خلاق، ويخلد فيها مهانا» وتمام الآية كالتالى «واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هروت و مروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به‌بين المرء وزوجه، وماهم بضارين به من أحد الابأذن الله ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاق ولبئس ماشروا به‌أنفسهم لوكانوا يعلمون» ١٠٢ / البقرة .

ولايبقى خفياً أن هناك روايات مجعولة ذكرت فى بعض تفاسير العامة، وخرافات واضحة الكذب، وواقع الأمر فيما يتعلق بهاروت وماروت هو ماذكر فى حديث الامام الرضا(ع) مع المأمون، حيث

قال(ع) :

«وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليحترزوا به سحر السحرة ويبطلوا به كيدهم، وما علما أحداً من ذلك شيئاً حتى قالا انما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه، وجعلوا يفرقون بما تعلموه بين المرء وزوجه .

قال تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» يعنى بعلمه.

وحيث أن قضية هاروت وماروت نقلت من طرف الشيعة ببعض الاختلاف، وأيضاً ذكرت فى تفسير مجمع البيان، قال بعض الأكابر أنها من القضايا الرمزية، وذكروا لها تأويلاً، من ذلك مانقل فى (بحار الانوار) عن بعض المفسرين أنه قال : أن المراد بالملكين المذكورين الروح والقلب، فأنهما من العالم الروحانى أهبطا الى العالم الجسمانى لاقامة الحق، فأفتتنا بزهرة الحياة الدنيا، ووقعا فى شبكة الشهوة فشربا خمر الغفلة، وزنيا ببغى الدنيا، وعبدا صنم الهوى، وقتلا نفسهما بحرمانهما من النعيم الباقى، فاستحقا أليم النكال، وقطيع العذاب»

ومن هذا القبيل روايات لايمكن قبول ظاهرها، وبناءاً على ذلك فان ماوصل من الائمة عليهم السلام علمه عندهم، ويقول الشيخ الصدوق أن (زهرة، وسهيل) التى وردفى الروايات أنها من الممسوخات المراد بهما نوعان من الحيوانات البحرية يطلق عليهما هذان الاسمان، لأنهما نجمان سماويان .

يعلم من الآية الشريفة المتقدمة أن السحر بمنزلة الكفر، و ليس للساحر أى نصيب فى الآخرة، كما يقول تعالى فى الآية اللاحقه:

«ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون» ١٠٣ / البقرة

السحر وروايات أهل البيت(ع) :

قال رسول‌الله(ص) : «ثلاثه لايدخلون الجنة :
مدمن الخمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم» ـوسائل الشيعةـ

وعن أمير المؤمنين(ع) :

«من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربه، وحده أن يقتل الأن يتوب» ـوسائل الشيعةـ

وعن أمير المؤمنين(ع) أنه قال :

«الساحر كالكافر فى النار» ـوسائل الشيعة ـ

وقال أمير المؤمنين(ع) :

«أقبلت امراة الى رسول‌الله(ص) فقالت انلى زوجاً وبه غلظة على وانى صنعت شيئاً لأعطفه على؟

فقال لها رسول‌الله(ص) أف لك كدرت البحار، وكدرت الطين ولعنتك الملائكة الاخيار، وملائكة السماء والارض .

قال(ع): فصامت المرأة نهارها، وقامت ليلها، وحلقت رأسها، ولبست المسوخ فبلغ ذلك النبى(ص) فقال(ص): ان ذلك لايقبل منها» ـالفقيهـ

وقد ذكر المحدث الفيض الكاشانى فى شرح هذا الحديث أن معناه عدم قبول هذه الاعمال منها فى الظاهر، ولاتدفع اجراء حد الساحر عليها وهو القتل، حتى اذاكانت توبتها مقبولة فى الواقع.

ويحتمل أن يكون السبب فى عدم قبول توبتها أنها ظلمت زوجها حيث سحرته ومادام غير راض عنها فان توبتها غير مقبولة .

ويحتمل أيضاً أن تكون هذه الجملة اشارة الى عظمة ذنب السحر بحيث لاتتداركه كل تلك الاعمال، وان الساحر يبتعد عن‌الله حتى لاتقربه جميع تلك العبادات .

وقال رسول‌الله(ص) :

«من مشى الى ساحر أوكاهن أوكذاب يصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله من كتاب» ـوسائل الشيعةـ

حد السحر القتل :

يجب قتل الساحر المسلم الاان يتوب، وأما الساحر الكافر فلا يقتل وانما يؤدبه الحاكم الشرعى بما يراه مناسباً .

عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«الساحر يضرب بالسيف ضربة واحدة على أم رأسه» ـالكافىـ

وروى عن رسول‌الله(ص) سئل عن حكم السحر فقال(ص) :

«اذا جاء رجلان عادلان فشهدا عليه حل‌دمه» ـالتهذيبـ

وقال(ص) : ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفار لايقتل ،

قيل : يارسول‌الله ولم؟

فقال(ص) : لأن الكفر أعظم من السحر، ولأن السحر والشرك مقرونان» ـالكافىـ ومعناه أنه اذاكان الكافر غير الحربى لايقتل بسبب كفره، فبطريق أولى لايقتل بسبب سحره، لأن الكفر أعظم‌من السحر .

وأما ساحر المسلمين فيقتل لأنه اقترب من الشرك .

حقيقه السحر وأقسامه وملحقاته :

الكهانة

الشعبذة

التسخير

القيافة

التنجيم

١ـ السحر :

يقول المرحوم السيد الاصفهانى فى (وسيلة النجاة) :

«المراد به ـالسحرـ مايعمل من كتابة أو تكلم أو دخنة أو تصوير أو نفث أو عقد ونحو ذلك يؤثر فى بدن المسحور أو قلبه أو عقله، فيؤثر فى احضاره أو انامته أو اغمائه أو تحبيبه أو تبغيضه ونحو ذلك» .

كتب ـالعلامة الطباطبائىـ فى (تفسير الميزان) مطالباجالبة ضمن تفسير الآية (١٠٢) من سورة البقرة، ننقلها فيما يلى :

(بحث فلسفى)

من المعلوم وقوع أفعال خارقة للعادة الجارية للمشاهدة والنقل، فقلما يوجد منا من لم يشاهد شيئاً من خوارق الأفعال أولم ينقل اليه شيء من ذلك ـقليل أو كثيراً ـ الاأن البحث الدقيق فى كثير منها يبين رجوعها الى الأسباب الطبيعية العادية، فكثير من هذه الافعال الخارقة يتقوى بها أصحابها بالاعتياد والتمرين كأكل السموم وحمل الأثقال والمشى على حبل ممدود فى الهواء الى غير ذلك وكثير منها تتكى على أسباب طبيعية مخفية على الناس مجهولة لهم كمن يدخل النار ولا يحترق بها من جهة طلاية الطلق ببدنه أو يكتب كتاباً لاخط عليه ولايقرأه الا صاحبه، وانما كتب بمايع لا يظهر الااذا عرض الكتاب على النار الى غير ذلك. وكثير منها يحصل بحركات سريعة تختفى على الحس لسرعتها فلا يرى الحس الاأنه وقع من غير سبب طبيعى كالخوارق التى يأتى بها أصحاب الشعبدة، فهذه كلها مستندة الى أسباب عادية مخفية على حسنا أوغير مقدورة لنا، لكن بعض هذه

الخوارق لايحلل الى الاسباب الطبيعية الجارية على العادة كالاخبار عن بعض المغيبات، وخاصة مايقع منها فى المستقبل وكأعمال الحب والبغض والعقد والحل والتنويم والتمريض وعقد النوم و الاحضار والتحريكات بالا رادة مما يقع من أرباب الرياضات وهى أمور غير قابله للانكار، شاهدنا بعضا منها ونقل الينا بعض آخر نقلا لايطعن فيه، وهو ذايوجد اليوم من أصحابها بالهند وايران و الغرب جماعة يشاهد منهم أنواع من هذه الخوارق والتأمل التام فى طرق الرياضات المعطية لهذه الخوارق والتجارب العملية فى أعمالهم وارادتهم يوجب القول بانها مستندة ألى قوة الارادة والايمان بالتأثير على تشتت أنواعها، فالارادة تابعة للعلم والاذعان السابق عليه، فربما توجد على اطلاقها وربما توجد عند وجود شرائط خاصة ككتابة شيء خاص بمداد خاص فى مكان خاص فى بعض أعمال الحب والبغض أو نصب المرآة حيال وجه طفل خاص عند احضار الروح أو قراءة عوذة خاصة الى غير ذلك، فجميع ذلك شرائط لحصول الارادة الفاعلة، فالعلم اذاتم علماً قاطعاً أعطى للحواس مشاهدة ماقطع به، ويمكنك أن تختبر صحة ذلك بأن تلقن نفسك أن شيئا كذا أو شخصا حاضر عندك تشاهده بحاستك ثم تتخيله بحيث لاتشك فيه ولاتلتفت الى عدمه ولاالى شيء غير فانك تجده أمامك على ماتريد، وربما توجد فى الآثار معالجة بعض الأطباء للأمراض المهلكة بتلقين الصحة على المريض .

واذا كان الأمر على هذا فلو قويت الارادة أمكنها أن تؤثر فى غير الانسان المريد نظير ماتوجده فى نفس الانسان المريد أمامن غير شرط وقيد أومع شيء من الشرائط .

ويتبين بمامر أمور :

أحدها :

ان الملاك فى هذا التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العادة وأما مطابقة هذا العلم للخارج فغير لازم كما كان يعتقده أصحاب تسخير الكواكب من الأرواح المتعلقة بالاجرام الفلكية، و يمكن أن يكون من هذا القبيل الملائكة والشياطين الذين يستخرج اصحاب الدعوات والعزائم اسمائهم ويدعون بها على طرق خاصة عندهم، وكذلك ما يعتقده أصحاب احضار الارواح من حضور الروح فلا دليل لهم على أزيد من حضورها فى خيالهم أو حواسهم دون الخارج والا لرآه كل من حضر عندهم وللكل حسر طبيعى، وبه تنحل شبهة أخرى فى احضار روح من هو حى فى حال اليقظة مشغول بأمره من غير أن يشعر به والواحد من الانسان ليس له الا روح واحدة، وبه تنحل أيضا شبهة أخرى وهى أن الروح جوهر مجرد لانسبة له الى زمان ومكان دون زمان ومكان، وبه تنحل أيضاً شبهة ثالثة، ـ هى:

أن الروح الواحدة ربما تحضر عند أحد بغير الصورة التى تحضر بها عند آخر. وبه تنحل أيضا شبهة رابعة، وهى: أن الارواح ربما تكذب عند الاحضار فى أخبارها وربما يكذب بعضها بعضا.

فالجواب عن الجميع: أن الروح انما تحضر فى مشاعر الشخص المحضر لافى الخارج منها على حد مانحس بالأشياء المادية الطبيعية.

ثانيها :

أان صاحب هذه الارادة المؤثرة ربما يعتمد فى ارادته على قوة نفسه وثبات انيته كغالب أصحاب الرياضات فى ارادتهم فتكون لامحالة محدودة القوة مقيدة الأثر عند المريد وفى الخارج، وربما يعتمد فيه على ربه كالأنبياء والأولياء من أصحاب العبودية لله و

أرباب اليقين بالله فهم لايريدون شيئاً الالربهم وبربهم، وهذه ارادة طاهرة لاستقلال للنفس التى تطلع هذه الارادة منها بوجه ولم تتلون بشيء من ألوان الميول النفسانية ولا اتكاء لها الاعلى الحق فهى ارادة ربانية غير محدودة ولا مقيدة .

والقسم الثانى ان أثرت فى مقام التحدى كغالب ماينقل من الانبياء سميت آية معجزة وان تحققت فى غير مقام التحدى سميت كرامة أو استجابة دعوة ان كانت مع دعاء، والقسم الاول ان كان بالأستخبار والاستنصار من جن أو روح أو نحوه سمى كهانة وان كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك سمى سحراً .

ثالثها :

أن الأمر حيث كان دائراً مدار الارادة فى قوتها وهى على مراتب من القوة والضعف أمكن أن يبطل بعضها أثر البعض كتقابل السحر والمعجزة أو أن لايؤثر بعض النفوس فى بعض اذا كانت مختلفة فى مراتب القوة وهو مشهود فى أعمال التنويم والاحضار، هذا وسيأتى شطر من الكلام فى ذلك .

«بحث علمى»

العلوم الباحثة عن غرائب التأثير كثيرة والقول الكلى فى تقسيمها وضبطها عسير جداً، وأعرف ماهو متداول بين أهلها مانذكره: منها (السيمياء) وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الأرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف فى الامور الطبيعية، ومنه التصرف فى الخيال المسمى بسحر العيون، وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر، ومنها (الليمياء) وهو العلم الباحث عن كيفية

التأثيرات الارادية بأتصالها بالارواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب... ومنها (الهيمياء) وهو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوى مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلمسات...

ومن العلوم الملحقة بما مر علم الاعداد والاوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الاعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب فى جداول مثلثة أو مربعة ...

ومنها (الخافية) وهو تكسير حروف المطلوب أو ماينا سب المطلوب من الاسماء واستخراج أسماء الملائكة أو الشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب ...

ومن الفنون الملحقة بها الدائرة اليوم التنويم المغناطيسى واحضار الارواح وهما كما مر من تأثير الارادة والتصرف فى الخيل...» انتهى

٢ـ الكهانة :

الكهانة هى الاخبار عن الامور المستقبلية والتنبؤ بها اعتقاداً بوصولها من بعض طوائف الجن، أو بمقدمات وأسباب تنبؤهم بالمستقبل، مثل أن يكتشف من خلال كلمات وحالات وتصرفات السائل بعض الامور الأتية، أو الخفية. وذكر صاحب (النهاية) أن هذا القسم من الكهانة يقال له العرافة .

الاأن مشهور الفقهاء يرون أن الكاهن هو من لديه رفيق من الجن يخبره بالامور الخفية، مثل معرفة موضع المال المسروق أو معرفة السارق، أو مكان المال الضائع، أو تشخيص القاتل، أو يخبره بالامور المستقبلية بنحو التنبوء .

ولكهانة حرام باتفاق جميع الفقهاء، كما أن تعلم السحر، و تعليمه وعمله، والذهاب للكاهن لأجل التكهن حرام أيضاً، بل ذكر بعض الفقهاء أن الكهانة من أقسام السحر .

روى عن الامام الصادق(ع) :

«من تكهن أو تكهن له فقد برء من دين محمد(ص)» / الخصال

وفى صحيحة الحسن بن محبوب عن الهيثم قال :

قلت لأبى عبدالله(ع) :

ان عندنا بالجزيرة رجل ربما أخبر من يأتيه يسئله عن الشيء يسرق أو شبه ذلك أفنسأله ؟

فقال(ع) : قال رسول الله(ص) من مشى الى ساحر أو كاهن أو كذاب يصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل الله من كتاب».

يقول الشيخ الانصارى فى المكاسب :

«وظاهر هذه الصحيحة أن الاخبار عن الغائبات على سبيل الجزم محرم مطلقاً سواءاً كان بالكهانة أو بغيرها» .

وعن الامام الصادق(ع) فى حديث أنه عد من السحت أجر الكاهن.

و مثل ذلك روى عن أمير المؤمنين(ع) ـ المستدرك ـ

صلاح الناس فى عدم معرفة الامور المستقبلية :

يجب أن يعلم أن الحكمة والمصلحة فى تحريم الكهانة ونظائرها هى أن الله الحكيم تعالى لم يرد أن يطلع الناس على المغيبات وعلى الحوادث المستقبلية، وصلاحهم فى جهلها، لأنها اذا كانت حسنة و موافقة لميرلهم فان مجرد العلم بها لايعجل حدوثها، بل لعل حدوثها مشروط بالاتيان ببعض الاعمال الصالحة كالدعاء، والصدقة وسوف يحرم الانسان منها نتيجة عدم اتيانه بتلك الاعمال. واذا كانت تلك

الحوادث المستقبلية من الامور السيئة وعلى خلاف ميول الشخص فسوف ينزعج شديداً لدى علمه بها، مع أنه من المحتمل أن لاتكون حتمية الوقوع، ويمكن أن يقع فيهـا البداء. وما أكثر الـحوادث المترقبة التى تندفع ببركة الدعاء والصدقة وأعمال الخير، مثل اندفاع البلاء عن قوم يونس بعد اقترابه، بسبب التوبة والدعاء كما ذكر تعالى ذلك فى القرآن الكريم.(١)

وروى فى كتاب (الاحتجاج) عن الامام الصادق(ع) حديثاً خلاصته أنه بعد أن منع الجن والشياطين من صعود السماء ـ أى بعد ولادة رسول الله(ص) ـ تعذر عليهم أن يحصلوا على أخبار الامور السماوية، ولم يمكنهم أن يخبروا الا عن بعض الامور الجزئية الارضية وبنحو ناقص، وكما يوجد بين البشر صادقين وكاذبين فكذلك فى طائفة الجن.

وعلى ذلك يمتنع الأعتماد على قول الكاهن.

قذارة السحر والكهانة :

ويكفى لمعرفة حرمة هذا العمل الكسيف مايذكره أهل المعرفة من الاعمال التى يتوقف عليها تحصيل السحر والكهانة ، من أنواع

١ـ فى قوله تعالى «وان يونس لمن المرسلين، اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين، فالتقمه الحوت وهو مليم، فلولا أنه كان من المسبحين، للبث فى بطنه الى يوم يبعثون» ـ السورة ٣٧ ـ

«وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فأستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين» السورة/ ٢١

الشرور والجناية، والخيانة، والتى منها ترك جميع الامور الخيرة(١).

وارتكاب الافعال الشنيعة مثل الزنا بالمحصنة، وقتل النفس، وشرب دماء الناس بكيفية خاصة وهتك الحرمات الالهية كآيات القرآن المجيد ...

والخلاصة يلزم أداء بعض الاعمال التى يقترب بها من الشياطين بل يكون من سنخهم وأسوء، لكى يتمكن من السحر والكهانة.

آه ماأسوء حظ البشر الذى يستطيع ببركة أعمال الخير، واتباع مقررات الشرع المقدس، أن يكون من سنخ الملائكة بل أفضل منهم، يحرم نفسه من هذ الدرجات ويلتحق بأسفل السافلين، وهو أسفل من الشياطين.

١ـ ينقل فى أحوال (أبو حفص الحداد) أنه كان فى البدء شاباً عاشقاً لأمرأة جملية سلبت صبره واستقراره، ولم يكن لديه طريق للوصول اليها، فقيل له ان فى نيشابور رجلاً يهودياً ساحراً يستطيع أن يوصلك لهدفك، فذهب اليه أبو حفص و شرح له حاله، فقال له اليهودى عليك أن تترك العبادة، وجميع أعمال الخير مدة أربعين يوماً حتى أستطيع أن أوصلك بسحرى الى غرضك، فقبل منه أبوحفص ذلك وعمل بما أوصاه.

وبعد أربعين يوماً عادالى اليهودى، فلم يؤثر سحره شيئا، فقال له: لقد صدر منك خلال هذه المدة عمل صالح منع سحرى من التأثير فانظر ماذا عملت؟

فقال أبوحفص: لم أفعل خلال أربعين يوماً أى عمل خير نعم يوماً ما كنت ماشياً فى الطريق فنحيت حجارة كانت فيه كى لا يعثر بها أحد.

فقال له اليهودى: هذا الرب الذى عصيته أربعين يوماً ثم لم يضيع بكرمه هذا المقدار من جهدك، ـ أى أنه قبل منك هذا العمل القليل فمنع سحرى من التأثير ـ لايليق بك أن تجر يدك عن طاعته.

فكان لهذا الكلام أثره فى (أبى حفص الحداد) ورجع الى طاعة الله حتى صار من أصحاب الكرامات.

٣ـ الشعبذة :

الشعبذة هى أن يرى شيئاً لاحقيقة ولا واقع له، وذلك من خلال سرعة الحركة ـ بنحو يراه الرائى واقعاً فى الخارج، كما فى فرارة النار حيث ترى العين دائرة كاملة من النار نظراً لسرعة حركة الفرارة فى حين أن الأمر ليس كذلك فى الواقع، ومثل من يركب السيارة أو الباخرة فيرى كأنه هو الساكن والارض والبحر هو المتحرك .

والشعوذة حرام باتفاق جميع الفقهاء، وهى من أقسام السحر كما جاء فى حديث الامام الصادق(ع) حيث عدها من أقسام السحر، كما أن التعريف الذى يذكره أهل الفن للسحر يشملها .

وعن محمدبن ابراهيم السنجارى فى كتاب (ارشاد القاصد) أن السحر على قسمين منه حقيقى ومنه غير حقيقى، «سحروا أعين الناس» ثم أردفوه بالحقيقى (واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم).

ثم ذكر بعد ذلك طرق السحر مما لاموجب لأطالة الكلام بذكره هنا مع قلة فائدته .

قدرة الساحر محدودة :

وفى حديث الامام الصادق(ع) لسائل سأله عن قدرة الساحر على أن يجعل الانسان كلباً أو بصورة الحمار قال(ع) :

«هو أعجز وأضعف من أن يغير خلق الله، ان من أبطل ماركبه الله وصوره وغيره فهو شريك لله تعالى فى خلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة ولنفى البياض عن رأسه والفقر عن ساحته وان من أكبر السحر النميمة يفرق بها بين المتحابين ويجلب العداوة على المتصافين» ـ سفينة البحار / ١ ـ ٦٠٥ ـ

٤ـ التسخير :

التسخير وهو استخدام الملك، أو الجن، أو أرواح البشر، أو سائر الحيوانات وغيرذلك ـ حرام وعد من أقسام السحر .

يقول الشيخ الانصارى فى المكاسب :

«الظاهر أن التسخيرات بأقسامها داخلة فى السحر على جميع تعاريفه، وقد عرفت أن الشهيدين مع أخذ الاضرار فى تحريم السحر ذكرا أن استخدام الملائكة والجن من السحر، ولعل وجه دخوله تضرر المسخر بتسخيره».

٥ـ القيافة :

القيافة هى نسبة أحد لآخر على خلاف الميزان الذى قرره الشارع المقدس لاثبات النسب .

مثل أن يحكم حكماً قطعياً ـ استناداً الى معرفته بعلم القيافة ـ بأن فلان ابن أو أخ لفلان، فى حين انه ليس كذلك حسب الميزان الشرعى، أو ينفى أن يكون فلان ابناً لفلان فى حين أنه ابنه حسب قانون الشرع

وهذا القسم من القيافة ملحق بالسحر، وهو حرام بأتفاق جميع الفقهاء، اما مايستكشفه العارف بالقيافة والفراسة من خلال الوضع الظاهرى والباطنى للشخص وبنحو الظن والحدس وبنحو لم يكن مستلزماً للحرام، فمثل ذلك جائز .

وقد نقلت فى هذا الباب أمور عجيبة عن مثل هؤلاء الاشخاص من جملة ذلك ماورد فى كتاب الكافى وبحار الانوار عن أحوال الامام الصادق (ع) :

أن على بن هبيرة وهو أحد أمراء بنى العباس سخط على غلام له اسمه (رفيد) وغضب عليه فلجأ ذلك الغلام الى الامام الصادق (ع) وعاذ

به فقال له الامام انصرف اليه واقرأه منى السلام وقل له: انى أجرت عليك مولاك رفيداً، فلا تهجه بسوء، فقال رفيد : جعلت فداك، شامى خبيث الرأى،

فقال(ع) : اذهب اليه كما أقول لك .

قال رفيد : بين أنا فى الطريق استقبلنى أعرابى ببعض البوادى فقال : أين تذهب ؟ أرى وجه مقتول، ثم قال لى: أخرج يدك، ففعلت، فقال، يد مقتول، ثم قال لى: أخرج لسانك ففعلت فقال امض فلا بأس عليك فان فى لسانك رسالة لو أتيت بها الجبال الرواسى لانقادت لك، قال رفيد : فجئت فلما دخلت عليه أمر بقتلى، فقلت : أيها الأمير لم تظفر بى عنوة، وانما جئتك من ذات نفسى ، وههنا أمر أذكره لك ثم أنت وشأنك، فأمر من حضر فخرجوا فقلت له:

مولاك جعفر بن محمد يقرئك السلام ويقول لك: قد أجرت عليك مولاك رفيداً فلا تهجه بسوء.

فقال : الله ، لقد قال لك جعفر هذه المقالة؟ وأقرأنى السلام؟

فحلفت، فرددها على ثلاثاً، ثم حل كتافى، ثم قال: لايقنعنى منك حتى تفعل بى ما فعلت بك، قلت: تكتف يدى يديك، ولا تطيب نفسى فقال: والله ما يقنعنى الاذلك، ففعلت كما فعل، وأطلقته، فناولنى خاتمه وقال: أمرى فى يدك فدبر فيها ماشئت»

٦ـ التنجيم :

التنجيم هو الاخبار القطعى الجازم عن حوادث كونية كالغلاء والرخص والقحط والكثرة وزيادة الامطار وقلتها وأمثال ذلك من أنواع الخير والشر، والنفع والضر، اعتماداً على حركات الافلاك واتصالات الكواكب واعتقاداً بأنها مستقلة فى التأثير على عالمنا .

أما الأخبار عن هذه الامور بنحو الاحتمال، ومن دون الاعتقاد بأستقلالية الافلاك فى التأثير، بل الاعتقاد بان الله تعالى هو المؤثر الحقيقى، فمثل ذلك جائز. كالتنبوء بالكسوف والخسوف. وتقارب النجوم وتباعدها عن بعضها، فأنه لامانع من ذلك، اذأن مثل هذه الاخبار تعرف بواسطة الحسابات الدقيقة لحركات الافلاك والكواكب، ومداراتها وأوضاعها، ولها أصول وقواعد مضبوطة لاتقبل الخطأ، وما يحصل من الاخطاء فى تنبؤات المنجمين فيها ناشىء من اشتباه فى الحساب.

وبالجملة فالحرام هو الأخبار القاطع الجازم بالحوادث الكونية باعتقاد أنها من آثار الافلاك وحركاتها، وهذا القسم من علوم النجوم ملحق بالسحر.

ولأجل اكمال البحث نذكر ـ مختصراً ـ كلام الشيخ الانصارى ضمن فروع أربعة :

الاول : الظاهر أنه لايحرم الاخبار عن الاوضاع الفلكية المبتنية على سير الكواكب كالخسوف الناشىء عن حيلولة الارض بين النيرين ـ الشمس والقمر ـ والكسوف الناشىء عن حيلولة القمر أو غيره.

الثانى : يجوز الاخبار بحدوث الأحكام عند الاتصالات والحركات المذكورة بأن يحكم بوجود كذا فى المستقبل عند الوضع المعين من القرب والبعد والمقابلة والاقتران بين الكوكبين اذاكان على وجه الظن المستند الى تجربة محصلة أو منقولة فى وقوع تلك الحادثة بارادة الله عند الوضع الخاص من دون اعتقاد ربط بينهما أصلاً، بل الظاهر جواز الاخبار على وجه القطع اذا استند الى تجربة قطعية اذلاحرج على من حكم قطعاً بالمطر فى هذه الليلة نظراً الى ماجربه من نزول كلبه عن السطح الى داخل البيت مثلاً..»

الثالث : الاخبار عن الحادثات والحكم بها مستنداً الى تأثير الاتصالات المذكورة فيها بالاستقلال أو بالمدخليه وهو المصطلح عليه بالتنجيم فظاهر الفتوى والنصوص حرمته .

عن النبى(ص) أنه «من صدق منجماً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد(ص)» وعن الامام الصادق(ع) «المنجم ملعون والكاهن والساحر ملعون» .

وفى نهج البلاغة «أنه(ع) لما أراد المسير الى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه ان سرت فى هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال(ع) له: أتزعم أنك تهدى الى الساعة التى من سار فيها انصرف عنه السوء وتخوف الساعة التى من سار فيها حاق به الضر؟

فمن صدقك بهذا القول كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله تعالى فى نيل المحبوب ودفع الكروب»

«ومثل ذلك ما ورد عن الصدقة وسائر الامور التى يدفع بها البلاء»

وبناءاً على ذلك لامانع من أن يحكم المنجم لا بنحو القطع، بل مؤملاً بالله ـ تعالى ـ فى الوصول الى الخير، ومستعيذاً بالله ـ تعالى ـ وبواسطة الدعاء والصدقة فى دفع الشر» .

الرابع : اعتقاد ربط الحركات الفلكية بالكائنات، والربط يتصور على وجوه :

١ـ الاستقلال فى التأثير بحيث يمتنع التخلف عنها امتناع تخلف المعلول عن العلة العقلية، وظاهر كثير من العبارات كون هذا كفراً «سواءاً كان منكراً لصانع العالم أولا بل كان معتقداً بأن الكواكب هى مدبرة العالم» .

٢ـ انها تفعل الآثار المنسوبة اليها والله سبحانه هو المؤثر الأعظم

كما يقوله بعضهم .

وهذا القسم وان لم يكن موجباً للكفر الأنه قول بدون علم، وادعاء بدون دليل، اذ لا دليل على أن الأجرام السماوية لها حياة و شعور وارادة، أو أنها قادرة على تدبير هذا العالم.

٣ـ استناد الافعال اليها كاستناد الاحراق الى النار، «بمعنى أن ارادة الله تعالى اقتضت أنه متى ما تحقق فلان أمر تحقق كذا...»

«وهذا الاعتقاد كالقسم الثانى لايوجب الكفر، الا أنه غير ثابت بدليل» .

٤ـ أن يكون ربط الحركات بالحوادث من قبيل ربط الكاشف والمكشوف، والظاهر أن هذا الاعتقاد لم يقل أحد بكونه كفراً .

«وهذا المطلب وهو كاشفية بعض الاحوال العلوية يستفاد من بعض الاخبار، لكن لايتيسر الأطلاع على ذلك لأحد من البشر غير النبى(ص) والامام(ع)، ومايعرفه المنجمون هو حدنا ناقص من هذا العلم».

عن الامام الصادق(ع) أنه قال فى علم النجوم :

«كثيره لايدرك، وقليله لاينفع» ـ وسائل الشيعة ـ كتاب التجارة ـ

ثم قال الشيخ ـ الانصارى ـ بعد أن نقل الروايات وكلمات الاصحاب أنها :

«دالة على أن ماوصل اليه المنجمون أقل قليل من امارات الحوادث من دون وصول الى معارضاتها، ومن تتبع هذه الاخبار لم يحصل له ظن بالاحكام المستخرجة عنها فضلاً عن القطع، نعم قد يحصل من التجربة المنقولة خلفاً عن سلف الظن بل العلم بمقارنة حادث من الحوادث لبعض الاوضاع الفلكية، فالأولى التجنب عى الحكم بها، ومع الارتكاب فالأولى الحكم على سبيل التقريب وأنه لايبعد أن يقع كذا عند كذا..» ـ المكاسب ـ

لايتحقق مايدعون :

وأفضل دليل على نقص علـم النجوم هو اشتباهات وأخطاء المنجمين التى سجل عدد منها فى كتب التواريخ .

من ذلك ماجاء فى كتاب (تتمة المنتهى) أن الكواكب السبعة سنة ٥٨٢ هجرية اجتمعت بكـوكب (الميزان)، فحكـم أبوالفضل الخوارزمى وباقى المنجمين بخراب العالـم، نتيجة حدوث عاصفة جوية وشرع الناس بحفر المخـازن تحت الارض ونقلوا لها الماء والطعام وانتظروا حدوث العاصفة الشديدة، وكانوا علـى أهبة الانتظار حتى ليلة الموعد المحدد والمصادف ليلة التاسع من جمادى الآخرة ولم يحدث فيها عاصفة بل ولانسيم وكان الهواء ساكناً حتى أن شعلة الشمع الذى أشعلوه لم تكن تتحرك، وقد نظم الشعراء شعرهم حول هذا الموضوع .

وقبل سنوات أعلن منجموا عصرنا عن خبر مماثل أقلق الناس و أوحشهم بل سمع أن بعض الاوربيين أغرق نفسه قبل حلول الساعة المحددة لتلاشى الكرة الارضية ولكن حلت تلك الساعة ولم يتحقق أى خبر عن ارتطام الارض بباقى الكواكب .

السحر والمعجزة أمران :

متى شوهد أمر خارق للعادة من شخص ولم يكن مدعياً لمقام، و كان ذا ايمان وتقوى وزهد، فذلك الأمر الخارق للعادة يسمى كرامة وهو شاهد على صدق ذلك الشخص وكرامته على الله. واذا كان ذلك الشخص مدعياً لمقام من المقامات الالهية كالنبوة والامامة أوالنيابة الخاصة لهم عليهم السلام، فمع توفر الشروط الثلاثة الآتية يسمى ذلك الامر بالمعجزة ويكون دليلاً على صدقه .

الشرط الأول :

أن يكون ادعاؤه مقبولاً عقلاً أما اذا كان ادعاؤه غير قابل للتصديق سمي ما أتى به سحراً، سواءاً علم سببه أم لا .

مثلا ثبت بالضرورة لكل مسلم أن النبوة قد ختمت بالوجود المبارك لسيدنا محمد بن عبدالله (ص)، وشريعته خالدة الى يوم القيامة، ولا يوجد بعده نبى، بناءاً على ذلك لو وجد شخص يدعى النبوة فهو كاذب يقيناً مهما جاء به من الامور الخارقة للعادة التى توجب الحيرة، ويعلم من دعواه أنه ساحر ماهر .

أو ادعى الامامة مع ما ثبت عند الشيعة أن الائمة اثنا عشر أولهم سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) وآخرهم سيدنا الحجة بن الحسن (ع) الغائب عن الأبصار حتى يأذن له الله تعالى بالظهور، بناءاً على ذلك فمن يدعى مقام الامامة كاذب مهما أتى به من الامور الغريبة، وهكذا مقام النيابة الخاصة بعد أن ثبت لدينا بنحو مسلم أن النيابة الخاصة انتهت بوفاة على بن محمد السمرى وهو النائب الخاص الرابع للامام، فلاشك أن من يدعى النيابة الخاصة كاذب .

الشرط الثانى :

يجب توفر الشرائط العقلية فى المدعى .

مثلاً : من جملة شرائط النبى والامام العصمة، بمعنى أن لا يصدر منه ذنب قبل النبوة والامامة وبعدها، لا كبيراً ولا صغيراً، ويجب أن يكون فى العلم والعمل أفضل أهل زمانه وأحد آثار ذلك أن لا يكون طالب مال وجاه دنيوى، اذن فلو صدرت بعض الامور الغريبة من شخص مرتكب للذنب، أو جاهل بالمعارف الالهية، أو طالب للدنيا، فهو ساحر يقينا .

الشرط الثالث :

أن يستند صدور ذلك الأمر الخارق للعادة منه الى القدرة الالهية فقط لا بتحصيل مقدماته واكتساب أسبابه، اذن فلو علم أن ذلك الأمر مستند الى جهده وعمله، وصدر منه ذلك الأمر عن طريق السحر ـ كما سبق الاشارة اليه ـ فذلك سحر لا ربط له أصلاً بالمعجزة .

وبالجملة المعجزة من الله فقط، أما السحر فهو من عمل الساحر وجهده .

وحول هذا المطلب يوجد بحث مفصل في علم الكلام، وفيما ذكرناه كفاية.(١)

١ـ ينقل في كتاب (قصص العلماء) أن ملك الافرنج أرسل شخصاً للسلطان الشاه عباس الصفوي وكتب له قل لعلماء مذهبك أن يتناظروا مع هذا الشخص فأن أجابوه دخلت دين الاسلام وان أجابهم لزمك أن تكون نصرانياً .

وكان عمل ذلك الشخص هو أن يخبر بما تخفيه اليد وذلك من خلال ما لديه من الرياضيات الباطلة، ومن تصفية النفس .

فجمع السلطان سائر العلماء وكان في ضمنهم المرحوم العلامة الشيخ محسن الفيض، فقال لذلك الرجل الافرنجي ألم يجد سلطانك عالماً حتى يرسل مثلك من العوام لمناظرة العلماء ؟

فقال الرجل الافرنجي : انك لا تخرج من عهدتي، خذ بيدك شيئاً حتى أخبرك به.

فأخذ المرحوم الفيض مسبحة من تربة سيد الشهداء عليه السلام وأخفاها في يده.

فكر الافرنجي طويلاً وسكت، فقال الفيض: لماذا بقيت عاجزاً ؟ فقال الافرنجي: أنا لست عاجزاً، ولكن أرى حسب اصولنا أن في يدك قطعة من تراب الجنة وانى متحير أين كانت هذه القطعة وكيف وصلت الى يدك ؟

فقال الفيض : صحيح ما قلت، هي تربة قبر الحسين(ع) سبط نبي الاسلام، وقد ظهر بأعترافك أن الحسين(ع) هو امام المسلمين، فيلزمك أن تسلم، فأنصف ذلك الافرنجي وأسلم.

ورغم أن المرحوم الفيض في هذا المورد قد دخل من أفضل طريق وكان سبباً في نجاة ذلك الشخص وهدايته الا أنه يجب أن يعلم أن أشخاصاً من هذا القبيل وحتى لو كانت معلوماتهم أكثر، وكان الشخص افرنجيا فلا ينبغي الاعتناء به وهو ساحر قطعاً، لأن الشرائط الثلاثة غير متوفرة فيه .

علاج السحر :

قال كثير من الفقهاء أنه يجوز ابطال السحر بالسحر ،

مثلاً : اذا ادعى النبوة بسحره جاز أن يسحر هو فيفتضح، أو اذا سحر شخصاً أو عقله بسحره جاز ابطال سحره، وفك ذاك الشخص .

يروى أن عيسى بن شقفى دخل على الامام الصادق(ع) وقال له: جعلت فداك أنا رجل كانت صناعتى السحر، وكنت آخذ عليه الأجر، وكان معاشى وقد حججت منه ومن الله على بلقائك وقد تبت الى الله عزوجل فهل لى فى شىء من ذلك مخرج؟

فقال له أبوعبدالله(ص) «حل ولا تعقد» ـ وسائل الشيعة ـ كتاب التجارة ـ

وظاهر كلام الأمام(ع) هوحل ما عقدته من السحر بسحر آخر، ولا تبتدىء بسحر الأ أن بعض الفقهاء حصروا جواز ابطال السحر بالسحر بصورة الضرورة، بمعنى أنه اذا أمكن ابطال السحر بطريق آخر وجب ذلك، ولايجوز اللجوء الى السحر، وذلك كالادعية والتعويذات الواردة شرعاً لأبطال أثر السحر .

(٣٢)

الاسراف

الثانى والثلاثون من الذنوب التى ورد التصريح باعتبارها من الكبائر (الاسراف والتبذير) كما فى صحيحة الفضل بن شاذان عن الامام الرضا (ع) وهكذا فى رواية الاعمش عن الامام الصادق (ع) حيث ذكر الاسراف والتبذير فى عداد الكبائر .

ولأجل معرفة ذلك نذكر عدداً من الآيات والروايات الواصلة بهذا الشأن وبعد ذلك نذكر معناه وأقسامه .

يقول تعالى فى سورة الاعراف :

«وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لا يحب المسرفين»

وذكر بعض المفسرين أن من لا يحبه الله هو من أهل العذاب اذ أن محبة الله تعنى وصول الثواب .

ويقول تعالى فى سورة الانعام :

«كلوا من ثمره اذا أثمر، وآتوا حقه يوم حصاده، ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين» .

ويقول تعالى فى سورة المؤمن :

«كذلك يضل الله من هو مسرف كذاب» وقال تعالى فى نفس السورة: «وان المسرفين هم أصحاب النار»

وقال تعالى فى سورة طه :

«وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة أشد وأبقى».

وقال تعالى في سورة بني اسرائيل: «ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا».

وروي عن الامام الصادق(ع) أنه قال: «ان القصد أمر يحبه الله عزوجل وان السرف يبغضه حتى طرحك النواة فانها تصلح لشيء، وحتى صبك فضل شرابك». وسائل الشيعة ـ النكاح ـ النفقات ـ وعنه(ع) أيضاً: «اتق الله ولا تسرف ولا تقتر واكن بين ذلك قواما، ان الاسراف من التبذير، قال الله تعالى «ولا تبذر» ان الله لا يعذب على القصد». وسائل الشيعة ـ النكاح ـ النفقات ـ

يقول بشر بن مروان: دخلنا على أبي عبد الله(ع) فدعا بر طب فأقبل بعضهم يرمي بالنوى، قال وأمسك أبو عبد الله يده فقال: لا تفعل ان هذا من التبذير وجاء عن رسول الله(ص) ضمن حديث المناهي: «ومن بنى بنيانا رياء وسمعة حمله يوم القيامة من الارض السابعة وهو نار تشتعل ثم يطوق في عنقه ويلقى في النار فلا يحبسه شيء منها دون قعرها الا أن يتوب».

قيل: يارسول الله(ص) كيف يبنى رياء وسمعة؟

قال(ص): يبنى فضلاً على ما يكفيه استطالة منه على جيرانه، ومباهاة لاخوانه». بحار الانوار ـ جوامع مناهي النبي(ص).

وعن امير المؤمنين(ع): ان الله اذا أراد بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والاسراف». مستدرك الوسائل ـ

وعن الامام الصادق(ع) :

«أترى الله تعالى أعطى من أعطى من كرامة عليه ومنع من منع من هوان به عليه!؟ ولكن المال مال الله يضعه عند الرجل ودايع، وجوز لهم أن ياكلوا قصداً ويشربوا قصداً وينكحوا قصداً ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ويلموا به شعثهم فمن فعل ذلك كان مايأكل حلالاً ويشرب حلالاً ويركب حلالاً وينكح حلالاً ومن عدا ذلك كان عليه حراماً، ثم قال(ع) ولاتسرفوا ان الله لايحب المسرفين ، أترى الله ائتمن رجلاً على مال خول له أن يشترى فرساً بعشرة آلاف درهم، ويجزيه بعشرين درهما ويشترى جارية بألف دينار ويجزيه بعشرين ديناراً، وقال «لاتسرفوا ان الله لايحب المسرفين» أترى الله ائتمن رجلاً على مال خول له أن يشترى فرساً بعشرة آلاف درهم و يجزيه بعشرين درهماً ويشترى جارية بألف دينار ويجزيه بعشرين ديناراً وقال «لاتسرفوا ان الله لايحب المسرفين» ـ مستدرك الوسائل ـ

وعن العباسى قال: استأذنت الرضا(ع) فى النفقه على العيال فقال(ع) بين المكروهين، فقلت : جعلت فداك لاوالله لا أعرف المكروهين فقال(ع) لى : يرحمك الله ما تعرف ان الله تعالى كره الاسراف وكره الأقتار فقال: والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوما» ـ وسائل الشيعة ـ

وروى عن الامام الصادق(ع) :

«أربعة لايستجاب لهم، أحدهم كان له مال فأفسده فيقول: يارب ارزقنى فيقول الله عزوجل ألم آمرك بالاقتصاد» فروع الكافى ـ كتاب الزكاة .

معنى الاسراف وأنواعه :

الاسراف بمعنى تجاوز الحد والزيادة عليه، وذلك أما من جهة

الكمية وهو صرف المال فى موضع غير مناسب شرعاً أو عقلاً حتى لوكان المال بمقدار درهم واحد، أو من جهة الكيفية وهو صرف المال فى موضع مناسب لكن بأكثر مما يستحق، مثل أن يشترى لباسا بقيمة خمسمائة (درهم) ويلبسه والحال أن اللباس الذى يناسبه ويليق بحاله يساوى مائة درهم .

وقال بعض أن صرف المال فى غير موضعه المناسب يسمى تبذيراً، وصرف المال بأكثر مما يستحق المورد يسمى اسرافاً .

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال :

«للمسرف ثلاث علامات: يأكل ماليس له، ويلبس ماليس له، و يشترى ماليس له» ـ بحار الانوار ـ

وعن الامام الصادق (ع) :

«انما السرف أن تجعل ثوب صونك ثوب بدلتك» ـ مستدرك الوسائل ـ

الاسراف يتفاوت حسب الاشخاص :

يجب أن يعلم أن الاسراف يختلف باعتبار الاشخاص من حيث الشأن والشرف والصحة والمرض والفتوة والشيخوخة، ومن حيث الغنى والفقر وزيادة العلاقات وقلتها، ذلك أنه قد لايكون اسرافاً صرف المبلغ الفلانى لشراء ملابس بالنسبة لشخص صاحب مقام و شخصية وعلاقات فى المجتمع، بينما يكون اسرافا بالنسبة لشخص آخر.

روى الكلينى عن الامام الصادق (ع) أنه قال :

«رب فقير هو أسرف من الغنى ينفق مما أوتى، والفقير ينفق من غير ماأوتى» ـ فروع الكافى ـ

بناءاً على ذلك فأن أكثر التكلف فى الوسائل الحياتية والمعيشية

والمبتلى به أكثر الناس من دون ملاحظة الشأن الاجتماعي المقرر او مستوى دخله المعيشي والتورط غالباً بالقروض والهموم، ان أكثر هذا التكلف هو اشراف، وسببه أن كل واحد ينظر لمن هو أعلى منه ويريد أن يصبح مثله لا أقل، وبالتالي يتورط بالاسراف، ويكون دائما في الشدة، والصعوبة والانزعاج، وعدم الرضا، والهم والغم في حين أنه لو نظر لمن هو دونه حسبما منهج الشرع في الامور الدنيوية لم يبتل أبداً بالاسراف والقلق والاضطراب، وعلى ذلك فان أكثر حالات الاحباط والانكسار تنبع من الاسراف، بحيث لو أن الشخص عمل بقرار الشارع، وحكم الفطرة والعقل السليم، وترك هذا الذنب الكبير، وفي جميع حالاته راعى الاقتصاد والاعتدال، لو كانت القناعة هي دليله، لنال بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

يقول أمير المؤمنين (ع):

«لايذوق المرء من حقيقة الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: الفقه في الدين، والصبر على المصائب، وحسن التدبير في المعاش» ـ سفينة البحار ـ

وعن الامام الصادق (ع) «ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر» ـ وسائل الشيعة ـ

وعن الامام الباقر (ع) أنه قال: «وأما المنجيات فخوف الله في السر والعلانية، والقصد في الغنا والفقر، وكلمة العدل في الرضا والسخط» سفينة البحار ـ مجلد ١ ـ ٣٤

وقال الامام الصادق (ع) ايضا: «من قنع بالمقسوم استراح من الهم والكد والتعب» سفينة البحار مجلد ٢ ـ ٤٥٢

وسئل (ع) عن قوله تعالى «فلنحيينه حياة طيبة» فقال: هي القناعة» المصدر السابق

أبوذر لايخدع :

أرسل عثمان الى أبى ذر موليين له ومعهما مأتا دينار فقال لهما انطلقا الى أبى ذر فقولا له ان عثمان يقرئك السلام ويقول لك هذه مأتا دينار فاستعن بها على مانابك فقال أبوذر : هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطانى؟ قالا: لا، قال انما أنا رجل من المسلمين يسعنى مايسع المسلمين قال له : انه يقول هذا من صلب مالى وبالله الذى لااله الاهو ماخالطها حرام ولا بعثت بها اليك الامن حلال. فقال لاحاجة لى فيها، وقد أصبحت يومى هذا وأنا من أغنى الناس، فقالا له: عافاك الله وأصلحك ما نرى فى بيتك قليلاً ولاكثيراً مما يستمتع به فقال: بلى تحت هذا الأكاف الذى ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام فما أصنع بهذه الدنانير؟

لاوالله حتى يعلم الله أنى لا أقدر على قليل ولاكثير، وقد أصبحت غنيا بولاية على بن ابى طالب (ع) وعترته الهادين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون» سفينة البحار / ج ٢ / ٤٥٢ —

وفى رواية اخرى أن معاوية صنع معه مثل ذلك فلما لم يقبل أبوذر من الغلامين، قالا له: لئن قبلت منا المال ففى ذلك عتق رقابنا. فقال: لئن كان فى ذلك اجر يتكما ففيه راقى» الحديث ليس نصاً جاء فى كتاب «الاسلام والمعضلة الاقتصادية» للاستاذ أبو الأعلى المودودى بعد أن أكد أن جميع مفاسد العالم المعاصر ناشئة

من اسراف وتبذير الرأسماليين الاثرياء ـ مايلى :

هؤء الاثرياء يعدون الزنا من لوازم الحياة، وفى أجل ذلك فقد جعلوا عدداً من النساء مهمتهم الرقص والبغاء، وعدداً فى الرجال مهمتهم القيادة دون أن يكون لهم أى شىء آخر .

الغناء والطرب هو نوع من انواع الترفيه والانس لهؤلاء الاثرياء، ومن أجل ذلك فقد استخدموا عدداً من المغنين والرقاصين والفنانين والموسيقيين والعازفين .

ولقد أوجد هؤلاء حالة من العشق والهيام البالغ حد الجنون بأنواع اللهو واللعب المضرة بالمجتمع الانسانى، وبذلك أوجدوا مجالاً للعديد من المجانين، والراقصين، والراقصات، والفنانين، و الرسامين، ومن هنا أيضاً وجدت الفنون الجديدة التى لاتتطلبها الحياة الاسانية الشريفة، بل كان وجودها وانتشارها بفرر الاسانية والاخلاق .

كما أن الصيد هو واحد من وسائل اللهو والترفيه الهامة لهؤلاء الاثرياء، فى الوقت الذى هو منبع لمضاعفة ثراواتهم، وعلى أساس ذلك فقد استخدموا لانفسهم عديداً من ابناء الشعوب بعنوان الأعوان والمرافقين، ولولا شهوة اولئك الراسماليين لأنصرف هؤلاء الناس للاشغال الانسانية النافعة، كما أن هؤلاء الاثرياء البعيدين عن الله سخروا العديد من الناس لصنع انواع المسكرات من مشروبات الكحول، والافيون والحشيش .

كما ان هؤلاء الرأسماليين ينفقون معظم أموالهم فى بناء القصور والعمارات ذات الطوابق المتعددة، وأنواع البساتين، والمتنزهات، والمسارح وقد بلغ هؤلاء فى اسرافهم اللاانسانى واللا اسلامى حداً بنوا فيه العمارات الضخمة ليدفنوا فيها بعد مماتهم، وبنوا المقابر

الواسعة التى ينبغى أن تعطى لسكنى الآخرين ممن لا بيت لهم ولا مأوى.

بل لقد بلغ اسرافهى الى حد بناء الغرف العالية لكلابهم، وتلبيسها القلائد الذهبية، واستخدام المربين لها، وانفاق الثروات الطائلة فى هذا المجال.

جاء فى مجلة (نيواستيتسمن) الأمريكية أنه يصرف سنوياً على الكلاب وسائر لوازمها مبلغ ثلاث مليارد دولار، فى الوقت الذى يلزم صرف هذه المبالغ لسد حاجات الفقراء المعوزين من ابناء النوع البشرى.

كما أن هؤلاء الاثرياء يميلون جداً للألبسة الفاخرة، والزنية الغالية والأوانى الذهبية والفضية، ونقش الجدر بانواع النقوش ذات التكاليف الباهظة، والصور الثمينة، والستر المزركشة بالذهب...» انتهى.

وضمناً يجب أن نشير الى الملاحظة التالية:

ان قولنا بأن صرف مبلغ كذا من المال هو اسراف بالنسبة للفقير وليس اسرافاً بالنسبة للغنى، لايدعو هذا القول للاشتباه وتخيل أنه لامانع للغنى من صرف اى مبلغ وفى اى طريق، حتى يجوز له صرف المال فى الملذات والأهواء، وحيث أنه ثرى فذلك لايعتبر اسرافاً منه، بل الصحيح أن حكمه أشد، وتكليفه أكبر من الفقير، وذلك.

أولاً: أن صرف المال فيما زاد على حاجته من المسكن، واللباس، والفراش، واللوازم الحياتية، والمعيشه اليومية، وفيما زاد على ما يليق بشأنه فى تلك الامور حرام عليه.

وثانياً: ان مازاد على نفقاته اللازمة والمناسبة لشأنه لايحق له خزنه، بل يجب اخراج الخمس منه وصرفه فى موارده المعينة، كما يجب اخراج زكاته اذا كان مورداً لتعلق الزكاة، واذا كان لديه أرحام

وأقرباء فقراء فانه يجب عليه مساعدتهم بنحو تحفظ به صلة الرحم، مثلا اذا كان رحمه الفقير بحاجة الى رأسمال وجب عليه دفعه اليه، واذاكان مديناً وجب عليه أن يؤدي دينه، واذاكان مريضاً وجب عليه توفير الدواء له ووسائل سلامته، بل يجب عليه اغاثة كل مسلم مضطر ومحتاج يعرف وضعه، واذالم يعمل بهذه التكاليف كان ممن قال فيهم الله تعالى «والذين يكنزون الذهب والفضه ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» ـ سورة البراءة ـ آية ٣٣ ـ

وورد عن رسول الله (ص) في تفسير هذه الآية أنه قال: «... «مامن ذي كنز لايؤدي حقه الاجيء به يوم القيامة تكوى به جبينه وجبهته، وقيل له هذا كنزك الذي بخلت به» ـ تفسير الميزان ـ

والآيات والروايات الواردة في لزوم الأنفاق، والثواب الذي لايحصى في ذلك والتهديد بالعذاب على البخل وكنز المال وعدم انفاقه، كثيرة وخارجة عن محل بحثنا.

هذا وقد نسمع بأن بعض الاثرياء الذين يعدون انفسهم مسلمين يضعون ملايين أموالهم في البنوك الخارجيه، والتي يشيع خبرها بعد موتهم، مثل هؤلاء ماهو عذرهم أمام الله ؟

اذا قالوا لانعلم قيل لهم لماذا لم تتعلموا أمور دينكم؟ ولماذا لم تحضروا مجالس الوعظ؟

وان كنتم تعلمون فلماذا لم تعملوا، يالها حسرة أبدية وندم دائمي، يكون نصيب هؤلاء الاثرياء.

ما أكثر اولئك الاغنياء الذين لايعلمون أن الغرض والفائدة من المال انما هي انفاقه في سبيل الله

الاسراف يختلف باختلاف الازمان :

كما أن الاسراف يختلف باختلاف الاشخاص كذلك يختلف باختلاف الازمان، فربما لايكون صرف مبلغ معين في معيشة شخص اسرافاً، ولكن صرف نفس ذلك المبلغ في سنة القحط والفقر العمومي يكون اسرافاً لنفس ذلك الشخص، اذ يستطيع أن يعيش بأقل من ذلك المقدار ويعطى مازاد للآخرين .

يروى معتب خادم الامام الصادق (ع) فيقول :

«وقد تزيد السعر بالمدينة، كم عندنا من طعام؟

قال قلت : عندنا ما يكفينا أشهر كثيرة

قال : أخرجه وبعه

قال قلت له : وليس بالمدينة طعام!

قال : بعه

فلما بعته قال : اشتر مع الناس يوماً بيوم، وقال : يامعتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة، فان الله يعلم أني واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها ولكني أحب أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة» ـ فروع الكافي ـ كتاب المعيشة ـ

وهكذا بالنسبة الى اللباس، فقد ورد فيمن اعترض على الامام الصادق عليه السلام قائلاً : يا أبا عبد الله انك من أهل بيت نبوة وكان أبوك وكان، فما هذه الثياب المزينة عليك؟

فقال (ع) في جواب هؤلاء المعترضين :

«أخبرك أن رسول الله كان في زمان مقفر جدب، فأما اذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجارها ...

«وكان علي (ع) في زمان يستقيم له مالبس فيه، ولو لبست مثل ذلك اللباس في زماننا لقال الناس : هذا مراء» وسائل الشيعة ـ أحكام

الملابس

وفى رواية أخرى أنه(ع) اجتذب يدالمعترض فجرها اليه، ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا لبسته لنفسى غليظاً ومارأيته للناس»

الاسراف الحرام دائماً :

يجب أن يعلم أن ثلاثة أقسام من الاسراف هى حرام فى جميع الحالات، والاشخاص، والازمنة، والامكنة .

الاول : تضييع المال واتلافة مهما كان قليلاً، مثل رمى نواة التمر فى وقت يمكن الاستفادة منها، أو اراقة المتبقى من الماء فى الاناء فى حال قلة الماء بحيث يمكن رفع الحاجة بذلك المقدار كما تقدم ذكر ذلك فى الاحاديث السابقة. أو تمزيق اللباس القابل للاستفادة منه، أو القاؤه بعيداً، أو خزن الطعام وعدم دفعه للغير حتى يتلف، ومثل اشعال المصباح مع وجود ضوء الشمس، ومثل اعطاء المال للسفيه أو الصغير الذى لايعرف قدره فيتلفه، وأمثال ذلك .

عن الامام الصادق(ع) أنه نظر الى فاكهة قد رميت من داره لم يستقص أكلها فغضب وقال: ماهذا ان كنتم شبعتم فان كثيراً من الناس لم يشبعوا فأطعموه من يحتاج اليه» ـالمستدركـ كتاب الاطعمة والاشربة ـ

وأما بالنسبة الى القاء باقى الطعام خصوصاً فتات الخبز فقد وردت روايات تهديد ـالا اذاكان ذلك فى الصحراء لأجل الحيوانـ يطول الكلام بذكرها، وروى أن الناس فى زمن النبى دانيال نتيجة دعائه(ع) لعدم احترامهم للخبز والقائهم اياه فى الايدى والأجل ـأصيبوا بالقحط حتى وصل بهم الأمر الى أن يأكل بعضهم الآخر.

روى عن الامام الحسين(ع) أنه دخل المستراح فوجد لقمة ملقات فدفعها الى غلام له وقال ياغلام اذكرني بهذه اللقمة اذ خرجت فأكلها الغلام، فلما خرج الحسين بن على(ع) قال: ياغلام اللقمة! قال: أكلتها يامولاى، قال: أنت حرلوجه الله، فقال رجل أعتقته؟ قال: نعم سمعت رسول الله(ص) يقول من وجد لقمة ملقات فمسح أو غسل منها ثم أكلها لم يستقر فى جوفه الا اعتقه الله من النار» ـ وسائل الشيعة ـ الطهارة باب ٣٩ ـ

ومن هذا القبيل لبس الملابس الفاخرة المعدة لحفظ الحرمة والكرامة فى مكان يجعلها فى معرض الضياع، كما تقدم ذكر ذلك فى حديث سابق عن الامام الصادق(ع).

الثانى: صرف المال فيما يضر البدن من المأكل والمشرب، مثل الأكل بعد الشبع فانه مضر، بخلاف صرف المال فى نفع البدن و صلاحه فانه ليس اسرافاً.

روى عن أبى عبدالله(ع) أنه قال له بعض أصحابه انا نكون فى طريق مكة فنريد الاحرام فنطلى فلايكون معنا نخالة نتدلك بها من النورة فنتدلك بالدقيق وقد دخلنى من ذلك ماالله أعلم به؟

قال(ع) أمخافة الاسراف؟ قلت: نعم، قال(ع): ليس فيما أصلح البدن اسراف انى ربما أمرت بالنقى فيلت بالزيت فأتدلك به، انما الاسراف فيما أفسد المال واضر البدن.

قلت: فما الاقتار؟

قال(ع): أكل الخبز والملح، وأنت تقدر على غيره.

قلت: فما القصد؟

قال(ع): الخبز واللحم واللبن والخل والسمن مرة هذا، ومرة هذا». ـ وسائل ـ النكاح ـ النفقات ـ

الثالث: صرف المال في المحرمات شرعاً مثل شراء الخمر، وآلات القمار، واستئجار الفاحشة والمغنية، ودفع الرشوة للحكام، او صرف المال في أمر يجر الى الظلم، وأمثال ذلك. وفي مثل هذه الموارد توجد معصيتان: الاولى حرمة أصل العمل. والأخرى هي الاسراف في صرف المال فيها.

روى في تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن الحجاج سألت اباعبدالله (ع) عن قوله تعالى «ولا تبذر تبذيرا» قال (ع): من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذر، ومن أنفق في سبيل الخير فهو مقتصد»

هل يوجد في الخير اسراف؟

ظاهر بعض الآيات الشريفة والروايات الواردة في مدح الايثار أن انفاق المال في سبيل الله ليس اسرافاً مهما كان صاحب المال محتاجاً اليه، ومهما كانت كمية المال، وحتى لو كان جميع أمواله، بل ان ذلك مطلوب ومستحب، وذلك كما في قوله تعالى «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» ٥٩ ـ ٩

والايثار هو أن يعطي ما هو شخصاً محتاج اليه الى محتاج آخر.

يقول تعالى في سورة (هل أتى): «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا» وبأتفاق كل المفسرين نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين (ع) وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وخادمتهم فضة، حيث صاموا ثلاثة أيام أفطروا فيها على الماء، وتصدقوا بالخبز هم في سبيل الله.

سئل شخص الامام الصادق (ع) قائلاً «أي الصدقة أفضل؟ فقال (ع): جهد المقل» ـ الكافي ـ

وروى في الكافي عن سماعة قال «سألت أبا عبدالله (ع) عن الرجل ليس عنده الاقوت يومه أيعطف من عنده قوت يومه على من ليس عنده شيء، ويعطف من عنده قوت شهر على من دونه والسنة على نحو ذلك أم أن ذلك كله الكفاف الذي لا يلام عليه؟

فقال (ع) : هو أمران أفضلكم فيه أجرصكم على الرغبة والأثرة على نفسه فان الله عز وجل يقول «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» والأمر الآخر لا يلام على الكفاف واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».

وعن امير المؤمنين (ع) «الايثار أعلى الايمان» بدون الكلم.

وعن رسول الله (ص) أنه قال «لا خير في السرف ولا سرف في الخير» سفينة البحار / ج ١ / ٦١٦.

يجب الاعتدال في كل مكان :

توجد في مقابل تلك الايات والروايات آيات وروايات تأمر بالاقتصاد في الانفاق، مثل الآية الشريفة «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» السورة ١٧ / الاية ٢٩.

وقال تعالى في سورة الفرقان «والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما» الآية ٦٧.

وفي رواية ابن أبي يعفور قال سأل رجل أبا عبدالله الصادق (ع) عن قول الله عز وجل «وآتوا حقه يوم حصاده، ولا تبذروا انه لا يحب المبذرين» قال (ع): كان فلان الانصاري ـ سماه ـ وكان له حرث وكان اذا أخذ يتصدق به ويبقى هو وعياله بغير شيء فجعل الله عز وجل ذلك سرفاً» تفسير نور الثقلين.

وعنه (ع) ايضاً أنه قال «ان الرجل لينفق ماله في حق وانه لمسرف»

الجمع بين الطائفتين من الآيات والروايات :

ذكر العلماء وجوها للجمع بين هاتين الطائفتين من ألأيات و الروايات ورفع التعارض بينها .

فقدنقل عن الطبرسى فىشرح الكافى أنه منالممكن القول أن أدلة حسن الايثار تتعلق بزمان الفقر العام كماكان فىصدر الاسلام، وأما ادلة ألاقتصاد فهى تتعلق بزمان السعة .

أوباعتبار اختلاف حالات المستلم فبعضهم يناسب الايثار معه نظراً لأنه صاحب جاه ومقام، وبعضهم يناسب الاقتصاد معه.

وهكذا بالنسبة الـى المنفقين، فاصحاب اليقين، والدرجات الايمانية الكاملة وذوو النفوس المطمئنة يليق بشأنهم الايثار، وأما من ليس كذلك، بحيث قد يضطرب بعد الايثار ويندم فيليق بشأنه الاقتصاد، كما هو حال عموم المؤمنين غير الصديقين، ورغم أنآية (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) هى خطاب للنبى(ص) الاأن المراد منها تعليم المؤمنين .

ونقل عن الشهيد الأول القول بأن أدلة حسن الايثار ناظرة الى الايثار على نفسه، وأدلة الاقتصاد ناظرة الى منكان ذاعيال لاينبغى لهأن يؤثر عليهم غيرهم، والخلاصة أن الايثار على النفس مستحب لاالايثار على العيال. وقال ايضاً: يكره أن يتصدق الرجل بجميعماله الااذا اطمئن.

كماقال المرحوم السيد اليزدى. فىكتاب (الغاية القصوى) «لا أشكال فى حرمة الاسراف الثابتة بالقرآن والسنة واجماع العلماء، والمراد من الاسراف صرفالمال فىموردىعتبر لغوأفى نظرالعقلاء،

وان كان باعتبار زيادته عن المقدار المحتاج اليه أو المقدار المناسب لحاله ،

وهل يتحقق الاسراف فى وجوه الخير أم لا؟

نقل عن جماعة منهم العلامة فى التذكرة ان صرف المال فى طريق الخير اذا زاد عن الحد اللازم الذى يليق بحاله فهو اسراف، و نقل عن مشهور العلماء كما فى كتاب المسالك أن لااسراف فى الخير كما وردفى الحديث الشريف «لاسرف فى الخير كما لاخير فى السرف» والقول الاول أحوط، فهو المستفاد من مجموع الأخبار (وبعد أن نقل رواية ابن أبى عمير وصحيحة البزنطى، وروايات اخرى قال) ان هذه الروايات والآيات التى تنهى عن الاسراف تنسخ آية الايثار بشهادة رواية مسعدة.. الى أن قال: اذن فأن بعض أشكال الضيافة والعطاء لبعض الاشخاص مما يزيد عن اللائق بحالهم، ومما يعتبر عند العقلاء تجاوزاً ولغواً، وليس فيه غرض عقلائى من طرف المعطى ولا من طرف الآخذ، محل اشكال، وهكذا المصارف الأخرى اذا دخلت تحت هذا العنوان وان كانت بالذات أمراً مطلوباً، نعم فى بعض الاخبار استثنى نفقة الحج والعمرة. وقد روى عن رسول الله (ص):

«مامن نفقة أحب الى الله من نفقة قصد، ويبغض الاسراف الا فى حج وعمرة» ـ سفينة البحار ـ المجلد / ١ / ٦١٦ .

لااسراف فى الخير :

القول المشهور أقوى فى نظر المؤلف، وأنه لااسراف فى الخير، بمعنى مهما يدفع الانسان فى سبيل الله ـ لافى سبيل هوى النفس ـ فى مورد يعلم أن رضى الله فى الانفاق فانه لااسراف فى ذلك حتى لودفع كل ما يملك ولاتعارض ذلك بين الآيات والروايات الدالة على

حرمة الاسراف ووجوب الاقتصاد.

وحيث كان الاستطراد في الجواب عن تلك الأدلة يدعونا للخروج عن مستوى هذا الكتاب وحيث لم نكن نقصد كتابة هذا الكتاب بنحو استدلالي، وكنا نهدف الى أن تعم فائدته للجميع لذا فاننا بنحو الاجمال نشير الى أن النهي في قوله تعالى «ولا تجعل يدك» هو نهي اشفاقي لا تحريمي ولا كراهتي وذلك بقرينة كلمة «محسوراً» وأما قوله تعالى «والذين اذا انفقوا لم يسرفوا» يحتمل أن يكون المراد منها الانفاق في خصوص المعيشة لا الانفاق في سبيل الله، وعلى تقدير العموم في الانفاق فانه يمكن القول لعل المراد أن اولئك الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا هم من عباد الرحمن بمعنى أن ذلك المقدار كاف لوصفهم بهذا الوصف وأما آية «وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا» فيحتمل أن تكون جملة «ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين» جملة مستقلة، واما بناء أعلى ارتباطها بما قبلها بقرينة ما ورد في تفسيرها فالمراد هو انفاق تمام حاصل الزرع وحرمان العيال منه، ولا شك في أن هذا اسراف، ذلك أن الانفاق مستحب بينما تكفل العيال واجب ومن ينفق جميع ماله ويترك من تجب نفقته عليه فذلك اعاص بلا شك، ومرتكب لما نهي عنه خلاف رضى الله، نعم في صورة الاطمئنان بأنه يستطيع توفير معيشة العيال من طريق آخر، أو أن العيال يسقطون حقهم عليه، فانه يصح له انفاق كل ماله في سبيل الله، كما يحمل على ذلك عمل الائمة عليهم السلام، كما أنفق أمير المؤمنين (ع) اكثر من مرة كل ماله وأعطى بستاناً كان قد اشتراها بمبلغ اثنى عشر ألف درهم — للفقراء ولم يترك لعياله شيئاً، ولكنه (ع) لم يترك عياله وقتاً ما بدون نفقة، بل هو حين يؤتى مطمئن بأن معيشة عياله سوف تؤمن بطريق آخر.

ونظير ماذكرناه حول الايات الشريفة ماوردعن رسول الله (ص) فى مذمة من ينفق جميع أمواله قبل الموت ولا يبقى لأولاده الصغار، فليس المقصود أن انفاق جميع المال قبيح، بل المقصود أنه فى هذا المورد خطأ، ذلك أن من كان لديه أطفال، وهو يعلم بأنهم بعده معوزين، فان ترك المال لأجلهم هو نفسه عمل فى سبيل الله .

ونظير ذلك ماجاء فى النهى عن الوصية بما زاد على الثلث، بل من ليس له مال كثير، وله ورثة ضعفاء أمر بالوصية بأقل من الثلث.

وخلاصة هذه الروايات الارشاد لماهو الأهم فى الانفاق لاالنهى عن الأنفاق بنحو كلى، ومما ذكر فى معنى الاية يظهر جواب رواية ابن أبى عمير .

اما جواب صحيحة البزنطى فيحتمل أن الامام (ع) انما نهى عن الانفاق الاكثر لأجل عدم استحقاق المورد للأكثر ،

واما رواية الفقيه فيمكن أن تكون اشارة لأشخاص معينين يقومون بالأنفاق المستحب ويتركون الواجب .

وجواب رواية مسعدة حيث اعترض المتصوفة على الامام بأنه يجب عليك الايثار قال (ع) فى توضيح فكرة أن الايثار ليس بواجب أن الانفاق على العيال والارحام هو من موارد الانفاق فى سبيل الله، وقوله «لوكان نهى الله منه رحمة منه للمؤمنين» فى نفس الرواية شاهد على أن الامر بالاقتصاد والنهى عن الاسراف فى الانفاق انما هو نهى ترحمى واشفاقى .

وكيف يمكن القول بأن الايثار مذموم؟ والحال أن عمل رسول الله (ص) والائمة عليهم السلام كان كذلك والآيات التى نزلت فى ايثارهم عليهم السلام مثل سورة هل أتى، وآية الايثار، وأية النجوى وغيرها، أكبر شاهد على ذلك، والروايات الواردة فى حالات الائمة كثيرة،

مثل تقسيم الامام الحسن(ع) تمام أمواله مع الفقراء ولثلاث مرات بالمناصفة وانفاق الامام الحسين(ع) وسائر الائمة مشهور، من ذلك انفاق الامام الرضا(ع) يوم عرفة فى خراسان بجميع أمواله، حتى قال له الفضل بن سهل: ان هذا لمغرم، فقال(ع) بل هو المغنم، لا تعدن مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً» ـ مناقب ابن شهر آشوب ـ

وفى يوم نوروز حيث طلب منه المأمون أن يجلس للناس ووضع بين يديه أموالاً طائلة، أعطاها(ع) لشخص واحد من الشعراء حيث أنشد قصيدة فى مدح أهل البيت(ع).

وعن الامام العسكرى(ع): «لو جعلت الدنيا وما فيها لقمة و أعطيتها عالماً مؤمناً لخفت أن أكون مقصراً فى حقه، ولو منعت الدنيا وما فيها كلها من جاهل فاسق الا جرعة ماء أعطيته فى حال عطشه لخفت الاسراف» ـ تفسير القمى ـ

وعنه(ع): «لو جعلت الدنيا كلها لقمة واحدة ولقمتها من يعبد الله خالصاً لرأيت أنى مقصر فى حقه، ولو منعت الكافر منها حتى يموت جوعاً ثم أذقتها شربة من الماء لرأيت أنى قد اسرفت» ـ سفينة البحار ح ١ / ٤٠٨ ـ

وخلاصة هذين الحديثين الشريفين أن الدنيا كلها اذا أعطيت لمؤمن مخلص لم يكن ذلك اسرافاً لأنه فى محله، واذا اعطى الكافر جرعة من الماء احتمل أن يكون اسرافاً لأن الاحسان اليه احسان فى غير محله.

وكثيراً ما ينقل عن أكابر العلماء حالات من الايثار، وبعضهم وصل الى آثاره الدنيوية العظيمة، كالمحقق الاردبيلى كما جاء فى كتاب روضات الجنات حيث يقول: ان من جملة كراماته أنه كان فى عام الغلاء يقاسم الفقراء ماعنده من الأطعمة ويبقى لنفسه سهم

واحد منهم، وقد اتفق أنه فعل فى بعض السنين الغالية ذلك فغضبت زوجته وقالت: تركت أولادنا فى مثل هذه السنة يتكففون الناس؟ فتركها ومضى الى مسجد الكوفة للاعتكاف، فلما كان اليوم الثانى جاءرجل بدواب محملة حنطة من الحنطة الطيبة الصافية والطحين الجيد الناعم، فقال: هذا بعثه لكم صاحب المنزل وهو معتكف فى مسجد الكوفة، فلما أن جاء المولى من الاعتكاف أخبرته الزوجة بأن الطعام الذى بعثه مع الأعرابى كان طعاماً حسناً، فحمد الله تعالى ولم يكن له خبر منه»

«وتكرر أن يهدى اليه شى من العمامات الغالية التى تعادل قيمتها مايكون من الذهب الخالص فيخرج به الى الزيارة، ثم اذا طلب أحد من السائلين شيئاً منه يخرق قطعة منه لأجله، وهكذا الى أن يبقى على رأسه ذراعاً من ذلك الثوب النفيس عند وروده الى بيته»

وبالجملة فان حسن الانفاق فى سبيل الله بديهى مهما كان وبأى مقدار كان، ولا اسراف فيه، اللهم الا اذا كان مستلزماً لترك النفقة الواجبة أو ترك مورد أهم، أو لم يكن المنفق عليه مستحقاً لذلك المقدار كما تقدم تفصيله فى صفحات سابقة .

الأسراف فى العقائد والاعمال :

ماذكر راجع للاسراف فى المال، ولكن حيث أن الاسراف فى اللغة معناه تجاوز الحد بناء أعلى ذلك فهو متصور فى الامور الاعتقادية، وهكذا فى تمام أعمال الانسان. الاسراف فى العقيدة هو أن يعتقد بنفسه أو بغيره مالاصحة له، وما لايليق الاعتقاد به، مثل اعتقاد فرعون بربوبيته حيث قال «ماعلمت لكم من اله غيرى» وعده الله تعالى من المسرفين حيث قال تعالى «ان فرعون لعال فى الارض وانه لمن

المسرفين» .

أولا يعتقد بما ينبغى الاعتقاد به كالاعتقاد بالله، والنبوة والامامة، والمعاد وغير ذلك، كما يقول تعالى فى القرآن المجيد «وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» السورة ٢٠ ـ ١٢٧

وأما الاسراف فى الاعمال فهو أن يأتى بما لاينبغى الاتيان به، أو يترك ما ينبغى الاتيان به، كما عد تعالى قوم لوط الذين يرتكبون عمل اللواط القبيح مسرفين، حيث قال «انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون» سورة الاعراف ـ ٨١

حيث يضعون البذور فى غير محل زراعتها .

بل أن أى ذنب فعلى أو قولى يصدر من الانسان هو اسراف، وكل مذنب مسرف كما يقول تعالى فى سورة الزمر «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة ا...» .

وينبغى للمؤمن أن يحاول ترك الاسراف حتى فى الامور المباحة، فى النوم أو اليقظة، او الكلام، أو الطعام، كما ورد فى الحديث الشريف «ان الله يبغض كل أكول نئوم» .

وبنحو عام عليه أن يجهد فى أن لايتجاوز الحد فى أى عمل من أعماله، ومن أجل التعرف على شرح وتفصيل هذه المطالب راجع كتاب معراج السعادة، وحلية المتقين، وسراج الشيعة، وغير ذلك من الكتب الواردة فى باب الآداب والمعاشرة .

(٣٣)

الكبر

الثالث والثلاثون من الكبائر المنصوصة (الكبر) فقد ذكر فى رواية الفضل بن شاذان عن الامام الرضا(ع)، وقد عد الشيخ الانصارى فى المكاسب هذه الرواية معتبرة وان اعتبار سندها ليس بأقل من الرواية الصحيحة. وكذلك جاء عن الامام الصادق(ع) فى رواية الاعمش حيث عد التكبر من الذنوب الكبائر فقال(ع) (واستعمال التكبر والتجبر) كما أنه من الذنوب التى جاء فى القرآن المجيد الوعيد عليها بالعذاب، حيث قال تعالى فى سورة الزمر «أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين» وقال تعالى فى نفس السورة «ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين» وقال تعالى فى سورة المؤمن «كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» والايات الواردة فى موضوع التكبر كثيرة، يكفى منها ماجاء فى تكبر الشيطان، وأن ذلك كان هو السبب فى أن يصبح الشيطان ملعوناً، ومحكوماً بالعذاب الابدى كما قال تعالى فى سورة البقرة «أبى واستكبر وكان من الكافرين».

قال أمير المؤمنين(ع) ضمن خطبته (القاصعة):

«الحمد لله الذى لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرماً على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده.. الى أن قال(ع) فاعتبروا بما كان من فعل

الله بابليس اذأحبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قد عبدالله ستة آلاف سنة لايدرى أمن سنى الدنيا أم من سنى الاخرة على كبر ساعة واحدة فمن ذا بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته، كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، ومابين الله وبين أحد من خلقه هوادة فى اباحة حمى حرمه على العالمين».

ثم قال(ع) وهو يتحديث عن قابيل الذى تكبر على أخيه هابيل:

«ولا تكونوا كالمتكبر على ابن امه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظيمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحمية فى قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان فى أنفه من ريح الكبر الذى أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين الى يوم القيامة»

ثم قال(ع) :

«فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ووقائعه ومثلاتـه، واتعظوا بمثاوى خدودهـم، ومصارع جنوبهم، واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر»

وقال رسول الله(ص) :

«ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال» الكافى .

ومعنى ذلك أن عقوبة هؤلاء الثلاثة أكثر مـن عقوبة الشباب الزانى، والجبار غير الملك، والمتكبر غير الفقير، والوجه فى ذلك ظاهر حيث أن مقتضى المعصية فى هؤلاء الثلاثة غير موجود، فالشيخ الهرم الذى انطفأت فيه حرارة الشهوة حينما يزنى يعرف من ذلك أنه فاقد للحياء وأنه لايعتنى بأحكام الله، ولذا نجد أن العقوبة فى معظم الذنوب هى للشيخ أشد مماهى للشباب .

وأما بالنسبة للحاكم فحيث أن الله تعالى قد أعطاه سلطة وقوة لأجل بسط العدل فأن ممارسته للظلم هى كفران بالنعمة فضلاً عن أنها معصية، بل هو فى الحقيقة منكر لعبوديته لله، وأما الفقير المتكبر فمن المعلوم أن المال هو أحد أسباب التكبر، أما من لامال له ومع ذلك يتكبر فيعلم من ذلك أنه خبيث معاند لخالقه .

عن حكيم قال سألت أباعبدالله(ع) عن أدنى الالحاد فقال(ع) : «ان الكبر أدناه» الكافى .

وقال الامام الباقر(ع) «العز رداء الله والكبر أزاره فمن تناول شيئا منه أكبه الله فى جهنم» الكافى .

وقال(ع) أيضاً «الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رادئه» المكافى .

ذلك أن المتكبر فى حال تكبره ينس عبوديته لله، وأن كل مالديه هومن الله ويظن أنه هو العلة المستقلة بالتأثير، ويقول بمقولة فرعون أنا الاكبر والاعلى أنا كذا وكذا، وبذلك يضع نفسه فى قبال الله، ويدعى الربوبية .

وخلاصة الكلام أن الانسان يستطيع أن يتصف بصفات الله مثل العفو، والرحمة، والجود، والاحسان، والكرم، والحلم، والعلم، و المحبة، والرأفة، بل ان القرب من الله تعالى هوعلى مقدار وضوح الاتصاف بهذه الصفات وضعفه، ماصفة العزة والعظمة والكبرياء فهى من الصفات الالهية المختصة، ولايستطيع أحد من العباد أن يتصف بها .

يقول تعالى فى القرآن المجيد «وله الكبرياء فى السماوات والارض» ويقول الامام الصادق(ع) «انفى جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقرشكا الى الله عزوجل شدة حره وسأله أن ياذن له أن يتنفس

فتنفس فأحرق جهنم». الكافى

وقال(ع) أيضاً «ان المتكبرين يجعلون فى صور الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب» الكافى.

يقول العلامة المجلسى فى شرح هذا الحديث :

انه «يدل على أنه يمكن أن يخلق الانسان يوم القيامة أصغر مما كان مع بقاء الاجزاء الاصلية أو بعضها فيه، ثم يضاف اليه سائر الاجزاء فيكبر اذ يبعد التكاثف الى هذا الحد، ويمكن أن يكون المراد أنهم يخلقون كباراً بهذه الصورة فأنها أحقر الصور فى الدنيا معاملة معهم بنقيض مقصودهم، أو يكون المراد بالصورة الصفة أى يطأهم الناس كما يطئون الذر فى الدنيا» مرأة العقول

الكبرو التكبرو اقسامه :

الكبر هو حالة يرى الانسان فيها نفسه أفضل وأعظم من الآخرين وانعكاس هذه الحالة على القول و العمل يعبر عنه بالتكبر، وهو على ثلاثة أقسام:

الكبر على الله، والكبر على الرسول(ص) والائمة(ع)، والكبر على الناس.

(١) الكبر على الله.

أما الكبر على الله فله انواع، فأحياناً تصيب الانسان الجاهل والمغرور حالة يرى فيها أنه مستقل فى التأثير ويعتقد أن كل شؤونه هى منه شخصاً، ولا يكون مستعداً لاعتبار نفسه مخلوقا بين يدى الله و تحت تدبيره وتربيته، بل لسان حاله ومقاله هو (أنا فعلت كذا) و (سوف أفعل كذا) ونتيجة قدرته المحدودة الظاهرية فى المال والجاه

لايكون مصدقاً بربه وخالقه، وتسيطر ظلمة الكفر على تمام قلبه .

قال تعالى فى القرآن المجيد «ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه» وبمقتضى هذه الاية فانهم سوف لايصلون الى الحالة التى يغلبوا فيها الحق ويكونوا أكبر منه لافى الدنيا ولافى الآخره، و يقول تعالى فى موضع آخر «فالذين لايؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون» سورة النحل ـ ٢٣ .

وأحياناً يصل الغرور والكبر الى مرتبة أشد، فيتجاوز ذاته ، ويدعى الربوبية والالوهية للآخرين أيضاً فيقول (أنـا الذى أدبر الجماعة الفلانية،وهم تحت تصرفى وتربيتى) كماقال فرعون الاحمق «أنا ربكم الاعلى» واستدل على ذلك بقوله «أليس لى ملك مصر ، وهذه الانهار تجرى من تحتى» ويدعى أحياناً أن لايوجد اله سواه «ما علمت لكم من اله غيرى» ومثل نمرود التعيس الذى اعتقد بأن الموت والحياة بيده أيضاً فقال«انا أحيى وأميت» السورة ٢ / ٢٦٠.

وكان دليله على ذلك أن جاء برجلين من السجن فقتل أحدهما وترك الآخر حياً. وأحياناً ونتيجة الجهل والغرور يتكبر عن العبودية لله واطاعة أوامره تعالى ونواهيه رغم أنه غير منكرلله، كما يقول تعالى فى سورة النساء «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويسكبر فسيحشرهم اليه جميعاً فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما) السورة ٤ ـ ١٧٢ .

والحقيقة ان ترك العبادة والطاعة من باب التكبر والتعالى هو كفر وانكار لالوهية الله وربوبية تعالى بحيث لايراه أهلاً للعبادة و ذلك لأن من يعرف نفسه عبداً لله ويعرف أن جميع شؤونه هى مخلوقة

ومربوبة له تعالى يستحيل أن يتطاول وحتى لو صدرت من هذا الانسان بعض الذنوب، وخالف بعض الأوامر الالهية فليس ذلك من باب انكار الربوبية والكبر على الله، وانما من باب غلبة الشهوة وهوى النفس، ونتيجة الغفلة، كما جاء عن الامام السجاد (ع) في دعاء أبي حمزة الثمالي «الهي لم أعصك حين عصيتك وانا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف ولا لوعيدك متهاون، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن خطيئة عرضت، وسولت لي نفسي وغلبني هواي، وأعانني على ذلك شقوتي..».

والذنب الصادر نتيجة الكبر والانفة غير قابل للعفو لأنه شاهد على كفر صاحبه ومن هنا يظهر كفر ابليس حيث ترك أمر الله بالسجود لآدم بفعل التكبر والأنفه حيث قال «لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون» وقال تعالى في جوابه «فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين»

وقال تعالى أيضاً عن أبليس «أبى واستكبر وكان من الكافرين».

ترك الدعاء تكبراً كفر أيضاً :

كما أن ترك الدعاء من باب الكبر و الاعتقاد بعدم الحاجة اليه تعالى هو كفر أيضاً، وموجب للخلود في النار، كما قال تعالى «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» السورة ٤٠ ـ ٦٢

وجاء في تفسير الكاشفي أن المراد بالدعاء السؤال، يعني سلوني فان خزانتي مملوءة، وكرمي مبعث الأمال، فأي سائل سألني ثم لم أعطه مراده؟ وأي محتاج فتح بالسؤال لسانه ثم لم أوقع على رقعة حاجته بتوقيع الاجابة؟

* * *

وحيث أن حقيقة الدعاء ـ أى السؤال من الله تعالى فى حال الحاجة ومن باب العجز والانكسار ـ هى العبودية لله، اذن فمن يترك الدعاء تكبراً معناه أنه لايرى نفسه محتاجا لله تعالى، ولايرى الله تعالى أهلا للعبادة، وذلك هو الكفر المحض الموجب للخلود فى النار.

يقول الامام السجاد(ع) :

«فسميت دعائك عبادة، وتركه استكبارا، وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين» الصحيفة السجادية ـ الدعاء ٤٥ .

ويقول(ع) فى موضع آخر :

«وان أحب العباد اليك من ترك الاستكبار وجانب الاصرار، ولزم الاستغفار، وانا أبرء اليك أن أستكبر» الصحيفة السجادية ـ الدعاء ١٢

التكبر على حرمات الله :

ومن أنواع التكبر على الله التكبر على الامور المنسوبة اليه تعالى والتى تعتبر من حرماته، مثل الاوامر والنواهى الالهية ومثل الاشهر الحرم خصوصاً شهر رمضان المبارك، ومثل بيت الله الحرام، والمشاهد المشرفة، بل عموم المساجد، حيث أن المساجد عموماً نسبت اليه تعالى فى القرآن المجيد «وأن المساجد لله» اذن فالتكبر فى مقابل كل واحد من هذه الامور اذا كان متضمناً لهتكها حرام قطعاً ومن كبائر الذنوب، وهى فى الحقيقة تكبر على الله .

قال تعالى فى سورة المائدة «يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله» أى احفظوا حرمة الامور المنسوبة اليه تعالى .

التكبر ذل الدنيا والاخرة :

من آثار التكبر على حرمات الله بل جميع أقسام التكبر، الذل

فى الدنيا والآخرة، كما أن من آثار التواضع زيادة العز والشرف فى الدنيا والآخرة .

يقول الرسول الاكرم(ص) :

«من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله» بحار الانوار ـ المجلد ١٦ باب التواضع .

روى عن شرح الصحيفة عن عمر بن شيبة أنه قال بينما كنت فى مكة المكرمة بين الصفا والمروة رأيت شخصاً قدركب جملاً وغلمانه يبعدون الناس من حوله، بعدمدة دخلت بغداد فرأيت شخصاً منكوباً حافياً أشعثاً طويل الشعر فأطلت النظر اليه فقال لى مالك تنظر الى؟ فقلت: انك تشبه رجلاً متكبراً رأيته بين الصفا والمروة، وكان كذا وكذا فقال: أنا ذلك الرجل، فقلت: وما الذى جرى حتى صرت الى ما أنت فيه؟ فقال: لقد تكبرت حين كان يتواضع لى الناس، فجعلنى الله فى موضع يتكبر على الناس .

(٢) الكبر على الرسول(ص) والامام(ع) :

الكبر على الرسول والامام هو أن يعتقد بأنه مساو لهم أو أفضل منهم، ولايكون مستعداً للتسليم والانقياد لهم وطاعتهم، مثل الفراعنة الذين تكبروا على موسى وهارون وقالوا : «لن نؤمن لبشرين مثلنا» أو يقولوا «لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا» سورة الفرقان ـ ٢١

وقال تعالى عن لسان نوح(ع) «وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبار» السورة ٧١ / ٧

ومثل تكبر قريش على رسول الله(ص) حيث قالوا «لولا نزل

هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» سورة الزخرف / ٣١.

وفى الحقيقة ان التكبر على الرسول والامام هو تكبر على الله تعالى كما أن التكبر على ممثلى الرسول(ص) والامام وعدم اطاعتهم فى جهة تمثيلهم هو تكبر على الرسول والامام، بل على الله تعالى، بناءاً على ذلك فان العلماء العاملين والفقهاء الراشدين وهم نواب الحجة عجل الله تعالى فرجه فى هذا الزمان، من تكبر عليهم أو أهانهم ولم يطعهم فى الاحكام الالهية التى يبينوها قائلاً من أنتم حتى أتبعكم؟ فهو متكبر يقيناً على الرسول(ص) والامام(ع) وحسب كلام الامام الصادق(ع) هو على حد الشرك بالله.

التكبر على العالم تكبر على الرسول(ص) :

قال رسول الله(ص) :

«ألا لاتكذبوا عالماً ولا تردوا عليه ولا تبغضوه وأحبوه فان حبهم اخلاص وبغضهم نفاق، ألا ومن أهان عالماً فقد أهانني ومن أهانني فقد أهان الله ومن أهان الله فمصيره الى النار ألا ومن أكرم عالماً فقد أكرمني ومن أكرمني فقد أكرم الله ومن أكرم الله فمصيره الى الجنة» ـ لئلى الاخبار ـ

المتكبرون أهل النار :

يجب أن يعلم أن المراد فى الايات والروايات الدالة على خلود المتكبرين فى جهنم، هم المتكبرون على الله والمتكبرون على الرسول والامام حيث أن التكبر فى هذين القسمين يعود ـ كما ذكرنا سابقاً ـ الى الجحود وعدم الايمان بالله الخالق، ولاشك أن من يموت بلا ايمان خالد فى النار.

يقول الشهيد فى كتاب (القواعد) :

«الكبر معصية والأخبار فى ذلك كثيرة .

قال رسول الله(ص) «لن يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من الكبر»

ثم ذكر الشهيد أن هذا الحديث يحمل على الكبر الذى يؤدى الى الكفر، أو أن المراد هو عدم دخول المتكبر الجنة سوية مع المتواضع وانما يدخل بعده وبعد العذاب فى النار .

والتوجيه الاول أفضل، ويشهد له حديث رواه محمد بن مسلم عن الامام الصادق(ع) أنه قال «لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر .

قال : فاسترجعت

فقال(ع) : مالك تسترجع؟

قلت : لما سمعت منك

فقال(ع): ليس حيث تذهب انما أعنى الجحد وانما هو الجحود» ـ الكافى ـ

(٣) الكبر على عباد الله :

القسم الثالث هو الكبر على الناس، بأن يرى نفسه كبيراً والآخرين صغاراً، ويرى نفسه أفضل منهم ويستاء من مساواته بهم، يتقدم عليهم فى الطريق، ويرغب أن يجلس فى صدر المجالس، ويتوقع منهم التحية والتواضع، وان نصحه أحد انزعج ورفض، وان قال باطلاً فردوه عليه غضب، وان ذكر أحداً بشىء لم يرفق به، ويمن عليه ويتوقع خدمته، وبالجملة يرى نفسه أعلى من الناس، كما يراها أعلى من الحيوانات وأشرف، وان كان له مال أو منصب لم يكن مستعداً

لمشاركة الفقراء والضعفاء في صلاة الجماعة والاجتماعات الدينية وغيرها، وفي الحقيقة أن مثل هذا الشخص يجعل نفسه شريكا لله في الصفة التي اختص بها وهي العظمة والكبرياء، ومثله مثل غلام السلطان الذين يضع على رأسه تاج السلطنة ويجلس على عرش السلطان، و مثل هذا العبد الوقح جدير بالغضب منه ويحتقره جميع العقلاء، و حيث أن جميع الناس هم عباد الله، وهم متساوون من هذه الجهة، فمن يرى نفسه أفضل من الآخرين ويتكبر عليهم فهو منازع لله فيما تفرد به تعالى .

وقد ذكرنا في أول البحث بعض الروايات الواردة في مذمة الكبر على العباد وعقوبة ذلك .

يقول الامام الصادق(ع): «الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحق» الكافي .

ويقول العلامة المجلس في شرح هذا الحديث معناه أنه يتحاهل أمام الحق ويسفهه ولا يقبله أو معناه استصغار الحق والاستخفاف بقدره.

قال الرسول الاكرم(ص) «ان أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق» ـ الكافي ـ يعني استصغار الحق والطعن بأهله .

وفي رواية عمر بن يزيد قال : قلت لأبي عبدالله(ع): انني آكل الطعام الطيب، وأشم الريح الطيبة، وأركب الدابة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبر فلا أفعله؟

فأطرق ابو عبدالله(ع) ثم قال: انما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق .

قلت: أما الحق فلا أجهله والغمص لا أدري ماهو .

قال(ع) : من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار» ـ الكافي ـ وحيث أن بعض انواع التكبر على الخلق قد أشير اليها في القرآن

المجيد والروايات لذا نستعرض بعضها للذكرى .

الكبر على الناس فى القرآن المجيد :

قال تعالى فى سورة البقرة «واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالأثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد» .

وروى عن عبدالله بن مسعود قوله أكبر المعصية أن يقال للرجل اتق الله فيقول «عليك نفسك»

وبناءاً على ذلك فلو قال شخص لآخر ـ طلباً للخير ـ اتق الله و اترك الذنب الكذائى، ولكنه بدل أن يتواضع أمام ذكر الله تكبر عليه وأجابه بكلام غير لائق مثل أن يقول له: هل أنت فضولى؟ ما أنت وهذا الكلام؟ أذهب وأصلح نفسك أولاً، حسابك مفصول عن حسابى.

وبدل أن يترك ذلك الذنب يصر عليه أو يعمل ماهو أسوأ منه، مثل هذا الانسان هو مصداق لتلك الآية الشريفة .

ونظير هذا كل شخص يمنعه كبره عن قبول الحق، ويسعى فى ابطاله، مثل من يسمع أثناء المناظرة كلمة حق فيمنعه كبره عن قبولها، ولايرفع يده عن باطله وتلك من صفات وأخلاق المنافقين كما يقول تعالى :

«وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» السورة ٤١ ـ ٢٦

وقال تعالى فى سورة لقمان :

«ولا تصعر خدك للناس ولاتمش فى الارض مرحاً ان الله لايحب كل مختال فخور»

وقال تعالى فى سورة الحجرات:

«يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً

منهم ولانساء من نساء عسى آن يكن خيراً منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون». السورة ٤٩ ـ ١١

والحقيقة أن من ينظر الى مسلم بحقارة واستصغار، ويرى نفسه أعلى منه هو مثل ابليس حيث نظر الى آدم باستصغار وحقارة، ورأى نفسه أعلى منه، وقال: «أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين». السورة ٣٨ ـ ٧٧

التظاهر بالثروة كبر أيضاً :

من الكبر على الناس التظاهر بالثروة والمكنة والجاه، والتباهى بها والتفاخر، كما يقول تعالى فى سورة القصص :

«ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم.. فخرج على قومه فى زينته». السورة ٢٨ / ٧٦

وورد فى بحار الانوار أن رسول الله (ص) نهى أن يختال الرجل فى مشيه، وقال (ص): «من لبس ثوبا فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنم وكان قرين قارون لأنه أول من اختال فخسف الله به وبداره الارض، ومن اختال فقد نازع الله فى جبروته»

وقال (ص) فى آخر خطبته :

«ومن بغى على فقير أو تطاول عليه أو استحقره حشره الله يوم القيامة مثل الذرة فى صورة رجل حتى يدخل النار» بحار الانوار ـ مجلد ١٦ باب جوامع مناهى النبى (ص) .

المتكبرون هم المجانين حقيقة :

وروى فى بحار الانوار أيضاً عن رسول الله (ص) أنه مر على

جماعة فقال ما اجتمعتم؟

فقالوا يارسول‌الله هذا مجنون يصرع فاجتمعنا عليه، فقال(ع): ليس هذا بمجنون ولكنه المبتلى ثم‌قال : ألا أخبركم بالمجنون حق المجنون؟

قالوا : بلى يارسول‌الله، قال: المتبختر فى مشيه، الناظر فى عطفيه، المحرك جنبيه بمنكبيه، يتمنى على‌الله جنته وهو يعصيه، الذى لايؤمن شره ولايرجى خيره فذلك المجنون وهذا المبتلى» .

تزكية النفس كبر أيضاً :

من موارد‌الكبر أن يرى نفسه طاهراً، وصاحب مقام ودرجة .

وقد نهى تعالى صريحاً فى سورة النجم عن تزكية النفس فقال «فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى» وقال تعالى فى سورة النساء «ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم ـ كاليهود والنصارى الذين قالوا نحن أبناء‌الله واحبائه ـ بل‌الله يزكى من يشاء ولايظلمون فتيلا، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبينا» .

وقد يزكى نفسه بادعاء العلم، فيقول للناس (أنا صاحب علوم كثيرة، وقد درست عند فلان استاذ وعاصرت فلان عظيم، وقضيت عمراً فى طلب العلم الفلانى، وقد تكون تزكية النفس بأدعاء‌العبادة مثل أن يقول «أحييت ليال عديدة، وصمت أياماً عديدة، وذهبت الى الحج والزيارة بينما لم يذهب من يملك أضعاف أموالى، وأمثال هذه الكلمات، وأحياناً تكون تزكية النفس بنحو ضمنى لاصريح، مثل أن يقول: ظلمنى فلان شخص فمات أوابتلى بالمرض الفلانى أو أصبح فقيراً، وغرضه من ذلك اظهار الكرامة لنفسه، أو يقول سألت الله فلان‌حاجة فأعطانيها‌فورا وغرضه‌من‌هذا‌القول‌أن‌يقول بأنى مستجاب

الدعاء، وبالجملة فان انواع الكبر فى الاقوال والافعال كثيره،

وقال بعض علماء الاخلاق : لاتوجد رذيلة الاويرتكبها صاحب الكبر لكى يحفظ عزه كالحسد، والحقد، والغضب، والعجب، والرياء، والكذب، والغيبة، والتهمة وغيرها، ولاتوجد فضيلة الاحرم منها خوفاً من فقدان المز مثل التواضع وكظم الغيظ، والعفو، والصدق، ومحبة المؤمنين ونظائر ذلك .

وحيث أن قليلاً من الناس طاهرون من هذا المرض المهلك، والاكثر هم مشتبهون به بل قديرى نفسه طاهراً من هذا المرض ولكنه فى الواقع مبتلى به، من أجل ذلك ذكر علماء الاخلاق عدة علامات له، فمن وجدها موجودة فى نفسه فليعلم أن جذور هذه الشجرة الخبيثة ممتدة الى قلبه، ويجب أن يسعى فى اصلاح نفسه .

علامات الكبر :

١ــ حين يبحث مع اخوانه موضوعاً ما، فأن صعب عليه قبول الحق اذا صدر منهم وكان الاعتراف به كبيراً عليه، ولم يطق اظهار البشاشة والسرور، فليعلم أن لديه تكبر .

٢ــ اذا عز عليه أن يجلس فى المجالس والمحافل فى موضع أقل مما يليق بشأنه، أو يسير فى الطريق وراء الجميع فهو متكبر .

٣ــ اذا صعب عليه أن يبدأ بالتحية لمن هو دونه وتحت يده فهو متكبر .

٤ــ اذا كان يعصب عليه اجابة دعوة فقير مع شدة حاجته، أو يصعب عليه الجلوس الى جنبه فذلك علامة التكبر .

٥ــ اذا كان يعصب عليه شراء الحاجات البيتية اللازمة من السوق، ثم حملها بيده الى البيت فهو متكبر، اللهم الا اذا كان هــذا العمل

ـحسب ظروف الزمان والمكان والحال والمقام بالنسبة لهـ غير لائق واقعاً، وموجباً لنقد الناس واستغابتهم اياه .

٦ـ اذا صعب عليه أن يلبس الملابس الرخيصة والعتيقة والخشنة، وكان أسير الملابس النفيسة والفاخرة بحيث يعدها شرفاً وعظمة له، فهو متكبر، اللهم الا اذا كان ذلك العمل ـ لبس الملابس الرخيصة ـ سبباً لهتك حرمته كما ذكر .

٧ـ اذا صعب عليه الجلوس على مائدة واحدة مع الخادم والخادمة والتلميذ، فذلك علامة التكبر .

وبعد أن عرفنا أن التكبر من الذنوب الكبيرة، وعرفنا معناه وأنواعه، يجب أن يعرف طريق الخلاص منه وعلاجه علمياً وعملياً .

علاج مرض الكبر:

١ـ العلاج العلمى .
٢ـ العلاج العملى .

(١) العلاج العلمى :

من جملة العلامات العلمية للكبر التفكر فى ابتداء خلقته ليعرف أنه خلق من نطفة نتنة محتقرة لدى جميع أفراد البشر كما قال تعالى فى القرآن المجيد «فلينظر الانسان مم خلق؟ خلق من ماء دافق» يعنى لم يكن له بالاصل عين(١) ولا أذن، ولا يد، ولا رجل، ولا لسان، ولا ارادة،

١ـ جاء فى كتاب (عدد السنة) :

أن الغلام (آياز) كان مقرباً للسلطان محمود أكثر من الوزراء مما ولد لديهم حالة الحسد، والتصدى لازاحته ، حتى انتهى الأمر الى أن جاء اثنان من هؤلاء الوزراء ←

وقد منحه الله جميع هذه الامور عارية .

وهو ـ للمرة الثانية ـ يخرج عند الولادة من مجرى البول، عاجزاً من جميع الجهات ولكن الله تعالى وهبه القوة تدريجا، لكنها قوة محدودة يرافقها آلاف انواع الضعف والعجز، كما ابتلاه بالجوع والعطش والنوم بنحو لو لم ينم ولم يأكل ولم يشرب لم يكن قادراً على الحياة كما جعله محتاجا للملبس والمسكن ومعرضا لانواع الامراض والآفات التى تفوق حد الاحصاء، وقد عدوا فى الطب القديم اربعة آلاف نوع لآمراض الانسان.

وهو دائما يوجد فى جوفه البول والغائط بحيث لولا الستر الالهى لم يكن قادراً على الحياة من رائحته العفنة .

أما عجزه عن الوصول لمقاصده فلا يحصى، فهو يريد أشياءاً

→ الى لسلطان للوشاية به فقالوا للسلطان ان أياز قد سرق مجموعة بالغة من الجواهر و الاموال وأخفاها فى حجرة ثم قفلها، وهو يذهب يومياً صباحاً الى تلك الغرفة ولا يسمح لأحد الدخول معه.

شك السلطان فى الأمر وقال غداً سأدعو أياز أما أنتم فاذهبوا وافتحوا الغرفة وأتونى بما قد جمعه فيها .

وبالفعل ففى اليوم الآتى ذهبوا ومعهم الفأس والمعول والأكياس وكسروا قفل الغرفة فلم يجدوا فيها شيئاً سوى حذاء جلدى ولباس صوفى .

فقالوا : لابد أنه قد دفنها، والا فما معنى محيئه يومياً من أجل حذاء ولباس فحفروا أرضها، فلم يجدوا شيئاً أيضاً، فرجعوا وأخبروا السلطان بذلك.

فالتفت السلطان الى أياز وسأله عن سبب ذهابه الى الغرفة يومياً وليس فيها سوى الحذاء واللباس الصوفى .

فقال : أن هذا الحذاء واللباس يعود لى قبل أن أصبح غلاماً لدى السلطان، وحيث أنى أصبحت أملك كل شىء حينما صرت غلاماً لكم وأخاف على نفسى العجب والغرور، من هنا فأنى أزور هذه الغرفة يومياً لكى أدفع الغرور، وأتذكر أن كل ما لدى هو من ألطاف السلطان على وبعد ذلك أحضر بخدمة السلطان.

كثيرة يعرفها ولكنه لايستطيع، يريد أن يتذكر شيئاً فينساه، يريد أن ينسى شيئاً ـ كالمعصية ـ فلايستطيع، يريد أن يجمع حواسه ويبعد عنه الوسواس والأوهام فلا يستطيع، يتعلق بشيء فيه هلاكه ولكنه لايستطيع ـ نتيجة الاعتياد عليه ـ تركه مع يقينه بأنه مضر له، وعلى عكس ذلك يستاء من شيء فيه حياته(١) .

ومضافا الى ذلك فهو معرض في كل لحظة من لحظات الليل والنهار لفقدان قوة من قواه البدنية، وزوال ماله علاقة به كالمال والا ولاد.

والخلاصة: أنه عبد لايقدر على شيء لا جلب النفع لنفسه، ولا دفع الضر عنه، ولا ادامة حياته(٢)، وذلك مختصر عن حالات الانسان مدة هذه الحياة الدنيوية ومن الواضحات أنه معرض للموت في أية لحظة بنحو لايستطيع دفعه عن نفسه .

ماذا بعد الموت؟

أما حالات الموت، ثم الذهاب للقبر الى أن يصبح رميما، فيكفي مانراه من حالات المحتضرين، وبعد ذلك حالات الماضين، ولو أن الأمر ينتهي عند هذا الحد لم تكن هنا غصة لكن سوء الحظ هنا أنه يؤخذ به لمحكمة العدل الالهي ويدقق في جميع أفعاله الصغيرة والكبيرة، على تفصيل مذكور في القرآن المجيد والروايات .

جاء في الجزء الثاني من كتاب (آداب النفس) أن عبدالملك بن مروان مرض، وبات طريحاً في قصره، فقال له الاطباء عليك أن تمتنع من شرب الماء، وانت حي مادمت لاتشربه أما اذا شربت وارتويت ففي ذلك موتك وبالفعل فقد امتنع من شرب الماء حتى سئم ورضي بالموت دون ذلك فقال (أسقوني رياً وان كان فيه نفسي)، فسقوه الماء ولما ارتوى منه لم يدم طويلاً حتى ارتحل الى جهنم .

٢ـ «ولايملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولانشوراً» ٢٥ / ٣

وكم وجه جميل يرد بأقبح صورة حتى تكون صورة الكلب و الخنزير بالقياس اليه جميلة، ولايدرى أحد أمر عاقبته، ولايعرف نهايته أمن السعداء أم من الاشقياء، من الاعزاء أم الاذلاء، من ذوى الوجوه السود أم الوجوه البيض .

وجميع أفراد البشر متساوون فيما ذكرنا من حالات الانسان، أياً كان، وفى أى مقام، وكل عاقل يفكر فى تلك الحالات، ويفكرفى مستقبله يتيقن بان الاعتداد بالنفس، والكبرياء، والتعالى، أمور لاتليق بالانسان ولا تناسبه،فكيف يدعى الافضيلة والعلو من هو عاجز وضعيف فى جميع شؤونه!؟ وهل يوجد كذب أوضح من ذلك؟

يجب أن ينظر لمن هو أعلى منه:

ذكر بعض الاكابر تحقيقاً لطيفاًفى العلاج العلمى للكبر، ولأجل مزيد الفائدة فاننا ننقل ماذكره .

قال :

التكبر هو حالة نفسية تنشأ من دوام ملاحظة الانسان لمن هو دونه، وغفلته عن ملاحظة من هو أعلى منه وتوضيح ذلك: ان المولى الذى تربطه مع عبده علاقة الحكومة والغلبة بحيث أن العبد مسخرله ومسير ولايستطيع الخروج من طاعته، توجد بين المولى وبين خالقه مثل هذه العلاقة فهو مغلوب ومقهور ومحكوم ومسخرلله تعالى، و حينئذ اذا وضع دائماً هذه النسبة أمام عينية فسوف تنشأعنده حالة التواضع .

ورغم أن هذه الحالة تبدأ فى علاقة الانسان بربه الا انها سوف تمتد الى علاقته بسائر حدود الوجود نظراً لرسوخها عنده فمن كان متواضعا مع الله تعالى سيكون متواضعا حتما مع سائر المخلوقات

كماأن الغضب يتعدى فيشمل المجرم وغيره، فالشخص في حال الغضب لاينعكس غضبه على المجرم فقط انما يدخل في حرب مع كل ماحوله ومن هذا البيان يتضح ان الله تعالى متكبر بحق، حيث لاتوجد فيه نسبة المغلوبية والمقهورية لأحد، بل ليس لديه سوى نسبة الغالبية والقاهرية ولايحق لغيره التكبر مهما كان حتى حملة العرش واسرافيل وجبرائيل فان نسبة المغلوبية عندهم بالنسبة لله تعالى أشد من نسبة الغالبية على الآخرين، اذن فكيف يليق بهم الغفلة عن هـذه النسبة والالتفات الدائم الى نسبة الغالبية حتى يبتلون بالكبر؟

وقال أيضاً: من لايرى نفسه لاشيء أمام الوجود الحقيقي ـ وهو الله تعالى ـ فأنه قد استعلى، وقد جاء في القرآن المجيد «وأن لاتعلو على الله) فيجب النظر الى عظمة الله بنحو ينسى الانسان معها عظمته.

أحوال رسول الله (ص) مظهر التواضع :

وقد ذكر للتواضع عدة حالات كانت متجلية في سيد الكونين محمد بن عبدالله (ص) .

«كان لايغضب لنفسه»

«كان يجلس على الارض ويأكل على الارض» .

«كانت الامة من اماء المدينة تأخذ بيد رسول الله (ص) فتذهب به حيث شائت» «كان (ص) اذا دخل بيته عمل في مهنة أهله»(١)

يجب اقتلاع منشأ الكبر :

ومن صور العلاج للكبر التفكر والتدبر في اشتباه الانسان (حين يغتر بما يوجب الكبر والغرور كالعلم، والعمل، والنسب، والمال

١ـ هذه النصوص موجودة في بحارالانوار ـ المجلد ٦ ـ ٢٠٢

والجاه، والمنصب، والاتباع، والقوة، والجمال، وغيره، فبعد التدقيق يعلم أن الكبر والغرور بأى واحد منها هو على خلاف العقل.

أما العلم:

فان كان علماً دنيوياً فهو ينتهى بالموت، بل قبل الموت نتيجة ترك الممارسة، أو نتيجة النسيان، وحيث أن نفعه انما هو لأيام معدودة اذن فلا يجدر الاغترار به، خصوصاً مع قياس مايعرف الى مالايعرف، وهى نسبة المحدود الى اللامحدود.

وان كان علماً أخروياً دينياً فما يرجع منه الى المعارف الالهية فأن أثره هو التواضع والخشوع وليس الكبر والغرور حيث يقول تعالى «انما يخشى الله من عباده العلماء» أما ان كان حاله غير ذلك فيعلم أنه لم ينتفع بنور العلم وحقيقته انما عرف المصطلحات فقط وهى ليست أمراً يستدعى الافتخار.

وأما العلم بأحكام الدين (أى الفقه) فهو نافع حيث يعمل على طبقه، أما من يعلم الفقه ولايعمل به فهو كمن يعرف الطب ولايعمل به، وهو حسب تعبير القرآن المجيد (كمثل الحمار يحمل أسفارا» وقد شبه القرآن المجيد بلعم باعور الذى كان عالماً غير عامل بالكلب.

ولو أن العالم التفت الى أن حجة الله قد تمت عليه، وتحمل على عاتقه مسؤولية كبرى لدرجة أنه يغفر للجاهل سبعون ذنباً ولا يغفر للعالم ذنب واحد، فلا شك أنه سيزداد تواضعا وخشوعاً لاتكبراً.

واما العمل:

فيجب أن يعلم أن عمل الخير ان كان مع الخضوع والخشوع والفقر والفاقة (وذلك روح العبودية) فهو عبادة، وله قيمة، أما اذا كان مع التكبر والمنة فانه سيبقى شكلاً بلا روح وهو مما لاقيمة له.

ويجب أن يعلم أن عمل الخير انما يكون نافعاً عندما يكون مقبولاً عند الله تعالى وذلك أمر خفى، ولا أحد يعلم هل أن عمله الخير مقبول أم مردود نتيجة فقدان الصدق والاخلاص والتقوى؟

بناءاً على ذلك فعمل الخير كالعلم موجب للتواضع والافتقار لا الغرور والكبر كما قال تعالى فى صفات المؤمنين «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون» السورة ٢٣ / ٦٢ .

أى انهم يخافون من عدم قبول اعمالهم عند ربهم، ذلك أن الله تعالى يعلم ما أخفاه عليهم .

واما الشرف :

فشرف النسب لاينبغى أن يكون داعياً للكبر، ذلك أنه اذا كان شرفا دنيوياً ظاهرياً ـ مثل أن يكون أبوه من الحكام والاشراف ـ فماهى قيمة أصل الدنيا حتى تكون للأمور الاعتبارية فيها قيمة، سوى زبارج تدوم أياماً معدودة ثم تفنى، والاغترار بها والكتبر فيها دليل على منتهى السفاهة والحماقة، ثم ما أكثر الذين افتخروا بها وهم الآن فى عالم البرزخ فى أصعب الحالات، وأسفل الاماكن، حيث يعلو صراخهم وحسراتهم، ومع ذلك يفتخر هذا الاحمق بها ويتكبر. اما اذا كان الشرف شرفاً حقيقياً معنوياً مثل ذرية السادات الجليلة فيجب أن يعلم أن شرف أجدادهم الطاهرين انما هـو بقربهم من الله، واشتمالهم على جميع الفضائل النفسية والتى من جملتها منتهى التواضع مع الله ومع الناس ومن يرى نفسه منتسباً لهم أجدر من غيره بالتواضع مع الله ومع الناس، وأجدر من غيره بالطهارة من صفات الرذيلة التى هى صفات أعدائهم .

وهكذا المنتسب للعلماء، فيجب أن يعلم أنه اذا كان ـ هو شخصاً ـ

عالماً وكان متكبراً فانه بالحقيقة محروم من فضيلة العلم كما ذكرنا سابقاً فكيف حال من يريد أن يتفاخر ويتكبر لمجرد انتسابه الى عالم؟

واما المال :

فان من المحاقة بمكان أن يتكبر على الفقراء والمحتاجين بمالديه من الثروة، فلا يعود الفقير اذا مرض، حتى لو كان جاره أو رحما له، أو لايستمع للفقير اذا تكلم معه، أو لايرد سلامه جيداً اذا سلم عليه، أو يتكلم معه بكلام خشن أو ماشاكل ذلك .

يجب أن يعلم أن المال خارج عن ذات الانسان، ولادخل لزيادته ونقصانه في كمال الانسان فيمكن أن يكون أغنى الناس هو أسفلهم من جهة الكمالات المعنوية مضافا الى أن المال ينتقل للآخرين بمجرد وفاة الشخص، بل يمكن أن يخرج من يده في كل لحظة لحادث، فما أكثر الاثرياء المتكبرين المغرورين الذين أصبحوا فقراء معوزين في لحظة من الزمن .

اما الغنى المؤمن الفاهم فيلزم أن يرى ماله فتنة وبلاء وامتحانا له(١)، ويعرف أنه أمام مسؤولية شاقة يصعب الخروج منها، ولازم هذا الفهم التواضع للفقراء لا الغرور والتكبر عليهم.

اما اذا كان الغنى جاهلا ومعتقدا أن ماله هو نعمة الله عليه، وأنه يستحقه فيجب أن يتذكر هذه الآية الشريفة «أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات .بل لايشعرون». السورة ٢٣ / ٥٧

١ـ «واعلموا أنما أموالكم واولادكم فتنة» السورة ٨/٢٨

لأن اعطاء المال والاولاد حينما لايكون سبباً فى كسب السعادة، فهو من قبيل الاستدراج والغضب، ومن مصاديق المكر، وليس لطفاً ورحمة .

ومن أجل معرفة أن هذا المال رحمة وخيراً أم بلاء أو غضباً اليهاً، توجد علامتان ذكرت فى الروايات :

أحدهما التواضع والاخرى التوفيق للأنفاق، اذن فالغنى الذى يزداد كبره وبخله كلما ازدادت أمواله فتلك الاموال وبال عليه و سبب لشقائه وتعاسته .

وأما الجاه والمنصب والاتباع :

فهى أمور اعتبارية، يجرى فيها ماقلناه فى الاموال من أنها زائلة لاقيمة ولا اعتبارلها، وقد تكون خيراً ونعمة، كما قدتكون شراً ونقمة، بل أن التكليف هنا أصعب، والخطر أكبر خصوصاً اذااجتمعت هذه الامور مع الغنى والقدرة، فهو فى كل لحظة معرض لخطر عظيم، هل يؤدى الوظيفة الالهية التى على عاتقه أم لا؟

بل أن الوزر هنا أكبر، بل أحياناً يستحق أنواعاً من العقوبة والعذاب بسبب عدم اغاثة المظلوم، أو التكبر على مؤمن واهانته (خصوصا اذاكان سيداً وعالما أو شيخاً كبيراً) .

بناءاً على ذلك فان الجاه والمنصب والاتباع كالمال فى معرض الزوال، مضافا الى أنها أمور خارجة عن ذات الانسان، بل هى امور اعتبارية لايخدع العاقل بها يوماً ماحتى يتكبر .

والشواهد على زوال المال والجاه والمقام وعدم قيمته كثيرة فى تاريخ الماضين من جملة ذلك مانقل فى كتاب (حبيب السير) :

أن عمرو بن ليث خرج مع ثمانين الف مقاتل مجهز لقتال الأمير

اسماعيل السامانى الذى كان معه عشرة آلاف مقاتل خيالة، ولكن لما دقت طبول الحرب، وارتفع صوت النفير، أصابت فرس عمرو بن ليث وحشة فتقدم به فجأة وبلا اختيار الى صفوف الاعداء فاستطاع الامير اسماعيل بدون خوض أية معركة أن يتغلب عليه ويحبسه فى خيمته، وينقل أن عمرو نظر ذلك اليوم الى أحد الخدم فدعاه وشكى له الجوع.

فأحضر له فى الحال قطعة من اللحم وحيث لم يكن يوجد قدر وضعها فى سطل الفرس وأشعل النار وانصرف الى عمله، وصدفة جاء كلب ومد رأسه فى السطل فاحترق لسانه بحرارة الحساء (الشوربا)، ولما أراد ان يخرج رأسه سريعا علقت عروة السطل فى عنقه فذهب به راكضاً، ولما رأى عمرو هذا المنظر ضحك فسأله أحد الحراس عن سبب ضحكه فقال :

اليوم يشتكى طباخى اذ أن ثلاثمائة واسطة نقل تنقل أدوات طبخنا بمشقة وها أنا الأن أرى كلباً قد نقلها بسهولة .

ونظير هذه القصة قصة مروان الحمار الذى كان آخر سلاطين بنى أمية سنة ١٣٢ للجرة التقى على نهر الزاب بجيش السفاح العباسى، وعند تسوية صفوفه نزل من فرسه للتبول، فمضى الفرس الى وسط عسكره فظن العسكر أن مروان قد قتل وقد هرب فرسه فداخلهم الرعب والخوف وتفرقوا.. الى آخر القصة التى انتهت بهلاكه فقال (ذهبت الدولة ببولة) .

وهكذا قصة استجداء الخليفة العباسى فى صفوف المصلين فى المسجد الجامع ببغداد حيث كان يطوف وهو أعمى- ويقول «ارحموا أميركم بالأمس وسائلكم اليوم» .

أما الكبر بالقوة البدنية :

فيجب أن يعلم أنه فى كل لحظة معرض للابتلاء بمرض يصبح

به أعجز العاجزين، ويجب أن يتذكر أيضاً حالات سكرات الموت، ويتذكر القبر .

اما الكبر بالمظاهـــر الجميلة فيجب أن يلتفت الـــى أن الجمال الحقيقى للانسان اتصافه بصفات الكمال التى منها التواضع، وليس للجمال الظاهرى وحده قيمة اذ أنه عارية قد تزول بحادثة بسيطة، ويجب أن يتذكر حالات بدنه فى القبر وما ينصب على هذا الجمال، و يتذكر أنه فعلاً يحمل فى جوفه الاقذار، ويختفى تحت جلده القيح والدم والكسافة، فماذا يبقى له حتى يتكبر على الآخرين .

* * *

(٢) العلاج العملى :

كل صفحة فى النفس الانسانية يعرض الانسان عن ممارستها فى عمله بل يعمل بضدها، فانها سوف تزول تدريجا، وحيث أن التواضع هو ضد الكبر، اذن فالطريق العملى الوحيد لعلاج مرض الكبر هو التواضع فى الاقوال والافعال، وبناءاً على ذلك يلزمنا الاشارة مختصراً الى أهمية التواضع وحقيقتة وأقسامه .

فضل التواضع :

الايات والروايات فى موضوع التواضع عديدة، لايسمح مستوى الكتاب بنقلها، ويكفى لبيان أهميته ان رب العالم أمر بالتواضع حبيبه وهو أشرف المخلوقات وعلة ايجاد الكائنات حيث قال تعالى «واخفض جناحك للمؤمنين» السورة ١٥ ـ ٨٨ ووصف عباده المقربين بهذه الصفة حيث قال «وعباد الرحمن الذين يمشون علـــى الارض هونا» السورة ٢٥ ـ ٦٤ .

وورد فى روايات الشيعة فى صفات الامام «وأن يكون أشد الناس تواضعالله تعالى» ـ بحار الانوار ـ

وقال امير المؤمنين (ع) «فلو رخص الله فى الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر، ورضى لهم التواضع، فألصقوا بالارض صدورهم، وعفروا فى التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين» وقال الرسول الاكرم (ص) :

«ان أحبكم وأقربكم منى يوم القيامة مجلساً أحسنكم خلقاً وأشدكم تواضعا وان أبعدكم يوم القيامة منى الثرثارون وهم المتكبرون» ـ بحار الانوار ـ

وقال الامام الصادق (ع) :

«ان فى السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه» الكافى

وقال الامام أمير المؤمنين (ع) :

«وعن ذلك ماحرس الله عباده المؤمنين بالصلاة والزكاة ومجاهدة الصيام فى الايام المفروضات تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم وتذليلا لنفوسهم، وتخفيفا لقلوبهم واذهابا للخيلاء عنهم، لما فى ذلك من تعفر عتائق الوجوه بالتراب تواضعا والصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا، ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذلا» نهج البلاغه ـ خطبة القاصعة .

العبادة تذهب بالكبر :

من هنا يعلم أن أهم سبب لوجوب العبادات هو ازالة مرض الكبر، والاتصاف بفضيلة التواضع، وبناءاً على ذلك فأن أهم المعالجات العملية من أجل ازالة الكبر السعى فى الاتيان بالعبادات مع مراعاة

شرائط الصحة والقبول ولاتقبل عبادة مع كبر اذ العبادة معناها العبودية وليست السيادة .

معنى التواضع واقسامه :

التواضع حالة فى النفس تتجسد بالخضوع والانكسار النفسى واحتقار الذات كما هوفى واقع الأمر كذلك، اذ أن الانسان فى ذاته لايملك شيئا .

والتواضع حسب موارده على ثلاثة أقسام :

التواضع مع الله تعالى .

والتواضع مع الرسول والامام(ع) .

والتواضع مع الناس .

(١) التواضع مع الله :

متى تيقن الانسان وعرف أن أصل وجوده وجميع ما يتعلق به هومن عندالله تعالى، وبدون استحقاق أو طلب منه وهبه تعالى نعماً لاتعد ولاتحصى، حينئذ تحدث فى النفس حالة يعبر عنها بالشعور بالذلة والانكسار أمام الحق تعالى. وهذه الحالة لها لوازم عديدة من جملتها الطاعة والانقياد له تعالى، وامتثال أوامره باخلاص، و طلب مرضاته دائما، والشعور بالتقصير فى أداء وظائف العبودية اذ أنه لم يعبده كما هو أهله، وكذلك أن لايرى نفسه صاحب أى حق على الله .

ومن جملة لوازم تلك الحالة تجديد الشكر عند النعم الجديدة التى تصل اليه، ويستحب له فى هذا الحال بل فى كل حال يتذكر فيه نعمة ماضية أن يسجد سجدة الشكر .

التواضع لنعم الله :

كما يلزمه أن يعظم ويعتزبها لأنها من جهة محبوبه والمنعم الحقيقى عليه، خصوصا أنواع الاطعمة والاشربة، فقد روى أنه اذا أكل طعاماً فاعتل منه فلا ينبغى أن يقول ان الطعام ليس بجيد وقد أمرضنى، بل يقول لم يكن مزاجى مساعداً عليه ومتلائما معه، وقد أكلته فى غير محله .

وينبغى أن يجلس عند تناول الطعام جلسة العبيد، ويأكل أكل العبيد، فقد كان جلوس رسول الله(ص) على المائدة كجلوسه عند التشهد فى الصلاة (متوركا) .

ومن آداب التواضع فى تناول الطعام أن لايأكل من مائدة مرتفعة وانما يخلع نعله ويجلس على الارض مع كامل الأدب وبالخصوص عليه احترام الخبز فى السفرة حيث وردت فى ذلك أخبار عديدة ويدعو للمائدة كل من فى البيت من الزوجة والاولاد والخادم والخادمة ويجتمعون فى سفرة واحدة لاأن يمنع بعضهم ويعين لهم طعاماً منفصلا.

وآداب الاكل كثيرة أهمها حضور القلب، والتوجه الى المنعم الحقيقى، والابتداء بأسمه تعالى، والاختتام بشكره .

ومن التواضع أمام الله تعالى حفظ حرمة الشعائر والحرمات الالهية كما ذكر، وهكذا احترام القرآن المجيد وأسماء الله الشريفة، وعدم مسها من دون طهارة وخصوصاً باليد، وينبغى أن لا يمد رجليه نحوها، وبشكل عام عليه احترام وتعظيم كل ماهو منسوب الى الله تعالى كالمساجد كما يقول تعالى :

«وأن المساجد لله» وبناءاً على ذلك لاينبغى البصاق فى المسجد، ولاينبغى دخوله برائحة كريهة، أو بصوت مرتفع، أو التحدث فيه بأحاديث الدنيا، فكل ذلك خلاف التواضع .

(٢) التواضع مع الرسول(ص) والامام(ع) :

ومن أعلى مراتب التواضع مع الله التواضع مع الرسول(ص) و الامام(ع) اذ أنهم عليهم السلام آيات الله الكبرى، وخلفائه، والتواضع لهم تواضع لله، فعليه أن لا يتضايق من التضاغر لهم مهما استطاع، ومن التواضع لهم عدم مس اسماءهم بدون طهارة، وأن لايتقدم على قبورهم فى صلاته، واذا ذكرهم فعليه أن يذكرهم بتجليل واحترام، وأن يبعث لهم السلام والتحية، حتى أن بعض الاعاظم لم يكن يذكر اسماءهم على لسانه اذاكان بلا وضوء .

وقدروى عن الامام الصادق(ع) أنه اذاذكر رسول الله(ص) ينحنى حتى يصل وجهه المبارك قرب ركبتيه .

ومن التواضع للرسول والامام التواضع للعلماء العاملين، وسلسلة السادات الجليلة كما أشير الى ذلك قبلاً .

(٣) التواضع مع الناس :

كل الناس ـ بالعنوان الأولى ـ متساوون بعضهم مع البعض الآخر، وكلهم مخلوق ومقهور وتحت تربية رب العالمين، وكما أنه لايحق ـ عقلا وشرعا ـ لأى واحد منهم وفى أى مقام كان أن يتكبر على الآخرين، حالهم حال غلمان السلطان بعضهم مع البعض حيث لايحق لأحدهم التكبر على الآخر، كما لايستحق أحدهم التواضع من الآخر، فكلهم متشابهون ومتساوون، وكما أن أحد هؤلاء الغلمان لو تكبر على غيره كان مذموماً عند العقلاء فكذلك لو توقع التواضع والخضوع له من الغير، فان العقلاء يذمونه أيضاً ويلوموه، وذلك أنهم جميعا بمستوى واحد. هذا بحسب العنوان الآولى، لكن بحسب عناوين ثانوية يكون لبعض أفراد البشر عناوين خاصة يستحقون على أساسها

ـعقلاً وشرعاً ـ التعظيم والتكريم والاحترام، ففى هذه الصورة يلزم الآخرين التواضع لهم، وذلك مثل عنوان الابوة والامومة حيث يجدر بالابناء ـعقلاً وشرعاً ـ التواضع لهما، وفى الحقيقة أن التواضع للوالدين هوتواضع لله تعالى، حيث أنهما واسطة ربوبية الله تعالى ومورد أمره بالتواضع لهما. وهكذا عنوان الايمان والتقوى حيث يجب التواضع لكل مؤمن متقى، اذ أن المؤمن منتسب الى الله تعالى، ومورد اكرامهو عنايته .

عن الامام الباقر(ع) أنه أقبل الى الكعبة وقال «والله لحرمة المؤمن أعظم منك» ـمستدرك الوسائلـ

وفى الحقيقة أن الخضوع للمؤمن لأجل ايمانه هو خضوعلله تعالى، مثله فى ذلك مثل الغلام الذى يختاره السلطان وينتخبه من مجموع غلمانه ويكون مورد عنايته، وتحصل بينهما رابطة وعلاقة، فان اكرامه فى هذهالصورة اكرامللسلطان،واهانته اهانة للسلطان، وهكذا عنوان العالم والمعلم حيث يلزم على الجميع احترام العالم للخصوصية التى فيه، أومثل عنوان شيخ القوم وكبيرهم، وضيفهم وغيره من العناوين التى ورد الأمر بالتواضع لأصحابها .

التواضع للكافر والفاسق غلط :

وفى مقابل ذلك هناك عناوين لاينبغى التواضع لأصحابها، بل يجب الترفععليهم مثلعنوان الكفر،فلا يجوزالتواضع مطلقاللكافر، لأنه مورد بغض الله تعالى، وقد أخرجه الله من درجة الانسانية، وجعله أسفل السافلين، بل يوم القيامة «يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» .

فكما يجب التواضع للمؤمن والتذلل له كذلك يجب الترفع على

الكافر والتعزز عليه، واذا تواضع المؤمن للكافر فهو بالحقيقة قد احتقر الايمان بالله، وأعز الكفر به، على عكس ماهو الواقع اذ «أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين» وهكذا لاينبغى التواضع للظالم و الجائر الذى اتخذ الظلم مهنةله أو المتجاهر بالفسق الذى لايستحى ولايتورع عن هتك حرمات الله علناً، بل يجب الغضب عليهم لأجل الله، ومواجهتهم بوجه مكفهر كما يقول أمير المؤمنين (ع) «أمرنا رسول الله (ص) أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهرة» ـ وسائل الشيعة ـ

التواضع للمتكبر غلط أيضاً :

كما لاينبغى التواضع للاحمق الذى يتكبر على الآخرين و ويستصغرهم ويحتقرهم، ذلك أن التواضع للمتكبر أولا: هونوع من الذل لايليق به عقلاً وشرعاً، وثانياً: يدعو المتكبر للجرأة أكثر والاستمرار فى عمله غير المناسب، كما أنه اذالم يتواضع له فمن الممكن أن ينتبه ويترك تكبره، اذن فاللازم أن لايتواضع له نهيأعن المنكر. قال رسول الاكرم (ص) :

«اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوالهم، واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغاراً» ـ جامع السعادات ـ

عدم التواضع يختلف عن التكبر :

ماتقدم من أنه لاينبغى التواضع للكافر والفاسق والمتكبر، وانما يجب مواجهتهم بحالة الغضب لان الله تعالى غاضب عليهم، ليس معناه أن يرى الانسان نفسه ذاتاً أشرف منهم وهم أحقر منه

ويتوقع أن يتواضعوا له، بل يجب أن يرى نفسه عاجزاً مثلهم انما بتوفيق الله أصبح من أهل النجاة، وبخذلان الله يهلك من يهلك، و من الممكن أن يوفق ذلك الكافر أو الفاسق للتوبة ويرزق حسن العاقبة. نعم نعاملهم بخشونة وغلظة تبعاً لأمر الله تعالى بذلك، لا أن نبيع عليهم الكبرياء لاسمح الله .

وبالجملة، لاينبغى ملاحظة الذات اطلاقاً، وانما اللازم فقط العمل طبق الوظائف الاسلامية، فنعادى من عاداه الله، ولا نخضع له.

ولأجل توضيح هذا المطلب وأن الغضب لله لايتنافى مع عدم التكبر نضرب مثالاً: اذا أمر السلطان خادمه أن يؤدب ابنه ـ ابن السلطان ـ ويضربه اذا أساء الأدب، فان اللازم على هذا الخادم أن يفعل ذلك اذا صدر من ابن السلطان خطأ واسائة أدب، دون أن يكون بذلك متكبراً على ابن السلطان ولا يرى نفسه أرفع منه.

ولو اجتمع الغضب والتكبر فى مورد فليعلم بأن ذلك الغضب ليس غضباً لله، بل هو للهوى والنفس .

التكبر لايجتمع مع العبودية لله :

حيث أن التكبر هو عبارة عن الطغيان وغرور النفس والغفلة عن عظمة الله، ونسيان حقارة ذات الانسان وذلته. فالمتكبر يرى نفسه ذاشأن ومقام والآخرين عنده حقراء فقراء، ويعيش حالة عبادة الذات فى مقابل عبادة الله، من هنا كانت هذه الحالة مذمومة على الاطلاق ولم تكن أبداً مورداً للمدح الالهى .

اذن فالمراد بالكبر امام الكافر والفاسق والثرى المتكبر هو الاعتزار بالله واظهار عظمته فلا يخضع للكافر أصلاً، ويظهر عزة الايمان بالله. وهو أكبر نعمة عليه ويضعها نصب عينيه، ويظهر

عزة التقوى ـ التى هى مقياس الكرامة عندالله ـ امام أهل المعصية، ويظهر للغنى حقارة ملكه الذى دعاه للتكبر أمام عظمة ملك الله وخزائنه، ولايتواضع للغنى من أجل غناه بأى الأحوال، ويوضح للمتكبر حماقته وجهله ويعرفه بأن الكبرياء لله وحده وكل من يتكبر سوى الله فهو أحمق .

وهنا يلاحظ أن من يلتزم بهذا الأمر فانه ليس فيه أية جوانب ذاتية وأنانية بل كان ذلك الاعتزار اظهاراً لعظمة الله تعالى وليس غروراً ولاطغياناً .

لكن يجب أن يكون حريصاً جداً على أن لايكون فى عمله هذا اشتباه كما يحصل أحياناً أن الانسان يريد أن ينهى عن منكر رآه فيدخل فى البين هوى النفس، ويبتلى بالمعصية، فينهى عن المنكر بالمنكر، ويدفع الفاسد بالأفسد .

وماأكثر الفرق بين العمل لله وبين العمل بدافع الهوى وان كان العمل متحداً فى المظهر، فأن العمل اذا كان لله كان عبادة يوجب القرب من الله والتغلب على الشيطان، وان كان من هوى النفس كان معصية وموجباً للبعد عن الله، ويكون الانسان بذلك مغلوباً من قبل الشيطان .

التواضع للغنى لأجل غناه مهلك :

اذا كان التواضع للغنى من أجل غناه وطمعاً بماله فان ذلك منهى عنه جداً فى القرآن المجيد والروايات. يقول تعالى «ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه» .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : «من أتى غنياً فتواضع لغنائه ذهب الله بثلثى دينه» ـ بحار الانوار ـ

وورد عن رسول‌الله(ص) مثل ذلك، ولعل السبب فـي ذهات ثلثي ايمانه هوأن الايمان عبارة عـن أمور ثلاثة اعتقاد بالقلب، و اقرار باللسان، وعمل بالأركان، كما أن التواضع للغنى طمعاً في ماله أحياناً يكون بالقلب فقط، واحيانـاً يكون بالقلب واللسان و احياناً يكون شديداً بحيث يسرى الى الاعضاء، وحيث أن الطماعين يتواضعون للاغنياء بقلبهم، ويتملقون بلسانهم فى الغالب فمن هنا يذهب ثلثادينهم، ولو خضعوا مع ذلك بأعضائهم بأن يقبلوا يدالغنى وقدمه مثلاً أو يتخضعون له ببدنهم فيما شابه ذلك فانهم يفقدون بذلك كل دينهم، حيث صرفوا كل مالديهم الى مخلوق ولم يبقوا للخالق شيئاً .

تواضع الغنى وتكبر الفقير لأجل رضى الله :

يقول أميرالمؤمنين(ع) «ما أحسن تـواضع الاغنياء للفقراء طلباً لماعندالله وأحسن منه تيه الفقراءعلى الاغنياء اتكالاً على‌الله» ـ نهج‌البلاغة / ج ٣

وذلك بأن لايتملق الفقير للغنى ولايخضع لأمواله، وليس‌معناه أن يرى نفسه أشرف منه وأعلى. فاذا كان الغنى يتباهى ويعتمدعلى ثروته فان الفقير يجب‌أن يعتمدعلى اللهالذى بيده‌خزائن السماوات والأرض ويرى نفسه غنياً بذلك (١)

١ـ روى عن‌الامام الصادق(ع) قال : جاء رجل موسر الى رسول‌الله(ص) نقى الثوب، فجلس الى رسول‌الله(ص) فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس الـى جنب الموسرفقبض الموسر ثيابـه من تحت فخذيه، فقال له رسول‌الله(ص) : أخفت أن يمسك من فقره شيء ؟ قال : لا، قال : فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال : لا، ←

وهنا يجب الالتفات الى أن النهى عن التواضع للغنى انما هو التواضع له من أجل ماله، أما اذا كان التواضع له بعنوان آخر كالايمان والتقوى فانه واجب ولامانع منه اطلاقاً، بل هو مأمور به، غاية ما فى الامر يجب الانتباه الى أن لاينجر الأمر الى التواضع من أجل المال، والعلامة فى ذلك هو أن يكون تواضعه للفقير المؤمن والمتقى مثل تواضعه للغنى المؤمن والمتقى .

التواضع يختلف باختلاف الاشخاص :

للتواضع حد محدود اذا تعداه كان ذلاً وهتكاً لحرمة الشخص، ولا ينبغى للمؤمن أن يعمل عملاً فيه هتكه، وبناءاً على ذلك يجب الاعتدال فى التواضع وكيفيته. فمثلاً يجب أن يكون التواضع للوالدين والأرحام أكثر من التواضع للغرباء، ويكون التواضع للعلماء العاملين، وللسادات أكثر من غيرهم، والتواضع لكبير القوم أكثر من التواضع لمن هو دونه، وذلك أنه اذا كان التواضع المناسب بمقام الوالدين والعلماء والسادات بتقبيل يدهم مثلاً فان مثل ذلك للآخرين غيرهم قد يوجب ذلة الشخص وهتكه، وبناءاً على ذلك فيجب فى التواضع ملاحظة مقام الاشخاص وحالاتهم .

ورد فى سفينة البحار ـ ح ٢ ـ أنه ورد على أمير المؤمنين (ع) اخوان له مؤمنان أب وابن فقام اليهما وأكرمهما وأجلسهما فى صدر

→

قال : فخفت أن يوسخ ثيابك؟ قال : لا، قال : فما حملك على ماصنعت؟ فقال : يارسول الله ان لى قريناً يزين لى كل قبيح، ويقبح لى كل حسن وقد جعلت له نصف مالى، فقال رسول الله (ص) للمعسر أتقبل ؟ قال : لا، فقال له الرجل : ولم؟ قال : أخاف أن يدخلنى مادخلك» ـ اصول الكافى ـ

مجلسه وجلس بين يديهما ثم أمر بطعام فاحضر فأكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل فأخذ أمير المؤمنين(ع) الابريق فغسل يد الرجل بعد أن كان الرجل يمتنع من ذلك وتمرغ فى التراب وأقسمه أمير المؤمنين(ع) أن يغسل مطمئناً كما كان يغسل لوكان الصاب عليه قنبر ففعل ثم ناول الأبريق محمدبن الحنفية وقال يا بنى لوكان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت على يده ولكن الله عزوجل يأبى أن يسوى بين ابن وأبيه اذا جمعهما مكان لكن قدصب الاب على الاب فليصب الابن على الابن فصب محمدبن الحنفية على الابن»

علامات التواضع :

عن الامام الصادق(ع) عن آبائه عليهم السلام قال :

«انمن التواضع أن يرضى الرجل بالمجلس دون المجلس، و أن يسلم على من يلقى، وأن يترك المراء وان كان محقا، ولايحب ان يحمد على التقوى» سفينة البحار / حـ ٢ / ٦٦٦

وعن الامام أمير المؤمنين(ع) فى وصيته :

«عليك بالتواضع فأنه من أعظم العبادة» سفينة البحار

وقدروى أن موسى بن عمران كان يمرغ وجهه فى الارض بعد كل صلاة يميناً وشمالاً تواضعاً لله تعالى، ومن هنا اتخذه الله لنفسه كليما.

عن الامام الرضا(ع) أنه قال :

«التواضع أن تعطى الناس ماتحب أن تعطاه» الكافى

وعن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا(ع) ماحد التواضع الذى اذا فعله العبد كان متواضعا؟

فقال(ع) : التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه

فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي الى أحد الا مثل ما يؤتى اليه، ان رأى سيئة درئها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين» الكافي .

أئمتنا أكثر الناس تواضعا :

روى عن الامام موسى بن جعفر (ع) أنه مر برجل من أهل السواد دميم المنظر فسلم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجة ان عرضت له، فقيل له يا بن رسول الله أتنزل الى هذا ثم تسأله عن حوائجه وهو اليك أحوج؟

فقال (ع) : عبد من عبيد الله ، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله يجمعنا واياه خير الآباء آدم، وأفضل الاديان الاسلام، ولعل الدهر يرد من حاجتنا اليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه» سفينة البحار / حـ ٢ / ٦٦

يجب اقتلاع جذور الكبر بأية صورة :

«كان محمد بن مسلم رجلاً شريفاً موسراً فقال له الامام الباقر (ع) تواضع يا محمد!! فلما انصرف الى الكوفة أخذ قوصرة من تمر مع الميزان وجلس على باب المسجد الجامع وجعل ينادي عليه فأتاه قومه فقالوا له فضحتنا!! فقال ان مولاي أمرني بأمر فلن أخالفه ولن أبرح حتى أفرغ من بيع هذه القوصرة فقال له قومه أما اذا أبيت الا أن تشتغل ببيع وشرى فاقعد في الطحانين فقعد في الطحانين فيها رحى وجملاً وجعل يطحن» المصدر السابق .

(٣٤)

محاربة المسلمين

الرابع والثلاثون من الذنوب التى ورد التصريح فى النصوص المعتبرة باعتبارها من الذنوب الكبيرة محاربة أولياء الله أى (المسلمين)، كمافى رواية الاعمش عن الامام الصادق(ع) ورواية الفضل بن شاذان عن الامام الرضا(ع)، وقد ورد الوعيد عليه ـ فى القرآن المجيد ـ بالعذاب كما حددله عقوبة دنيوية وهى (الحد) حيث يقول تعالى «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الاالذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم». السورة ٥ / الاية ٣٣

كتب فى تفسير (منهج الصادقين) :

«فى السنة السادسة للهجرة أقبل جماعة من (عوينة وعكل) الى رسول‌الله(ص) وأسلموا، واختاروا البقاء عند رسول‌الله(ص) و ملازمته وحيث لم يلائمهم مناخ المدينة وجوها مرضوا فعرضوا حالهم على الرسول(ص) فأذن لهم بمغادرة المدينة الى جبل العير ليشربوا من حليب الأبل وأبوالها طلباً للعافية، وبالفعل فقد ذهبوا الى الموضع المذكور واستعادوا صحتهم ، ولكنهم فى صباح يوم

من الايام اتفقوا على سرقة خمسة عشر من ابل رسول‌الله(ص) وارتدوا عن‌الاسلام ولجؤاالى قبيلتهم، ولماوصل الخبرالى المدينة أقبل‌فى طلبهم يسار مولى رسول‌الله(ص) مع عدة أشخاص فلحقهم فقابلوه وقاتلوه وأسروه ثم قطعوا يديه ورجليه حتى استشهد، فلما وصل خبره الى رسول‌الله(ص) أرسل فى طلبهم كربزبن جابر، فأسرهم جميعا وأقبل بهم الى رسول‌الله(ص) فأنزل الله تعالى قوله «انما جزاء الذين يحاربون ....» .

وقريب من‌هذا المضمون ماورد فى روايات أهل‌البيت عليهم السلام .

من هو المحارب ؟

المحارب ـعند الفقهاءـ هومن يحمل معه سلاحا ـكالسيف والرمح، والسكين، والبندقية، والعصا، والحجرـ لأرعاب المسلمين والتجاوز على أموالهم وأعراضهم‌أو سفك‌دمائهم، سواءكان واحدا أو جماعة، وسواء وصل الى غرضه فأرعب وقتل وسرق المال أم لا، فهو محارب بمجرد حمله للسلاح وتحركه بهذا القصد وايضا لافرق بين أن‌يكون فى‌البرأو فى‌البحر، فى‌المدن‌والعمران أوفى الصحارى والبيداء كقطاع الطرق، بل حتى اذا حمل معه السلاح ودخل بيت مسلم ليلا أونهارا بقصد الاغارة على أهل المنزل فانه محارب .

روى عن سورة‌بن كليب قال: قلت‌لأبى عبدالله(ع): رجل يخرج من‌منزله يريد المسجد أويريد الحاجة فيلقاه رجل‌ويستعقبه فيضربه ويأخذ ثوبه ...

قال(ع) : هؤلاء من أهل هذه الآية «انما جزاء الذين يحاربون

الله ورسوله»(١)

وايضا لافرق فى المحارب بين أن يكون مسلما أو غير مسلم، رجلا أو امرأة، فى بلاد الاسلام أو فى بلاد الكفر .

ويعلم من جملة «ويسعون فى الارض فسادا» أن المراد بالمحاربة ليس الحرب والقتال بل المراد كل فساد فى الارض، واخلال بالامن العام، بايجاد الخوف والهلع، وهو أمر لايتحقق عادة الا بحمل السلاح، والتهديد بالقتل .

وبالجملة، فالمحارب هو من يحمل السلاح ويسلب المسلمين أمنهم واطمئنانهم فى المال أو العرض أو الانفس .

محاربة الله ورسوله :

فى الاية الشريفة عبر عن محاربة المسلمين بمحاربة الله و رسوله(ص) اما تعظيما وتكريما للمسلمين حتى أن أى تعامل معهم هو تعامل مع الله ورسوله(ص) لأنهم يرتبطون بهما، وأما من جهة أن الله ورسوله(ص) قد حرم ايذاء المسلمين والعدوان على أموالهم واعراضهم وأنفسهم، ومن يخالف هذا الحكم هو محارب لله ورسوله(ص)

ورد عن الامام الصادق(ع) :

«قال الله عزوجل ليأذن بحرب منى من آذى عبدى المؤمن وليأمن غضبى من أكرم عبدى المؤمن» . الكافى .

وقال(ع) «من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة» الكافى

حد المحارب :

طبقا للاية الشريفة يجب أجراء واحد من أربعة أمور على

المحارب: القتل، الصلب، قطع الايدى والأرجل من خلاف، التبعيد

جاء فى كتاب (برهان القرآن) :

«المقصودمن المحاربةفى اصطلاح الفقهاء حمل السلاح لأرعاب المسلمين فى مدينة أو صحراء أو بحر، ليلا أو نهارا، ضعيفا كان أو قويا، رجلا كان أو امرأة، فذلك فى اصطلاح الفقهاء محارب، وعد هذا العمل فى القرآن المجيد حربا لله ورسوله حيث قال تعالى «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..» «ايها القارىء العزيز: هذا أحد الموارد التى أثارتذوى الطبائع الحساسة والقلوب النازكة من المتحضرين! حيث عدوا هذه العقوبة الاسلامية وحشية قاسية الأاننا لاندرى لماذا تضع هـذه الطبقة من المثقفين عطفهم ورقة قلوبهم وحنانهم الى جانب الجناة وقطاع الطرق ومصاصى الدماء، أما مع الناس الابرياءوالنساء والاطفال المعصومين الذين يتعرضون لتعدى أولئك الجناة، ويقعون هدفاً لأطماعهم وأغراضهم وأهوائهم فانهم لايظهرون شفقتهم وحنانهم، ولاندرى هل يفرق استئصال هؤلاء المحاربين وقتلهم من أجل حفظ الأمـن والسلام، ومصلحة المجتمع الاسلامى عن قتل ملايين الميكروبات لأجل سلامة واحد من خطر الموت؟

وهل يوجد عاقل واحد وطبيب صادق يعترض على تزريق أبرة فى بدن المريض من أجل أن لاتقتـل ملايين الميكروبات، بحيث يعتبر هذا العمل وحشياً قاسياً ؟

ليس مجالاً للتردد أن كل شخص منصف يعرف أن هذا الحكم انما هو بدافع الرحمة والشفقه على المجتمع، ومعتمد على أساس العدل والانصاف فى حق أولئك الجناة وقطاع الطرق، كما أنه يجدر الاشارة الى أن المشرع الاسلامى الرحيم قد أخذ بعين الاعتبار جانب الرأفة

والشفقة حتى فى عملية تنفيذ هذا الحكم .

فقد ورد فى تفسير (مجمع البيان) فى ذيل الاية السابقة عن الامام الباقر : «انما جزاء المحارب علـى قدر استحقاقه فأن قتل فجزاؤه أن يقتل، وان قتل وأخذ المال فجزاؤه أن يقتل ويصلب، وان أخذ المال ولم يقتل فجزاؤه أن تقطع يده ورجله من خلاف وان أخاف السبيل فقط فانما عليه النفى لاغير».

وليس مجالا للتردد أن مجرد الأمر والنهى لايستطيع تأمين ما تقدم، بل التأمين يتحقق من خلال العقوبة فهى التى تضمن الالتزام بالأوامر والنواهى .

لقد ذكر الفيلسوف الاسلامى العظيم (أبو ريحان) فى كتابه «تحقيق ماللهند»، وهو بصدد شرح عقائد وأفكار الهنود :

«أن حالم حال النصارى، فهم يعتمدون على اساس الخير، و اجتناب الشر من قبيل ترك القتل تماماً ، ودفـع القميص الرقيق لغاصب جبة الصوف، وادارة الخد الايمن لضارب الخد الايسر والدعاء بالخير، والصلاة، وطلب العفو للعدو .

وبنفسى أن هذا السلوك سلوك جيد جميل الا أنه ليس جميع أهل الدنيا هم من طبقة الفلاسفة بل أكثرهـم من الجهلاء الضالين الذين لاينفع فى استقامتهم الا السوط والسيف، ومن يوم أصبح قسطنطين نصرانياً لم تهد أحركة السوط والسيف، اذ لاتقوم السياسة الا بهما» .

وبناءاً على هذا الاصل، الاساسى، والنظر الحكيم، قال تعالى فى القرآن الكريم فى مقام بيان حكمة القصاص «ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب لعلكم تتقون» . فقد جعل المخاطب فى هذه الآية هم ذوو العقول والالباب ، وذوو المعرفـة بعواقب الامور، وقيمة

الحياة، وذكر أن حياة الناس مرهونة بالقصاص، ذلك أنه متى ماعلم الشخص أنه سوف يقتل لو قتل فسوف ينصرف عن التفكير بالقتل، وبالنتيجة سيحفظ نفسه من القتل ويحفظ غيره .

ومع الالتفات الى هـذه الحقائق يعلـم لماذا جعلت الشريعة الاسلامية عقوبات خاصة محدده، كما هو فى جريمة القتل العمدى، والقذف، والزنا، والسرقة، والمحاربة وشرب الخمر، والارتداد عن الدين، بينما لم تحدد عقوبة خاصة فى موارد اخرى وتركت نوع العقوبة ومقدارها مفوضا الى الحاكم الشرعى ليحكم فيه بماتقتضيه أوضاع الزمان والمكان واحوال المجرم، ذلك أن انتشار مثل هذه الجرائم يؤدى الـى فقدان الروابط الاجتماعية والبؤس والشقاء العام (برهان القرآن) .

روايات فى كيفية اجراء الحد :

وردت فى كيفية اجراء هذه الحدود روايات منها ماورد فى الكافى عن عمرو بن عثمان المدائنى عن الامام الرضا(ع) قال :

سئل عن قول الله عزوجل «انما جـزاء الذين يحاربون الله و رسوله ويسعون فى الاض فساداً» فما الذى اذا فعله استوجب واحدة من هذه الاربع؟ فقال: اذا حارب الله ورسوله وسعى فى الاض فساداً فقتل قتل به، وان قتل وأخذ المال قتل وصلب، وان أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وان شهر السيف وحارب الله و رسوله وسعى فى الارض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال نفى من الارض .

قلت :كيف ينفى؟ وماحد نفيه؟

قال : ينفى من المصر الذى فعل فيه مافعل الى مصر غيره و

يكتب الى أهل ذلك المصر أنه منفى فلا تجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تشاربوه فيفعل ذلك به سنة» الوسائل ـ حد المحارب

وحيث أن اجراء الحدود الالهية معطل فـى زماننا(١)، فاننا سوف لاندخل فى ذكر فروع هذا الموضوع، والروايات والاقوال المذكورة فيه، والتحقيق فى سائر جوانبه .

وفى أى وقت ندم المحارب قبل القاء القبض عليه وتاب، فان الحد المذكور يسقط عنه، ولزمه ان كان قد أخذ مالا ارجاعه الى صاحبه، وان كان قد جنى فان عليه القصاص الا اذا عفى عنه صاحب الحق .

الدفاع ومقاومة السارق :

السارق الذى يحمل بسلاحه لأجل السرقة يعتبر محاربا ويجوز لصاحب المال مقاومته اذا استطاع، ولو قتل السارق فى هذا الحال كان دمه هدراً لاضمان فيه، واذا أراد السارق الاعتداء على الاعراض أو على مال محترم ـ واجب الحفظ ـ وجب الدفاع الا اذا اعتقد أن فيه هلاكاً، أما اذا قصد السارق قتل صاحب المال فيجب الدفاع و المقاومة لحفظ النفس أو الفرار والاختفاء أو ماماثل ذلك من الامور الموجبة لحفظ النفس، أما اذا كان السارق بدون أسلحة فانه فى حكم المحارب مـن حيث وجوب الدفاع الا أنه لايجرى عليه حكـم المحارب، نعم يجرى عليه حد السرقة مع اجتماع الشروط وبدونها يجرى عليه التعزير والتأديب ومثل هـذا السارق اما مستلب واما

١ـ تأليف هذا الكتاب سبق قيام المجهورية الاسلامية التى تجربى فيها الحدود الالهية ـ المترجم .

مختلس، والمستلب هو الذى ينهب مال الناس علناً ثم يفر به، وأما المختلس فهو الذى ينهب المال سراً ويفر به، وفى كلتها الصورتين يعاقبه الحاكم الشرعى بما يراه كافيا لتركه السرقة أو يحبسه .

روى عن أمير المؤمنين (ع) أنه اتى برجل قد اختلس درة من أذن جارية فقال (ع) هذه الدغارة العملنة فضربه وحبسه» ـ المسالك ـ وأما المختال ـ وهو من يخادع الناس ويأخذ مالهم حيلة كمن يزور سنداً ويأخذ به مال الناس فيجب تعزيره .

(٣٥)

أكل الميتة والدم ولحم الخنزير

والخامس والثلاثون من الكبائر المنصوصة أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ومالم يذكر اسم الله عليه عند الذبح وقد صرح بذلك فى رواية الاعمش عن الامام الصادق(ع)، ورواية الفضل بن شاذان عن الامام الرضا(ع)، كما جاء التصريح به فى القرآن الكريم فى كل من سورة البقرة الآية ١٧٣، وسورة الانعام الاية ١٤٥، وسورة النحل الاية ١١٦ ، وقال تعالى فى سورة المائدة :

«حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية وما أكل السبع الاماذكيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق».

وبالجملة، لاشبهة فى حرمة ذلك، وكونه من الذنوب الكبيرة، والأمر الذى يجدر التعرف عليه هوحقيقة الامور المذكورة وأقسامها وفروعها.

الميتة :

كل حيوان مات من دون تذكية شرعية لايجوز أكله، واذا كان ذا نفس سائلة ـ بمعنى أنه يسيل دمه عند الذبح ـ فهو نجس أيضاً، أما اذا ذكى فهو طاهر ماعدا الكلب والخنزير حيث أنهما نجسان

دائماً وغير قابلين للتطهير. أما اذا ذكى الحيوان وكان مما يحل أكله جاز أكله، وبناء على ذلك يلزم التعرف على مايحل أكله من الحيوانات .

كتب فى مجموعةمطبوعات منظمة الاعلام الاسلامى :

«لقد عين الفقه الاسلامى بوضوح كامل الحيوانات التى يحل أكلها، ولوتتبع العالم الطبيعى هذه المسألة لوقف على دقائقعلمية رائعة موجودة فى هذا التصنيف .

لقد حرم الدين الاسلامى عموماً الحيوانات آكلة اللحوم، اذ أن معدة هذه الحيوانات عفنة، ولحمها قذر ذو رائحه كريهة توجب النفرة على العكس من الحيوانات التى تأكل العلف فقد أحل الاسلام لحمها.»

«كما حرم الاسلام جميع الحيوانات ذوات المخلب وأحل الحيوانات ذوات الظلف، بينما جعل بعضها مكروها كالفرس والبغل.

وأما فى الطيور فالمقياس معرفة الحرام منها والحلال هوكيفية حركة جناحها عند الطيران فاذا كانت تصف جناحيها غالبا عند الطيران فهى حرام وان كانت تحرك جناحها غالبا عند الطيران فهى حلال...»

وكتب أيضا :

«لقد ترك الصيد حراً، الاأنه انما يجوز حيث يكون المراد منه النفع المعيشى، أما اذاكان المراد منه اللهو واللعب ومجرد قتل الحيوان فأنه ليس بجائز، وفى السفر لأجل صيد اللهو واللعب تكون الصلاة تامة والصيام واجبا ـ من حيث أنه سفر معصية ـ »

والحيوانات لاتعدو ثلاثة أنواع : برية، مائية، هوائية .

والحيوانات البرية على قسمين أهلية ـ وهى ماتألف مع حياة

الانسان ـ ووحشية ـ وهى ماتعيش فى الصحارى ـ

الحيوانات البرية :

الغنم، والبقر، والأبل فقط من بين الحيوانات البرية حلال، و أما أكل لحم الفرس، والحمار، والبغل فهو مكروه، وما عدا هذه الست من الحيوانات الاهليةحرام كالقط مثلا .

وأما الحيوانات الوحشية فلا يوجد شيء منهـا حلال ، ماعدا أنواع الغزلان ومعز الجبال، والبقر الوحشى، والحصان الوحشى .

وأما الحيوانات المفترسة آكلة اللحوم، وذوات المخالب سواء كانت قويةكما فى الأسد، والنمر والذئب أو كانت ضعيفة كما فى الثعلب والضبع فهى حرام، ويحرم أيضا لحم الأرنب وان لم يكن من الحيوانات الوحشية .

وجميع انواع الحشرات يحرم أكلها مثل الحية، وفئران المنازل أو فئران الصحارى، والسحالى والقنفذ، والذباب، وأمثال ذلك .

الحيوانات الهوائية :

أنواع الحمام من الحيوانات الطائرة خلال كالقمارى والدراج، والقبج والقطا، والبط، والكركى، والحبارى، وأنواعالدجاج ، و العصفور بجميع أنواعه كالبلبل والقبرة والزرزور، والصرد ـ وهو طائر ضخمالرأس والمنقار يصيد العصافير أبقعنصفه أبيضونصفه أسود ـ والصوام (وهو طائر أغبر اللون طويل الرقبة أكثر مايبيت فىالنخل) والشقراق (وهو طائر أخضر مليح بقدر الحمام، خضرته حسنة مشبعة، فىأجنحته سوادويكون مخططاً بحمرةوخضرة وسواد).

ويحرم الخفاش والطاووس وكل ذى مخلب سواءاً كان قـويا

يقوى به على افتراس الطير كالبازى والصقر والعقاب والشاهين و الباشق أو ضعيفاً لايقوى به على ذلك كالنسر والبغاث، والاحوط التنزه والاجتناب عن الغراب بجميع أقسامه حتى الزاغ وهو غراب الزرع، والغداف الذى هو أصغر منه أغبر اللون كالرماد، والأبقع الذى فيه سواد وبياض ويقال له (العقعق) والاسود الكبير الذى يسكن الجبال ، ويحتمل قويا كونهما من سباع الطير.

ان العناوين المذكورة قد ورد حكمها فى الروايات ومن هنا فهى معلومة الحال، وأما سائر الطيور التى لم يصل فيها حكم خاص فهناك فى الشرع علامتان لمعرفة مايحل أكله مما يحرم :

١ـ أن يكون الدفيف (حركة الجناح عند الطيران) أكثر من الصفيف (بسط الجناح عند الطيران) .

٢ـ أن يكون لديه ثلاثة أمور (الحوصلة، والقانصة والصيصية) فما كان فيه أحد هذه الثلاثة فهو حلال، ومالم يكن فيه شىء منها فهو حرام .

والمراد بالحوصلة مايجتمع فيه الحب وغيره من المأكول .

والمراد بالقانصة قطعة صلبة تجتمع فيها الحصاة الدقاق التى يأكلها الطير.

والمراد بالصيصية هى الشوكة التى فى رجل الطير موضع العقب.

* * *

ويجب أن يعلم أن الحيوان الذى يحل أكله قد يحرم لأمرين :

أحدهما : أن يكون جلالاً (وهو مااعتاد على أكل النجاسات)

ثانيهما : أن يكون موطوءاً من قبل انسان .

ولكل من هذين الامرين أحكام مذكورة فى الرسائل العملية .

* * *

الحيوانات المائية :

وأما الحيوانات المائية فلا يحل منها الاماكان له فلس بالأصل وان سقط عنه بعدئذ مثل الكنعت (الذى يقال عنه أنه مؤذجداً يضرب ويحتك بكل ماحوله ولذا سقط الفلس منه وغالباً مايبقى الفلس فى أصل ذنبها .

التذكية بالصيد :

التذكية للحيوان الذى له نفس سائلة تتحقق بأمرين أحدهما الصيد والآخر الذبح .

ويحل أكل الصيد بأمرين :

أحدهما :

أن يكون بواسطة كلاب الصيد المعلمة وهى ماكان من عادتها الاسترسال والتحرك نحو الصيد لو أرسلها صاحبها، والانزجار و الوقوف اذا زجرها .

ويشترط فى حلية صيد الكلب أمور : منها أن يكون المرسل مسلما، ومنها أن يذكر اسم الله عند ارساله، ومنها أن لايغيب الكلب عن نظر المرسل .

ثانيهما :

أن يكون بواسطة الآلة كالسيف والسكين والخنجر وكل آلة حديدية حتى البندق ـ فى البندقية ـ شريطة أن ـ يثقب جسم الحيوان سواءاً كان من حديد أم من غيره .

ويشترط أن يكون الرامى مسلماً، وأن يذكر اسم الله عند الرمى.

ولو مات الصيد وكان بعد حياً لزمه أن يذبحه بالتفصيل المتقدم فى كيفية الذبح.

وأما الصيد بباقى الآلات كالمصيدة، وشبكة الصيد، وهكذا الصيد بالفهود، فانه. لايحل ا لااذا أدركه الصياد وهو حى فذبحه.

وأيضا يشترط فى الحيوان الذى يحل أكله بالصيد أن يكون قادراً على الفرار أو الطيران، وبناءاً على ذلك فأن اصطياد فرخ الغزال الذى لايستطيع الفرار ـ بالسلاح أوبكلب الصيد ـ وهكذا اصطياد فراخ الحجل الذى لاتستطيع الطيران لايوجب حليتها ولا طهارتها.

* * *

حديث حول أكل اللحوم :

كتب فى تفسير الميزان (بحث علمى فى فصول ثلاثة) فيها مطالب مفيدة فى شرح الآية ٣ من سورة المائدة ننقلها فيما يلى:

١ـ العقائد فى أكل اللحم :

لاريب أن الانسان كسائر الحيوانات والنبات مجهز بجهاز التغذى يجذب به الى نفسه من الأجزاء المادية ما يمكنه أن يعمل فيه ماينضم بذلك الى بدنه وينحفظ به بقاؤه، فلا مانع له بحسب الطبع من أكل مايقبل الازدراد والبلع الاأن يمتنع منه لتضرر أو تنفر.

أما التضرر فهو كأن يجد المأكول يضر ببدنه ضراً جسمانياً لمسمومية ونحوها فيمتنع عندئذ عن الأكل، أويجد الأكل يضر ضراً معنوياً كالمحرمات التى فى الأديان والشرائع المختلفة، وهذا القسم

امتناع عن الأكل فكرى .

واما التنفر فهو الاستقذار الذى يمتنع معه الطبع عن القرب منه كما أن الانسان لايأكل مدفوع نفسه لأستقذاره اياه، وقد شوهد ذلك فى بعض الاطفال والمجانين، ويلحق بذلك ما يستند الى عوامل اعتقادية كالمذهب أوالسنن المختلفة الرائجة فى المجتمعات المتنوعة مثل أن المسلمين يستقذرون لحم الخنزير، والنصارى يستطيبونه، ويتغذى الغربيون من أنواع الحيوانات أجناساً كثيرة يستقذرها الشرقيون كالسرطان والضفدع والفأر وغيرها، وهذا النوع من الامتناع امتناع بالطبع الثانى والقريحة المكتسبة .

فتبين أن الانسان فى التغذى باللحوم على طرائق مختلفة ذات عرض عريض من الاسترسال المطلق الى الامتناع، وأن استباحة ما استباح منها اتباع للطبع كما أن امتناعه عما يمتنع عنه انما هوعن فكر أو طبع ثانوى .

وقد حرمت سنة بوذا أكل لحوم الحيوانات عامة، وهذا تفريط يقابله فى جانب الافراط ماكان دائر أبين أقوام متوحشين من افريقية وغيرها أنهم كانوا يأكلون أنواع اللحوم حتى لحم الانسان .

وقد كانت العرب تأكل لحوم الانعام وغيرها من الحيوان حتى أمثال الفأر والوزغ وتأكل من الانعام ماقتلته بذبح ونحوه، وتأكل غير ذلك كالميتة بجميع أقسامها كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وكان القائل منهم يقول: مالكم تأكلون مما قتلتموه ولاتأكلون مما قتله الله؟!

كما ربما يتفوه بمثله اليوم كثيرون؟ يقول قائلهم :

ماالفارق بين اللحم واللحم اذا لم يتضرر به بدن الانسان ولو بعلاج طبى فنى فجهاز التغذى لايفرق بين هذا وذاك؟

وكانت العرب أيضاً تأكل الدم، كانوا يملؤون المعى من الدم ويشوونه ويطعمونه الضعيف، وكانوا اذا أجدبوا جرحوا أبلهم بالنصال وشربوا ما ينزل من الدم، وأكل الدم رائج اليوم بين كثير من الامم غير المسلمة .

وأهل الصين من الوثنية أوسع منهم سنة، فهم ـ على ما ينقل ـ يأكلون أصناف الحيوان حتى الكلب والهر، وحتى الديدان والاصداف وسائر الحشرات .

وقد أخذ الاسلام فى ذلك طريقاً وسطاً فأباح من اللحوم ما تستطيبه الطباع المعتدلة من الانسان، ثم فسره فى ذوات الاربع بالبهائم كالضأن والمعزو البقر والابل على كراهية فى بعضها كالفرس و الحمار، وفى الطير ـ بغير الجوارح ـ مما له حوصلة ودفيف ولا مخلب له، وفى حيوان البحر ببعض أنواع السمك على التفصيل المذكور فى كتب الفقه .

ثم حرم دماءها وكل ميتة منها وما لم يذك بالاهلال به لله عز اسمه، والغرض فى ذلك أن تحيا سنة الفطرة، وهى اقبال الانسان على أصل أكل اللحم، ويحترم الفكر الصحيح والطبع المستقيم اللذين يمتنعان من تجويز مافيه الضرر نوعا، وتجويز ما يستقذر ويتنفر منه .

٢ـ كيف أمر بقتل الحيوان والرحمة تأباه ؟

ان الحيوان ذو روح شاعرة بمايشعر به الانسان من ألم العذاب ومرارة الفناء والموت، وغريزة حب الذات التى تبعثنا الى الحذر من كل مكروه والفرار من ألم العذاب والموت تستدعى الرحمة لغيرنا من أفراد النوع لأنه يؤلمهم ما يؤلمنا، ويشق عليهم ما يشق علينا،

والنفوس سواء .

وهذا القياس جار بعينه فى سائر أنواع الحيوان، فكيف يسوغ لنا أن نعذبهم بما نتعذب به، ونبذل لهم حلاوة الحياة من مرارة الموت، ونحرمهم نعمة البقاء التى هى أشرف نعمة؟ والله سبحانه أرحم الراحمين، فكيف يسع رحمته أن يأمر بقتل حيوان ليلتذ به انسان وهما جميعا فى أنهما خلقه سواء؟ .

والجواب عنه أنه من تحكيم العواطف على الحقائق، والتشريع انما يتبع المصالح الحقيقية دون العواطف الوهمية .

توضيح ذلك اذا تتبعت الموجودات التى تحت مشاهدتك بالميسور مما عندك وجدتها فى تكونها وبقائها تابعة لناموس التحول، فما من شىء الا وفى امكانه أن يتحول الى آخر، وأن يتحول الآخرين اليه بغير واسطة أو بواسطة، لايوجد واحد الا ويعدم آخر، ولا يبقى هذا الاويفنى ذاك، فعالم المادة عالم التبديل والتبدل، وان شئت فقل: عالم الآكل والمأكول .

فالمركبات الأرضية تأكل الارض بضمها الى أنفسها وتصويرها بصورة تناسبها أو تختص بها ثم الارض تأكلها وتفنيها .

ثم النبات يتغذى بالارض ويستنشق الهواء ثم الارض تأكله و تجزئه الى أجزائه الأصلية وعناصره الاولية، ولايزال أحدهما يراجع الآخر .

ثم الحيوان يتغذى بالنبات والماء ويستنشق الهواء، وبعض أنواعه يتغذى ببعض كالسباع تأكل لحوم غيرها بالاصطياد، وجوارح الطير تأكل أمثال الحمام والعصافير، لايسعها بحسب جهاز التغذى الذى يخصها الاذلك، وهى تتغذى بالحبوب وأمثال الذباب والبق و البعوض وهى تتغذى بدم الانسان وسائر الحيوان ونحوه ثم الارض

تأكل الجميع.

فنظام التكوين وناموس الخلقة الذى له الحكومة المطلقة المتبعة على الموجودات هو الذى وضع حكم التغذى باللحوم ونحوها، ثم هدى أجزاء الوجود الى ذلك، وهو الذى سوى الانسان تسوية صالحة للتغذى بالحيوان والنبات جميعا. وفى مقدم جهازه الغذائى أسنانه المنضودة نضداً صالحا للقطع والكسر والنهش والطحن من ثنايا و رباعيات وأنياب وطواحن، فلا هو مثل الغنم والبقر من الأنعام لاتستطيع قطعاً ونهشاً، ولا هو كالسباع لاتستطيع طحنا ومضغا.

ثم القوة الذائقة المعدة فى فمه التى تستلذ طعم اللحوم، ثم الشهوة المودعة فى سائر أعضاء هضمه جميع هذه تستطيب اللحوم وتشتهيا، كل ذلك هداية تكوينية واباحة من مؤتمر الخلقة، وهل يمكن الفرق بين الهداية التكوينية، واباحة العمل المهدى اليه بتسليم أحدهما وانكار الآخر.

وهو كما يحيى بالشرايع هذا الحكم الفطرى يحيى أحكاماً أخرى وضعها واضع التكوين، وهو ماتقدم ذكره من الموانع من الاسترسال فى حكم التغذى أعنى حكم العقل بوجوب اجتناب مافيه ضرر جسمانى أو معنوى من اللحوم، وحكم الاحساسات والعواطف الباطنية بالتحذر والامتناع عما يستقذره ويتنفر منه الطباع المستقيمة، وهذان الحكمان أيضاً ينتهى أصولهما الى تصرف من التكوين، وقد اعتبرهما الاسلام فحرم مايضر نماء الجسم، وحرم مايضر بمصالح المجتمع الانسانى، مثل ما أهل به لغير الله، وما اكتسب من طريق الميسر والاستقسام بالازلام ونحو ذلك، وحرم الخبائث التى تستقذرها الطباع.

وأما حديث الرحمة المانعة من التعذيب والقتل فلاشك أن

الرحمة موهبة لطيفة تكوينية أودعت فى فطرة الانسان وكثير مما اعتبرنا حاله من الحيوان، الا ان التكوين لم يوجدها لتحكم فى الامور حكومة مطلقة وتطاع طاعة مطلقة، فالتكوين نفسه لايستعمل الرحمة استعمالاً مطلقا، ولو كان ذلك لم يوجد فى دارالوجود أثر من الآلام والأسقام والمصائب وأنواع العذاب .

ثم الرحمة الانسانية فى نفسها ليست خلقا فاضلا على الاطلاق كالعدل، ولوكان كذلك لم يحسن أن نوأخذ ظالما على ظلمه، أو نجازى مجرما على جرمه، ولا أن نقابل عدوانا بعدوان، وفيه هلاك الارض ومن عليها .

ومع ذلك لم يهمل الاسلام أمر الرحمة بما أنها من مواهب التكوين، فأمر بنشر الرحمة عموماً، ونهى عن زجر الحيوان فى القتل، ونهى عن قطع أعضاء الحيوان المذبوح وسلخه قبل زهاق روحه ـ ومن هذا الباب تحريم المنخنقة والموقوذة ـ ونهى عن قتل الحيوان وآخر ينظر اليه، ووضع للتذكية أرفق الأحكام بالحيوان المذبوح وأمر بعرض الماء عليه، ونحو ذلك مما يوجد تفصيله فى كتب الفقه .

ومع ذلك كله الاسلام دين التعقل لادين العاطفة فلا يقدم حكم العاطفة على الأحكام المصلحة لنظام المجتمع الانسانى ولايعتبر منه الا ما اعتبره العقل، ومرجع ذلك الى اتباع حكم العقل .

وأما حديث الرحمة الالهية وأنه تعالى أرحم الراحمين، فهو تعالى غير متصف بالرحمة بمعنى رقة القلب أو التأثر الشعورى الخاص الباعث للراحم على التلطف بالمرحوم، فان ذلك صفة جسمانية مادية تعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل معناها افاضته تعالى الخير على مستحقه بمقدار مايستحقه، ولذلك ربما كان ما نعده عذاباً رحمة منه تعالى وبالعكس، فليس من الجائز فى الحكمة أن يبطل مصلحة

من مصالح التدبير فى التشريع اتباعاً لما تقترحة عاطفة الرحمة الكاذبة التى فينا، أو يساهم فى جعل الشرائع محاذية للواقعيات .

فتبين من جميع ما مر أن الاسلام يحاكى فى تجويز أكل اللحوم وفى القيود التى قيد بها الاباحة والشرائط التى اشترطها جميعاً أمر الفطرة «فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق اللهذلك الدين لقيم» .

٣ـ لماذا بنى الاسلام على التذكية؟

وهذا سؤال آخر يتفرع على السؤال المتقدم، وهو أنا سلمنا أن أكل اللحوم مما تبيحه الفطرة والخلقة، فهلاّ اقتصر فى ذلك بما يحصل على الصدفة ونحوها بأن يقتصر فى اللحوم بما يهيؤه الموت العارض حتف الأنف، فيجمع فى ذلك بين حكم التكوين بالجواز، و حكم الرحمة بالامساك عن تعذيب الحيوان وزجره بالقتل أو الذبح من غير أن يعدل عن ذلل الى التذكية والذبح ؟

وقد تبين الجواب عنه مما تقدم فى الفصل الثانى، فان الرحمة بهذا المعنى غير واجب الاتباع بـل اتباعـه يفضى ابطال أحكام الحقائق. وقد عرفت أن الاسلام مع ذلك لم يأل جهدا فى الأمر باعمال الرحمة قدر ما يمكن فى هذا الباب حفظا لهذه الملكة اللطيفة بين النوع .

على أن الاقتصار على اباحة الميتة وأمثالها مما لاينتج التغذى به الا فساد المزاج ومضار الأبدان هو نفسه خلاف الرحمة، وبعد ذلك كله لايخلو عن الحرج العام الواجب نفيه. (انتهى مانقل عـن تفسير الميزان) .

* * *

ولايفوتنا القول أن ذبح الحيوان من أجل أن يأكله الانسان ليس فيه أى ظلم له، بل ذلك هو مقتضى سيره التكاملى، اذ أن الحيوان قبل الذبح صامت لاعقل له ولاشعور أما بعد الذبح وبعد أن يتناوله الانسان فيصبح جزءاً منه يكون صاحب ادراك وشعور وعقل .

مثلا : ان لسان الشاة لايظهر منه أى كمال، ولكن حين يصير جزءاً من الانسان فانه سوف يشرح الحقائق ويسبح لربه بالحمد والثناء، وهكذا سائر الخيرات والكمالات التى تظهرها سائر اعضاء الانسان وجوارحه .

التذكية بالذبح الشرعى :

الثانى من أسباب التذكية فى الحيوان الذبح الشرعى وهو قطع الاوداج الاربعة (المرىء، الودجان فى العنق، الحلقوم) قطعاً كاملا من تحت الجوزة .

ويشترط فى صحة الذبح خمسة شروط :

الاول أن يكون الذابح مسلما، رجلا أو أمراة أو طفلا مميزا .

الثانى أن تكون أداة الذبح من الحديد، وان لم يكن لديه حديد وكان الحيوان بحيث لو ترك لمات جاز ذبحه بكل مايفرى الاوداج الاربعة كالزجاجة، والحجارة الحادة .

الثالث استقبال القبلة بالذبيحة حال الذبح بمقاديم بدنها (الوجه، اليدين، الرجلين، البطن) ولو نسى ذلك أو كانت القبلة مجهولة عنده، أولم يكن بأمكانه وضع الحيوان بأتجاه القبلة لامانع من ذبحه بدون ذلك .

الرابع التسمية ـ ذكر اسم الله ـ عند الذبح، ولامانع لو نسى ذلك.

الخامس أن يتحرك الحيوان بعد الذبح ولو بعينه أو ذنبه أو

يرفس الارض برجله والأحوط أن يخرج من بدنه مقدار مناسب من الدم .

وأما فى الابل فمضافا الى الشروط الخمسة المتقدمة يشترط نحرها، وهو ادخال سكين أو رمح ونحوهما من الالات الحديدية فى اللبة، وهى المنطقة الواقعة بين العنق والصدر .

ولو تعذر ذبح الحيوان بالطريقة الشرعية كما لوكان واقعا فى بئر واحتمل مما ته هناك جاز طعنه فى أى موضع من بدنه بحيث يموت بعده من أثر الجرح ولايلزم جعله مستقبل القبلة وان لزم توفر باقى الشروط .

* * *

وأما تذكية السمك فهى بأخراجه من الماء حيا، فاذاكان السمك ذا فليس وأخرج من الماء حيا ومات خارجه كان طاهرا حلال الأكل، واما لومات فى داخل الماء فهو طاهر ايضا بأعتبار أنه ليس بذى نفس سائلة الا أنه يحرم أكله .

ولايشترط فى صيد السمك أن يكون الصياد مسلما، وبناء أعلى ذلك فلو اصطاده الكافر حل أكله أيضاً بشرط أن يكون قد خرج من الماء حيا .

وأما تذكية الجراد فهو قبضه حياً باليد أو بوسيلة أخرى، وحينئذ يجوز أكله بعد موته، ولايلزم أن يكون ممسكه مسلماً، ولايلزم أيضا التسمية عند امساكه .

ولايحل أكل الجراد الذى لم يظهر بعد جناحه ولم يكن قادرا على الطيران. وأما الحيوان الجنينى الذى لم تلجه الروح اذا أخرج من بطن أمه فيحل أكله اذا ذكيت أمه كما أنه اذا كان تام الخلقة وظهر

عليه الشعر أو الصوف فهو طاهر، وكما يحل أكل لحم أمه فكذلك يحل أكل لحمه، بالشروط المعتبرة .

مايحرم أكله يطهر بالتذكية :

يعلم مما سبق أن كل حيوان مما يحرم أكله يطهر بالتذكية ماعدا الكلب والخنزير، وأما اذا لم يذك فهو ميتة نجس، نعم ان لم يكن ذا نفس سائلة ومات من دون تذكية فهو وان حرم أكله كالحية والدودة الا أنه ليس بنجس.

وكل حيوان يحل أكله اذا ذكى فهو طاهر، وان مات بدون تذكية فهو نجس حرام الا اذا كان ذا نفس غير سائلة فهو طاهر وان حرم أكله مثل السمك الذى يموت فى الماء .

وبناءاً على ذلك فالميتة التى يحرم أكلها هى الحيوان الذى يموت بدون تذكية شرعية سواء مات بمرض أو بحلول أجله أو بسبب من الاسباب الخارجية دفعة أو تدريجا، وحيث أن موت الحيوان بسبب خارجى دفعة واحدة قليل الوقوع، وقد يتخيل أنه ليس من أقسام الميتة تعرض القرآن الكريم الى خمسة عناوين واعتبرها من أفراد الميتة :

١ـ المنخنقة :

وهى الحيوان الذى يموت خنقا، عمداً أو صدفة، بآله كأن يشد عنقه بحبل ثم يخنق به، أو يوضع رأسه بين خشبتين وامثال ذلك من الطرق التى كانت متبعة فى زمن الجاهلية .

٢ـ الموقوذة :

وهى الحيوان الذى يضرب الى أن يموت .

٣ـ المتردية :

وهى الحيوان الذى يتردى من مكان عال، كأن يقع من قمة جبل، أو يقع فى بئر، ثم يموت .

٤ـ النطيحة :

وهى الحيوان الذى يموت نتيجة نطحه من حيوان آخر .

٥ـ ما أكل السبع :

وهو الحيوان الذى تمزقة السباع فتأكل بعضه وتترك الباقى ميتة .

والمراد بـ (ماذبح على النصب) المذكور فـى الآية الشريفة المنع من السلوك المتبع فى زمان الجاهلية حيث كان المشركون قد نصبوا الاصنام بأطـراف الكعبة لتقديسها وعبادتها ويذبحون لها الذبائح .

والمراد بـ (وان تستقسموا بالازلام) النهى عن ذلك، والازلام هى القداح والاستقسام بالقداح أن يؤخذ جزور ـ أو بهيمة أخرى ـ على سهام ثم يضرب بأقداح فى تشخيص من له سهم ممن لاسهم له، وفى تشخيص نفس السهام المختلفة، وهو نوع من القمار كما تقدم فى بحث حرمة القمار .

لماذا تحرم الميتة ؟

روى فى الكافى عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبى عبدالله(ع): لم حرم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟

قال(ع) : ان الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده وأحل

لهم ماسواه من رغبة منه فيما حرم عليهم، ولا زهو فيما أحل لهم، ولكنه خلق الخلق فعلم ماتقوم به أبدانهم وما يصلحهم، فأحله لهم وأباحه تفضلاً عليهم لمصلحتهم، وعلم مايضرهم فنهاهم عنه وحرمه عليهم، ثم أباحه للمضطر وأحله له في الوقت الذى لايقوم بدنه الابه فأمره أن ينال منه بقدر البلغة لاغير، ثم قال :

أما الميتة فانه لايدنو منها أحد الا ضعف بدنه ونحل جسمه و ذهبت قوته وانقطع نسله ولايموت آكل الميتة الافجأة» الوسائل ـ الاطعمة والاشربة .

ولعل السبب فى هذه المفاسد أن الحيوان اذا مات موتا طبيعيا أو مات خنقا فان الدم سيتوقف فى بدنه دفعة واحدة، ويبقى فى عروقه ويفسد اللحم ويسممه أما اذا ذبح الحيوان فأن دمه سيخرج، ويبتعد اللحم عن الفساد والتسمم كما أشير الى هذا المطلب فى حديث الامام الصادق(ع) فى الاحتجاج فى جواب الزنديق الذى سأله لماذا حرم الله الميتة ؟

فقال(ع): فرقا بينها وبين مايذكر عليه اسم الله تعالى، والميتة قد جمد فيها الدم وتراجع الى بدنها فلحمها ثقيل غير مرى، لأنها يؤكل لحمها بدمها قال : فالسمك ميتة؟

فقال(ع) : ان السمك ذكاته اخراجه حيا من الماء ثم يترك حتى يموت من ذات نفسه وذلك أنه ليس له دم وكذلك الجراد» بحار الانوار

وقد ذكر العلامة المجلسى فى شرح هذا الحديث أنه حيث كان هناك سببان تجعل الحيوان ميتة وبالتالى يحرم أكله أحدهما عدم رعاية شروط الذبح والنحر كعدم ذكر الله ـ عمدا ـ وعدم استقبال القبلة، وثانيهما عدم تحقق الذبح والنحر، فقد ذكر الامام ع() للحرمة فى الصورة الاولى جهة دينية روحانية وهى أن ماذكر اسم الله عليه

تحل فيه البركات الدنيوية والاخروية، المادية والمعنوية، وتكون من نصيب الانسان فى روحه وبدنه، أما اذا لم يذكر اسم الله عليه فسوف يحرم الانسان من تلك البركات .

وأما الحرمة فى الصورة الثانية ـ وهى أن يموت الحيوان بدون ذبح ونحر ـ فقد ذكر الامام(ع) أن الدم سيبقى فى العروق ويختلط باللحم فيؤكل معه وفى ذلك مفاسد عظيمة هى مفاسد شرب الدم، ولما اعترض السائل بموضوع السمك أجاب(ع) بأن السمك ليس له دم كثير فلا يلزم ذبحه حتى يخرج دمه، وأما مايبقى فيه من الدم فهو كالدم المتخلف فى الذبيحه الذى أحله الشارع ولاضرر فيه .

الدم :

الدم على قسمين : نجس وطاهر .

دم الانسان وكل حيوان له نفس سائلة ـ نجس كثيرا كان أو قليلاء وبناءا على ذلك فالدم الذى يرى مع اللبن أثناء الرضاعة نجس، وينجس معه اللبن فيحرم شربه، والأحوط اجتناب تناول البيضة التى يرى فيه ذرة من الدم .

اما الدم الطاهر فهو فى موردين :

احدهما : دم الحيوانات التى ليس لها نفس سائلة مثل السمك والبق .

ثانيهما : مايتبقى فى الذبيحة التى يحل أكلها بعد الذبح، فلو ذبح الحيوان بالطريقة الشرعية وخرج المقدار المتعارف من دمه فالباقى طاهر، أما اذا لم يخرج الدم من بدنه بسبب التنفس، أو بسبب وضع رأسه فى مكان مرتفع فان الدم الباقى حينئذ ليس بطاهر.

وشرب الدم حرام على العموم سواءا كان طاهرا أم نجسا، وأما

الدم الطاهر فى السمك أو المتبقى فى الحيوان بعد الذبح اذا كان بنحو يعتبر جزءا من اللحم فلا مانع من أكله، أما اذا كان يصدق عليه اسم الدم فأكله حرام .

سبب حرمة الدم :

روى فى تفسير العياشى عن الامام الصادق(ع) فى تفسير قوله تعالى «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير» قال(ع) «وأما الدم فانه يورث الكلب (اى مرض الكلب) والقسوة للقلب وقلة الرأفة والرحمة لايؤمن أن يقتل ولده ووالديه ولايؤمن على حميم، ولايؤمن على من صحبه»

وروى عنه أيضا أنه قال «وأما الدم فأنه يورث أكله الماء الاصفر وينخر الفم، وينتن الريح، ويسيىء الخلق ويورث الكلف والقسوة فى القلب...» ـ الوسائل ـ

وروى أن الزنديق سأل ابا عبدالله(ع) لم حرم الدم المسفوح؟ قال(ع) لأنه يورث القساوة ويسلب الفؤاد رحمته ويعفن البدن ويغير اللون وأكثر ما يصيب الانسان الجذام يكون من أكل الدم» ـ الاحتجاج ـ

وروى عن الرضا(ع) أن أكل الدم يورث الطاعون...»

الخنزير :

الخنزير والكلب حيوانان نجسا العين، بجميع اجزاء بدنهما حتى الشعر والظفر ممالاروح فيه، وذبحهما لغو لاينفع فى تطهيرهما ويحرم أكلهما، وهو من الذنوب الكبيرة .

قال الامام الرضا(ع) فى بيان وجه تحريم أكلهما :

«حرم الخنزير لأنه مشوه جعله الله عزوجل عظة للخلق عبرة وتخويفا ودليلا على ما مسخ على خلقته، ولأن غذائه أقذر الاقذار مع

علل كثير» عيوم اخبار الرضا

وقال الامام الصادق(ع) :

«وأما لحم الخنزير فان الله تبارك وتعالى مسخ أقواما فى صور شتى مثل شبه الخنزير والقرد والدب وما كان من المسوخ ثم نهى عن أكله لمثله، لكيلا ينتفع الناس ولا يستخفوا بعقوبته» تفسير العياشى.

جاء فى كتاب (الاسلام والعلم المعاصر) من مطبوعات منظمة الاعلام الاسلامى :

«الخنزير أحد الحيوانات التى يعدها علماء الطبيعة من نوع الحيوانات سميكة الجلد، كما يعدون الخنزير الوحشى، وفرس الماء من هذا النوع .

ولحم الخنزير فيه اضرار عديدة، وبالرغم من ذلك فقد دأبوا على أكله نظرا لطعمه، مع أن الله تعالى قد نهى اليهود عن أكله، وحرمه على المسلمين، وأما النصارى فانهم اليوم يأكلوه، والعجب أنهم مع معرفتهم اليوم بعلة تحريمه لم يكفوا عن أكله .

لقد عرف علماء الطبيعة اليوم بكامل الوضوح أيه أضرار فى ذلك، وأية مفاسد يوجدها فى صحة المجتمع، ولايوجد أى طريق للوقوف بوجه تلك المفاسد سوى تحريمه .

(٣٦)

ترك الصلاة عمدا

السادس والثلاثون من الكبائر المنصوصة ترك الصلاة عمدا، كما ورد التصريح بذلك فى صحيحة عبدالعظيم(ع) عن الامام الجواد والرضا والكاظم والصادق عليهم السلام، كماوردالتصريح باعتباره من الكبائر فى رواية عن أميرالمؤمنين(ع)، وحيث أن وجوب الصلاة من الاحكام البديهية والضرورية فى الاسلام اذن فمن ترك الصلاة من جهة انكار وجوبها يعتبر كافرا خارجا عن دين الاسلام واما اذا لم يكن منكرا لوجوبها، وكان مؤمنا بحقانية القرآن ورسالة خاتم الانبياء ومعتقدا بان الصلاة واجبة بحكم الله تعالى، لكنه يتركها كسلا واهمالا، فمثل هذا الشخص فاسق .

والاخبار الواردة فى كفر تارك الصلاة ناظرة للصورة الاولى، وهى أخبار كثيرة متفقة المضمون .

عن النبى(ص): «من تركالصلاة متعمدا فقدكفر» لئالى الاخبار / ٣٩٤ وعن الامام الباقر(ع) : «تارك الفريضة كافر» ـ وسائل الشيعة ـ

وعن الامام الصادق(ع) : «جاء رجل الى النبى(ص) فقال يا رسول الله أو صنى فقال(ص) «لاتدع الصلاة متعمدا فان من تركها متعمدا فقد برئت منه ذمة الاسلام» الوسائل ـ الصلاة .

وقال(ص) : «مابين المسلم وبين أن يكفر الا أن يترك الصلاة الفريضة متعمدا أو يتهاون بها فلا يصليها» الوسائل ـ الصلاة .

يقول العلامة المجلسى فى شرح الكافى ان بعض هذه الاخبار لها دلالة على أن ترك أى واجب أو خصوص بعض الواجبات عن عمد كفر، وهذا بنفسه هو أحد معانى الكفر الوارد فى الآيات والروايات، حيث ورد أن تارك الصلاة عمداً كافر، وتارك الزكاة كافر، وتارك الحج كافر .

وهذا هو السر فى أن ترك الواجبات لم يذكر فى الروايات من جملة كبائر الذنوب ولعل جهة ذلك أن ارتكاب المحرمات ينشأ غالبا من غلبة الشهوة على الانسان ودفعه اياه نحو المعصية كما هو فى الزنا، أو ينشأ من سيطرة الغضب عليه ودفعه اياه نحو المعصية كما هو فى الظلم، والقذف، والقتل، واما فى ترك واجب كالصلاة فأنه لاتتدخل الشهوة ولا الغضب اطلاقا فى دفعه نحو ترك الصلاة، بل السبب منحصر فى استخفاف واستحقار الاوامر الدينية، وعلى ذلك دخل ترك الواجبات فى عنوان الكفر بالله، وحيث أن الاستخفاف بالدين واضح فى ترك الصلاة وأظهر من غيره لذا جاء فى الروايات أن تارك الصلاة خصوصا كافر، اذ ان ترك الزكاة والحج ينشأ احيانا من الحرص على المال، وترك الصوم يمكن أن ينشأ من شهوة البطن، اما فى ترك الصلاة فلا يوجد دافع لذلك سوى الاستخفاف بالدين .

روى عن الامام الصادق(ع) أنه سئل : ما بال الزانى لاتسميه كافراً وتارك الصلاة تسميه كافراً وما الحجة فى ذلك ؟

فقال(ع) : لأن الزانى وما أشبهه انما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه ، وتارك الصلاة لايتركها الا استخفافاً بها» الوسائل ـ الصلاة ـ باب ١١

ومن هذا الحديث يتضح أن ترك الواجبات اذا كان ناشئا من الاستخفاف بالدين كفر .

ورد عن رسول الله(ص) أنه قال : «ليس منى من استخف بصلاته ليس منى من شرب مسكراً، لايرد على الحوض لاوالله» الوسائل ـ الصلاة باب ٦

وعن الامام الصادق(ع) أنه قال حين حضرته الوفاة :

«لاتنال شفاعتنا من استخف بالصلاة» ـ فروع الكافى ـ

مغالطة بعض السخفاء :

حين يوعظ تاركوا الصلاة ويسئلون عن سبب ترك الصلاة يقول بعضهم ان الله غير محتاج لصلاتنا وصيامنا، والحقيقة أن هذا الجواب مغالطة شيطانية. فليس غنى الله تعالى هو السبب فى تركهم للصلاة بل السبب هو جهل هؤلاء الافراد بحقيقة الأمر وهم لايرون أنفسهم عبيدا محتاجين الى خالق العالم ومن هنا يقطعون رابطة العبودية معه، ولايرون أنفسهم غارقين فى نعمائه واحسانه ولذا يتركون الشكر، ولايؤدون وظيفة العبودية .

وبعبارة أخرى أن سبب ترك الصلاة هو قساوة القلب، والاستكبار، والترف المفرط ومقتضى العدل الالهى الذى يعنى وضع كل شىء فى موضعه المناسب هو أن يضع النفوس الغليظة التى هى أقسى من الحديد والحجارة فى العذاب، كماورد ذلك فى الآيات والروايات، وأن يضع النفوس الرقيقه اللينة الخاشعة لربها فى دارالسلام .

الوعيد بالعذاب فى القرآن المجيد :

ترك الصلاة من الذنوب التى جاء الوعيد عليها بالعذاب فى

القرآن المجيد كمافى سورة المدثر (فى جنات يتسائلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولـم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين» .

ويقول تعالى فى سورة القيامة «فلا صدق ولاصلى، ولكن كذب وتولى، ثم ذهب الى أهله يتمطى، أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى، ألم يعلم بأن الله يرى» .

وفى هذه الآيات عدة صفات من صفات منكرى المعاد والكفار :

١ـ عدم التصديق بالانبياء، وعدم الاعتراف بوحدانية الله.

٢ـ عدم أداء الصلاة، حيث أن أوضح علامة للأيمان هـى الصلاة، و تركها كفر .

٣ـ ينسبون الكذب للانبياء .

٤ـ يعرضون عن كلام الحق .

وبصدد تهديدهم والاخبار عن هلاكهم قال تعالى «أولـى لك فأولى» وذكر بعض المفسرين ان معنى ذلك ويل لك، وقد كررت هذه الكلمة أربع مرات تأكيداً أو اشارة الى المراتب الأربعة فى الهلاك، وهى الهلاك فى الدنيا، وعذاب القبر، وأهوال القيامة، والخلود فى العذاب .

ويقول تعالى فى سورة الماعون : «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون» .

والويل هو شدة العذاب، واسم لدركة من دركات جهنم، أو اسم لواد فيها، أو هو كلمة العذاب والتنوين فيها لبيان العظمة، ويقول تعالى فى سورة مريم :

«فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا» .

والغى هو وادفى جهنم عذابه أشد من عذاب باقى طبقات النار، حتى يستغيث منه أهل جهنم، وقد نقل عن ابن‌عباس أن فيه ثعبان طوله مسير ستين عاما وعرضه مسير ثلاثين عاما، ولم يفتح فمه منذ خلق الالتارك الصلاة وشارب الخمر. ويقول تعالى فى سورة الزمر «واقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشريكن» .

وفى هذه الاية اشارة الى أن تارك الصلاة هو بمنزلة المشرك .

والايات القرآنيه فى أهمية الصلاة كثيرة، يكفى منها ماتقدم،

خمس عشرة أثر دنيوي واخروى لترك الصلاة :

ورد عن رسول‌الله(ص) أنه قال :

«من تهاون بصلاته‌من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس‌عشرة خصلة، ست منها فى دار الدنيا وثلاث عند موته وثلاث فى قبره وثلاث يوم القيامة اذا خرج من قبره .

فأما اللواتى تصيبه فى دار الدنيا فالاولى يرفع الله البركة‌من من عمره ويرفع الله‌البركة من رزقه ويمحوالله عزوجل سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لايؤجر عليه ولا يرتفع دعاؤه الى السماء، والسادسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين .

وأما اللواتى تصيبه عند موته فأولهن أنه يموت ذليلاً والثانية يموت جائعاً والثالثة يموت عطشاناً فلو سقى من أنهار الدنيا لم يرو عطشه .

وأما اللواتى تصيبه فى قبره فأولهن يوكل الله به ملكاً يزعجه فى قبره، والثانية يضيق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة فى‌قبره.

وأما اللواتى تصيبه يوم القيامة اذا خرج من قبره فأولهن أن يوكل الله به‌ملكاً يسحبه على‌وجهه والخلائق ينظرون‌اليه، والثانية يحاسب

حساباً شديداً، والثالثة لاينظر الله اليه ولايزكيه وله عذاب أليم» ـفلاح السائل ـ

أهم الواجبات الالهية :

عن الامام الصادق(ع) أنه قال «أول مايحاسب به العبد الصلاة فأن قبلت قبل سائـر عمله وان ردت عليـه رد عليه سائـر عمله» بحار الانوار .

وقدسأل معاوية بن وهب الامام الصادق(ع) عن أفضل ما يتقرب به العباد الى الله فقال(ع) «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ألاترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم قال وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا» .

وسئل النبى(ص) عن أفضل الأعمال فقال(ص) «الصلاة لأول وقتها» ـفروع الكافى ـ وعن الامام الباقر(ع) قال «الصلاة عمود الدين مثلها كمثل عمود الفسطاط اذا ثبت العمود تثبت الاوتاد واذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتدولا طنب» بحار الانوار

وعن الامام الصادق(ع) فى قوله تعالى «ومـن يكفر بالايمان فقد حبط عمله» قال(ع) «من ذلك أن يترك الصلاة من غير سقم ولا شغل» ـبحار الانوار ـ

وعن الامام الباقر(ع) «بنى الاسلام علـى خمسة أشياء، على الصلاة والزكاة والحج والصيام والولاية»

قال زرارة فقلت : وأى شىء من ذلك أفضل ؟

فقال(ع) : الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالى هو الدليل عليهن .

قلت: ثم الذى يلى ذلك فى الفضل ؟

فقال : الصلاة، ان رسول‌الله(ص) قال : الصلاة عمود دينكم» ـ اصول الكافى ـ

وقال(ص) : «اذا كان يوم القيامة خرج من جهنم جنس من عقرب رأسه فى السماء السابعة وذنبه تحت الثرى وفمه من المشرق الى المغرب فيقول أين من حارب الله ورسوله؟ ثم ينزل جبرئيل فيقول ياعقرب من تريد؟ فيقول: أريد خمسة تارك الصلاة، ومانع الزكاة، وآكل الربا، وشارب الخمر، وقوماً يتحدثون فى المسجد حديث الدنيا» لئالى الاخبار. :

وقال(ص) أيضا :

«ان فى جهنم لوادياً يستغيث منه أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة، وفى ذلك الوادى بيت من نار، وفى ذلك البيت جب من نار، وفى ذلك الجب تابوت، وفى ذلك التابوت حية لها ألف رأس وفى كل رأس ألف فم وفى كل فم ألف ناب وفى كل ناب ألف ذراع قال أنس: قلت يارسول‌الله(ص) لمن يكون هذا العذاب؟ قال(ص): لشارب الخمر وتارك الصلاة» لئالى الاخبار .

والروايات الواردة فى شدة عقوبة تارك الصلاة كثيرة، نكتفى بما تقدم منها .

معونة تارك الصلاة :

الروايات الواردة فى شدة عقوبة المعين لتارك الصلاة عديدة منها ماورد عن رسول‌الله(ص) قوله :

«من أعان تارك الصلاة بلقمة أو كسرة فكأنما قتل سبعين نبيا

أولهم آدم وآخرهم محمد(ص)»(١) .

وقال(ص) :

«من أعان تارك الصلاة بشربة ماء فكأنما حارب وجادل معي و مع جميع الانبياء»(٢)

وقال(ص) :

«من تبسم في وجه تارك الصلاة فكأنما هدم البيت المعور سبع مرات»(٣)

والظاهر أن المراد بمثل هذه الاحاديث ماإذا كانت الأعانة و الاحسان الى تارك الصلاة سببا في جرأته على ترك الصلاة، ولاشك أن الاحسان الى العاصي متى ماكان سببا للجرأة، والاستمرار على المعصية حرام، يجب تركه من باب النهي عن المنكر، .

بناءا على ذلك اذا لم تكن معونة تارك الصلاة سبباً لجرأته على ترك الصلاة، بحيث أن المعونة وعدم المعونة لاأثر لهما في تركه للصلاة، فهذا المورد لايعلم أنه مشمول للروايات السابقة، بل أن الأعانة والاحسان قد تكون أحيانا سببا لتركه الذنب، وموجبة لادائة الصلاة، ولاشك أن الاعانة في هذه الصور أمر حسن، بل تصبح واجبة في بعض الموارد .

أقسام ترك الصلاة :

١ــ ترك الصلاة عموما من باب الانكار، أي أنه لايراها واجبة من عند الله، ولايرى لزوم الاتيان بها وحيث تقدم أن منكر الضرري كافر، وهو في الحقيقة منكرلله، ورسالة خاتم الانبياء، والقرآن المجيد،

١، ٢، ٣ــ لئالي الاخبار ــ الجزء ٤ الصفحة ٥١ .

فان مثل هذا الشخص مصيره العذاب الابدى ولاخلاص له منه .

٢ـ ترك الصلاة عموما لكن لامن جهة الانكار بل للأهمال وقلة الاعتناء بأمور الآخرة، والاشتغال بالشهوات والامور الدنيوية، وهذا القسم من ترك الصلاة يوجب الفسق، وارتكاب الذنب الكبير، وقد ذكرنا بعض الروايات والآيات الواردة فى شدة عقوبته .

ومثل هذا الشخص اذا فارق الدنيا وهو مؤمن فانه ينجو بعد أن يعذب بالعذاب الخاص لتارك الصلاة، الاأن فراق الدنيا مع الاحتفاظ بالايمان بالنسبة لهذا الشخص أمر بعيد ومشكل، ذلك أن القلب هو وعاء الايمان، والقلب يسود بسبب ارتكاب الذنوب ويقسو، وتدريجا يمحى منه نور الايمان اللهم الا اذا شمله الفضل الالهى ببركة محبة أهل البيت (ع) وأغاثه ساعة الموت بحيث يموت وهو مؤمن. كما أن من الممكن أن يخفف عذابه بسبب شفاعتهم عليهم السلام أو يزول عنه العذاب، الا أن ماورد عنهم (ع) هو أن شفاعتهم لاتنال المستخف بالصلاة والمضيع لها كما تقدم .

٣ـ ترك الصلاة أحيانا فهو نتيجة لضعف ايمانه وقلة مبالاته بأمور الآخرة يصلى احيانا ويترك أحيانا .

أو نتيجة عدم اهتمامه بأوقات الصلاة، وهذا القسم رغم أنه يختلف عن القسمين السابقين الا أن مثل هذا الشخص هو من المستخفين بالصلاة المضيعين لها ويشمله ماورد من الروايات فى هذا العنوان .

ومن جملة ذلك ماورد عن الامام الباقر (ع) عن رسول الله (ص) أنه قال :

«من صلى الصلاة لغير وقتها رفعت له سوداء مظلمة تقول ضيعتنى ضيعك الله كما ضيعتنى» .

الصلوات الخمس لوقتهن فاذا ضيعهن اجترءعليه فأدخله في العظائم» عن الصلاة فان زكت صلاته زكى سائر عمله وان لم يزك صلاته لم يزك سائر عمله» وسائل الشيعة . وايضا قال(ص) «لاتنال شفاعتي غداً من أخر الصلاة المفروضة بعد وقتها» وسائل الشيعة .

وقال(ص) «لايزال الشيطان هائبا لابن آدم ذعراً منه ماصلى الصلوات الخمس لوقتهن فاذا ضيعهن اجترءعليه فأدخله في العظائم» ـ وسائل الشيعة ـ

وورد عن الامام الباقر(ع) قوله «هذه الفريضة من صلاها لوقتها عارفاً بحقها لايؤثر عليها غيرها كتب الله له برائة لايعذبه، ومن صلاها لغير وقتها مؤثراً عليها غيرها فأن ذلك اليه ان شاء غفرله وان شاء عذبه» وسائل الشيعة ـ المواقيت .

التأكيد على الصلاة أول الوقت :

الروايات الواردة في لزوم المواظبة على أداء الصلاة في أول وقتها عديدة، وكثيراً ماوردت التوصية بذلك، وبعدم تأخيرها من دون عذر عن أول وقتها، وأئمتنا عليهم السلام لم يتركوا أداء الصلاة في أول وقتها حتى في أشد الحالات .

كما ورد في (ارشاد القلوب) :

«كان(ع) يوماً في حرب صفين مشتغلاً بالحرب والقتال وهو مع ذلك بين الصفين يرقب الشمس فقال له ابن عباس يا أمير المؤمنين ما هذا الفعل فقال(ع) أنظر الى الزوال حتى نصلي ،

فقال له ابن عباس : وهل هذا وقت صلاة ان عندنا لشغلاً بالقتال عن الصلاة .

فقال(ع) : على ما نقاتلهم؟ انما نقاتلهم على الصلاة» ارشاد

٤ـ ترك بعض واجبات الصلاة :

فهو يؤدى الصلاة لكن لاعلى وجهها الصحيح ومن دون مراعات شرائطها، ولايعتنى بذلك، مثل من يصلى فى لباس أو مكان مغصوب أو يصلى مع النجاسة، أو من دون قراءة، أو من دون ذكر واجب، أو يقرأ غلطا، من دون أن يتصدى لتصحيح قراءة، أو يقرأ ويذكر لكن مع فقد الاستقرار، وظاهر أن مثل الشخص هو من مضيعى الصلاة و المستخفين بها، ويشمله ماورد من الروايات فى ذلك .

عن الامام الباقر(ع) : بينا رسول الله(ص) جالس فى المسجد اذ دخل رجل فقام يصلى فلم يتم ركوعه ولاسجوده، فقال(ص) : نقر كنقر الغراب، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتن على غير دينى» الوسائل ـ الصلاة ـ باب ٨

وعنه(ص) : «أسرق السراق من سرق من صلاته .

قيل : يا رسول الله(ص) كيف يسرق من صلاته .

قال(ص) : لايتم ركوعها وسجودها» مستدرك الوسائل ـ

وقال(ص) «لاصلاة لمن لم يتم ركوعها وسجوها» ـ المستدرك ـ

وقال(ص) : «تكتب الصلاة على أربعة أسهم ـ الى أن قال ـ فاذا هو أتم ركوعها وسجودها وأتم سهامها صعدت الى السماء لها نور يتلألأ وفتحت لها أبواب السماء وتقول حافظت على حفظك الله وتقول الملائكة صلى الله على صاحب هذه الصلاة، واذا لم يتم سهامها صعدت ولها ظلمة وغلق أبواب السماء دونها وتقول ضيعتنى ضيعك الله وضرب بها وجهه» المستدرك

وقال(ص) أيضا: «لكل شىء وجه ووجه دينكم الصلاة فلايشينن

أحدكم وجه دينكم» المستدرك ـ

والروايات فى هذا الباب عديدة، ومن أجل التداليل على أن من يترك جزءاً واجبا من اجزاء الصلاة عمداً هو كتارك الصلاة نكتفى بهذا المقدار .

شرائط أخرى لقبول الصلاة :

من يؤدى الصلاة صحيحة يسقط عنه التكليف ولايعد تاركا للصلاة، ولاعقاب عليه، الاأن قبولها فى ساحة الربوبية المقدسة، والوصول الى آثارها وثوابها العظيم له شرائط أخرى أهمها حضور القلب، بحيث لواستطاع المصلى أن يراعى شرائط القبول لوصل الى درجات ومقامات عالية لايوصله اليها أى عمل آخر .

نكتفى هنا بذكر بعض الروايات نأمل أن تكون نافعة: عن الامام الصادق(ع) قوله : «من صلى ركعتين يعلم مايقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنباً الا غفرله» الوسائل ـ أبواب افعال الصلاة باب ٣

وأيضا قال(ع) :

«انما لك من صلاتك ما أقبلت عليه منها، فأن أوهمها كلها أو غفل عن أدائها لفت فضرب بها وجه صاحبها» الوسائل ـ أفعال الصلاة

وعن أمير المؤمنين(ع) قوله «لايقوم أحدكم فى الصلاة متكاسلا ولا ناعسا ولايفكرن فى نفسه فانه بين يدى ربه عزوجل وانما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه» الوسائل .

وقال(ص) «ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة و القلب لاه» الوسائل ـ

وقال(ص) «لايقبل الله صلاة امرء لايحضر قلبه فيها مع

بدنه» المستدرك ـ وعن الامام الصادق(ع) قوله «اذا أحرمت للصلاة فأقبل عليها، فانك اذا أقبلت أقبل الله عليك، واذا أعرضت أعرض الله عنك، فربما لم يرفع من الصلاة الا الثلث أو الربع أو السدس على قدر اقبال المصلى على صلاته، لايعطى الله الغافل شيئا» ـ الوسائل ـ

يقول المرحوم النراقى فى معراج السعادة :

«الصلاة مركب الهى مؤلف من عدة أجزاء بعضها بمثابة الروح وبعضها بمثابة الاعضاء الرئيسية للبدن وبعضها بمنزلة سائر الاعضاء، وتوضيح هذا المطلب كما يلى :

ان الانسان ـ مثلا ـ المركب من أجزاء معينة لايكون موجوداً كاملا الا اذا اجتمع جزؤه الباطنى وهو الروح مع الاعضاء الحسية الداخلية والاعضاء الحسية الظاهرية وهذه الاعضاء مختلفة بعضها ضرورى بنحو يعدم الانسان بعدمه وتزول الحياة بفقده كالقلب و الكبد والرأس وأمثال ذلك، وبعض آخر لايعدم الانسان بعدمه ولكنه يصبح موجوداً ناقصا ويزول عنه الكمال كاليد والرجل والعين واللسان وأمثال ذلك، وبعض آخر بزواله يزول الحسن والجمال ويصبح الانسان قبيح المنظر، مثل الحاجب والهدب واللحية والأذن، وبعض آخر يزول بزواله كمال الحسن مثل سعة العين وسواد الشعر، واحمرار اللون ونحو ذلك .

والصلاة هكذا، فهى حقيقة مركبة صورتها الشريعة المقدسة من أمور مختلفة، وأمرتنا بالاتيان بها، روحها نية القرب الى الله والاخلاص، وحضور القلب، واركانها وهى تكبيرة الاحرام والركوع والسجود والتشهد والقيام بمنزلة الاعضاء الرئيسية التى تفوت الصلاة بتركها، وسائر الاعمال كالقراءة والذكر فى الركوع والسجود والتشهد والطمانينة من الواجبات التى تبطل الصلاة بتركها عمدا،

هى بمنزلة اليد والرجل والعين واللسان وامثال ذلك، التى قديتلف الانسان بتلفها أحيانا وقد لايتلف، وأعمالها المستحبة مثل القنوت والتكبيرات والاذكار المستحبة هى بمنزلة الحاجب والهدب وسواد الحدقة التى بفوات بعضها يزول الحسن والجمال، وفوات بعضها يزول به كمال الحسن...».

يعرف من هذا البيان أن حضور القلب وسائر شروط القبول هى بمنزلة روح الصلاة فالصلاة التى تخلو منها كالبدن الذى يخلو من الروح، وكما أن البدن بلا روح خال من آثار الحياة وخواصها كذلك الصلاة بلا حضور قلب يحرم صاحبها من آثار الصلاة وخواصها، مثال ذلك أن من جملة خواص الصلاة حسب نص القرآن المجيد انها تنهى عن الفحشاء والمنكر فلو صدر من المصلين ذنب يعلم منه أن صلاته مجرد صورة خالية من الروح.

ماذا يعنى حضور القلب ؟

معنى اقبال القلب أن يتوجه ويلتفت لما يقول وما يعمل، و يتذكر عظمة الله وأنه ليس كسائر المخاطبين، ويتحقق فى قلبه هيبة وخوف من عظمته تعالى وشعور بالتقصير فى حق العبودية، و تملكه حالة الحياء والخجل نتيجة التقصير والاخطاء ويكون مؤملاً لما يعرف من سعة رحمته وفضله وكرمه اللامتناهى، والخلاصة أن تكون لديه حالة الخوف والرجاء.

وحضور القلب له درجات ومراتب، أعلاها ما كان عند أمير المؤمنين (ع) حتى كانت السهام تخرج من بدنه وهو لايشعر. ففى معركة صفين أصيب عليه السلام بسهم فى فخذه وكلما حاولوا اخراجه منه ما استطاعوا لشدة أذاه، فسألوا الامام الحسن (ع) فقال اصبروا حتى

يدخل صلاته، فلما صلى عليه السلام آخرجوه منه، فلما أنهى(ع) صلاته انتبه الى دم يجرى من رجله المباركة فسأل فقالوا اخرجنا السهم حال الصلاة .

ونقل فى سفينة البحار فى الحديث عن عبادة عبادبن بشرقال:

«أن النبى(ص) قصد قوماً من أهل الكتاب قبل دخولهم فى الذمة فظفر منهم بأمرأة قريبة العرس بزوجها وعاد من سفره فبات فى طريقه، وأشار الى عماراابن ياسر وعبادبن بشر أن يحرساه فأقتسما الليل فكان لعبادبن بشر النصف الاول ولعماربن ياسر النصف الثانى ونام عماربن ياسروقام عبادبن بشر يصلى وقد تبعهم اليهودى يطلب امرأته ويغتنم اهمالهما من التحفظ فيفتك بالنبى(ص) فنظر اليهودى الى عبادبن بشر يصلى فى موضع العبور فلم يعلم فى ظلام الليل هل هو شجرة أو أكمة أو دابة أو انسان فرماه بسهم فأثبته فيه فلم يقطع عبادبن بشر الصلاة فرماه بآخر فأثبته فيه فلم يقطع الصلاة فرماه بآخر فخفف الصلاة وأيقظ عماربن ياسر فرأى السهم فى جسده فعاتبه وقال هلا أيقظتنى فى أول سهم؟ فقال : كنت قد بدأت بسورة الكهف فكرهت أن أقطعها ولولا خوفى أن يأتى العدو على نفسى ويصل الى رسول الله(ص) وأكون قد ضيعت ثغراً من ثغور المسلمين ما خففت من صلاتى ولو آتى على نفسى فدفعا العدو عما أراده» المجلد ٢ / ١٤٤

وجدير بالمصلى أن يكون فى حالة الخضوع والوقار والسكينة ومتى دخل الصلاة يصليها كأنها آخر صلاة له فى عمره ويودعها، ويتوب ويستغفر من جديد، ويكون صادقا فى قوله، حين يقول مثلا «اياك نعبد واياك نستعين» .

يجب أن يدفع الموانع :

ويجدر به أن يبتعد عن مكائد الشيطان، ويجتنب موانع قبول العبادة، والتى من جملتها العجب، وهو أن يرى الانسان عمله كبيراً وحسنا ويرى نفسه مستحقا للاكرام وللمقام .

ومن جملة موانع قبول الصلاة عدم أداء الزكاة والحقوق الواجبة، وهكذا الحسد والغرور والتكبر والغيبة وأكل الحرام، وشرب المسكرات، وللنساء خاصة النشوز وهو عدم اطاعة زوجها فهى موانع كبيرة عن قبول الصلاة .

بل أن مقتضى قوله تعالى «انما يتقبل الله من المتقين» أن صلاة الفاسق والعاصى غير مقبولة .

وجدير بالانسان أيضا أن يجتنب كلما يقلل أجر الصلاة وثوابها فلا يصلى فى حال الكسل والتثاقل لغلبة النوم أو الغفلة ، ولا يصلى مستعجلاً، ولا فى حال مدافعة البول والغائط والريح، ولا يشغل بصره بالنظر للسماء أو الى مكان آخر بل يقف بعين خاشعة كمن أطبق عينيه .

وأن يجتنب كل ما ينافى الخشوع .

ويجدر به أن يمارس ما يرفع درجته، ويزيد أجره، مثل استعمال العطر، ولبس الثياب النظيفة، والتختم بالعقيق، وتعديل الشعر، والاستياك وغير ذلك .

الصلاة الواجبة :

الصلاة الواجبة ست :

١ـ الصلاة فى الاوقات الخمسة، وهى سبعة عشر ركعة، الصبح ركعتان، والظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات،

والعشاء أربع ركعات.
٢ـ صلاة الايات، عند وقوع زلزلة، أو كسوف، أو خسوف، أو كل حدث سماوى أو أرضى يوجب خوف أكثر الناس، وهى ركعتان فى كل ركعة أربع ركوعات على تفصيل مذكور فى الرسائل العملية .
٣ـ صلاة الطواف، حيث يجب أداؤها فى الطواف الواجب خلف مقام ابراهيم(ع) .
٤ـ الصلاة الواجبة بنذر أو عهد أو يمين، أوالواجبة بالاجارة .
٥ـ الصلاة الفائتة على الاب (والام على الاحوط) المتوفى، فأنه يجب على الولد الاكبر قضاؤها عن الوالدين .
٦ـ صلاة الميت، حيث تجب لكل مسلم ميت بعد الغسل والتكفين، وهكذا الصلاة على جنازة أطفال المسلمين اذا بلغواست سنين .

* * *

ومتى مافات المكلف بعض الصلوات اليومية وجب عليه قضاؤها سواءا فاتته عمدا أو نسيانا أو كان نائما فى تمام الوقت، كما يجب قضاء الصلوات التى صلاها بدون طهارة أو نسى فيها ركنا من الاركان، أو ترك فيها بعض الاجزاء الواجبة .

اما الصلاة التى فاتته فى حال الجنون أو الاغماء فلا يجب عليه قضاؤها، وهكذا الصلاة التى فاتته فى حال كفره الأصلى، وهكذا الصلاة التى تفوت المرأة فى حال حيضها ونفاسها، أما الصلاة التى تفوت فى حال السكر فيجب قضاؤها .

واما الصلوات اليومية اذا فاتت فيجب قضاؤها بتفصيل مذكور فى الرسائل العملية .

يجب قضاء الصلاة الفائته :

لايجوز الأهمال فـى قضاء الصلاة الواجبة اذا فاتته، ويجب الوصية بما بقى فى ذمته من صلاة القضاء فيؤتى به بعد مماته، ومتى ما أوصى شخصاً بها وجب عليه أن يستأجر لأداءها من ثلث التركة .

وأما اذا لم يوصى بها أولم يكن له مال ليوصى، فانه يجب على أكبر الاولاد حينئذ قضاؤها عنه أو استئجار من يقضيها عنه، وان لم يكن له ولد أكبر لم يجب على باقى الورثة قضاؤها كما فى صورة عدم الوصية، لكن الأحوط للورثة أن يؤديها كل منهم حسب سهمه من الميراث أو يستأجرون من يؤديها .

وأما مسألة انتفاع الموتى بأعمال الخير التى يجب على الاحياء قضاؤها عنهم فقدورد ذلك فى الروايات المعتبرة عن أهل البيت (ع)، وفى الحقيقة أن هذا باب من أبواب الفضل الالهى لمن يموت وهو مؤمن.

ولايفوتنا القول أن هذه النيابة عن الموتى فائدتها فقط سقوط العذاب عنهم والوصول الى بعض مراتب الثواب، أما الاثار العظيمة للعبادات مثل الصلاة والصيام والحج، وطى مراتب القرب من خلال هذه العبادات فهى مشروطة بأداءها مباشرة، والاتيان بها من قبل الشخص نفسه، بل هذه الآثار تصبح من نصيب الشخص النائب، اذا أداها بقصد القربة، وبـالجملة لايجوز للعاقل التسامح فـى أداء الواجبات بخيال أنه سوف تقضى بعده وذلك أولا لأنه لايعلـم أنه سيكون له وارث شفيق يقضيها عنه بصورة صحيحـة بحيث تسقط التكليف، وثانياً أنه سيحرم من ثواب الأداء، وورد فى رواية أن أحد أصحاب رسول الله (ص) أوصى بأنفاق جميع مالديه من التمر فـى سبيل الله بعد مماته. فلما مـات تصدق عنه رسول الله (ص) بجميع ذلك التمر، وسقطت منه تمر ة واحدة فأخذها رسول الله (ص) وقال

لو تصدق بهذه التمرة أيام حياته لكان أفضل له» ـ الرواية ليست نصاً ـ

* * *

ولتأكيد هذا المطلب وهو انتفاع الموتى بعمل الاحياء توجد مؤيدات عديدة، ورؤى صادقة لاحد لها، وكمثل على ذلك نذكر هنا واحداً مما نقله المحقق النورى فى (دار السلام) قال :

حدثنى عمدة الفقهاء الكاملين.. الحاج ميرزا خليل الطهرانى عن والده رحمه الله أن رجلاً كان فى بلد طهران خادماً فى الحمام فى مسلخه، وكان لايصلى ولايصوم وجاء يوماً الى المعمار وقال: أريد أن أبنى حماماً فقال له المعمار: أنت بهذه الحالة من أين لك الدراهم؟ فقال له: خذ ماشئت، فبنى له حماماً معروفاً بأسمه وكان اسمه على طالب، قال والدى: كنت فى النجف الاشرف فرأيت فيما يراه النائم أن على طالب جاء الى النجف فى وادى السلام فتعجبت من ذلك وقلت له: ما جاء بك الى هذا المكان وأنت لاتصلى ولا تصوم ؟ فقال لى: ياهذا أنا مت فأخذونى بالاغلال ليأخذوا بى الى العذاب لكن جزى الله حاجى ملامحمد كرمانشاهى خير الجزاء، حيث انه استأجر نائباً للحج وهو فلان واستأجر فلان للصوم والصلاة ودفع عنى الزكاة والمظالم على يد فلان وفلان ولم يبق شيئاً على الا أداه فخلصنى من العذاب فجزاه الله عنى خير جزاء المحسنين، ففزعت من نومى وتعجبت من تلك الرؤيا، فتربصت مدة فجاء أناس من طهران فسئلت عن أحوال على طالب؟ فأخبرونى كما رأيت فى الرؤيا بأسماء الرجال وماجرى بعد موته فتعجبت من صدق تلك الرؤيا ومطابقتها للواقع» ح ٢ / ٢٤٤

(٣٧)

عدم دفع الزكاة

السابع والثلاثون من الكبائر المنصوصة منع الزكاة الواجبة كما ذكر فى صحيحة السيدعبدالعظيم عن الامام الجواد والامام الرضا والامام الكاظم والامام الصادق(ع)، وهو من الذنوب التى جاء الوعيد عليه بعذاب النار فى عدة مواضع من القرآن، كما استشهد الامام(ع) فى الصحيحة المذكورة بالاية ٣٣ من سورة التوبة وهى قوله تعالى «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون».

وقد رود فى الروايات أن المراد بالكنز فى هذه الآية الشريفة كل مال لم تدفع الحقوق الواجبة فيه .

وقال تعالى فى سورة آل عمران «ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير» ١٧٥ ـ ١٧٦

وقال فى تفسير (منهج الصادقين) :

ورد فى الحديث أن من أعطاه الله مالا، وبخل عن أداء زكاته، تمثل ماله يوم القيامة على صورة ثعبان كبير لم ينبت فى رأسه شعر

لشدة سمه وحدته وظهر تحت عينيه نقطتان سوداوتان، وهو من أشد الثعابين أذى، فيطوق به مانع الزكاة وتأخذ بطرفيها وجهه و فمه وتقول أنا مالك الذى فخرت بى على الآخرين .

وروى عن الامام الباقر(ع) قوله «مامن عبد منع من زكاة ماله شيئا الاجعل الله ذلك يوم القيامة ثعبانا من نار مطوقا فى عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة» . وسائل الشيعة ـ الزكاة

وعنه أنه قال: «مامن ذى رحم يأتى رحمه يسأله من فضل الله اياه فيبخل به عنده الا أخرج الله له من جهنم شجاعا يتلمز بلسانه حتى يطوقه» .

وعن الامام الصادق(ع) أنه قال:

«مامن ذى مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله الاحبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر، وسلط عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يحيد عنه، فأذا رأى أنه لايتخلص منه أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ثم يصير طوقاً فى عنقه، وذلك قول الله عزوجل «سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة» ومامن ذى مال ابـل أو بقرأو غنم يمنع زكاة ماله الاحبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه كل ذات ظلف بظلفها، و تنهشه كل ذات ناب بنابها، ومامن ذى مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاته الاطوقه الله عزوجل ريعة أرضه الـى سبع أرضين الى يوم القيامة» الوسائل ـ الزكاة ـ باب ٣

وعن الامام الباقر(ع) «ان الله قرن الزكاة بالصلاة فقال أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يقم الصلاة الوسائل ـ الزكاة ـ

وقال(ع) ايضا : بينما رسول الله(ص) فى المسجد اذ قال: قم

يا فلان، قم يافلان، قم يافلان، حتى أخرج خمسة نفر، فقال اخرجوا من مسجدنا لاتصلوا فيه وأنتم لاتزكون» الوسائل ـ الزكاة ـ باب ٣

وعن الامام الصادق(ع) «من منع الزكاة سأل الرجعة عندالموت وهو قول الله تعالى رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت» الوسائل ـ الزكاة ـ باب ٣

وعنه(ع) فى تفسير قوله تعالى «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» قال(ع) هو الرجل يدع ماله لاينفقه فى طاعة الله بخلا ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله او بمعصيته فان عمل فيه بطاعة الله رآه فى ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له وان كان عمل به فى معصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به فى معصية الله» الوسائل ـ الزكاة .

وقد نقل مضمون هذه الرواية عن الامام الباقر والصادق عليهما السلام كل من العياشى، والمفيد، والصدوق، والطبرسى فى كتبهم.

ثم قال(ع) قال رسول الله(ص) «ما محق الاسلام محق الشح شى» ثم قال ان لهذا الشح دبيبا كدبيب النمل وشعبا كشعب الشرك» الوسائل ـ الزكاة .

وعن أمير المؤمنين(ع) قوله «اذا منعوا الزكاة منعت الارض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها» سفينة البحار ج ١ / ٥٥١.

وعن رسول الله(ص) قوله «داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا ابواب البلايا بالدعاء وحصنوا اموالكم بالزكاة». الوسائل ـ الزكاة.

وعن الامام الصادق(ع) قوله «ان لله بقاعا تسمى المنتقمه، فاذا أعطى الله عبدا مالا لم يخرج حق الله منه سلط الله عليه بقعة من تلك البقاع فأتلف المال فيها ثم مات وتركها» الوسائل ـ الزكاة.

وجاء فى عدة روايات أن من يبخل فى انفاق ماله فى طريق

الخير يبتلى بما يدعو لصرف اضعافه فى طريق الشر، والروايات فى باب الزكاة عديدة، يكفى ذكر ماتقدم منها .

مانع الزكاة كافر :

ماتقدم فى عقوبة ترك الزكاة، واعتباره من الذنوب الكبيرة التى تستوجب الفسق، انما هو فى صورة ما اذا كان معتقدا بوجوبها، ومع ذلك يمتنع عن اداءها بخلا، أما اذا كان لايدفع الزكاة بسبب عدم اعتقاده بوجوبها فهو كافر نجس، لأن وجوب الزكاة هو كالصلاة من ضروريات دين الاسلام ومن أنكر واحدا من ضرويات الاسلام فهو خارج عن الاسلام .

وقد أشارت الى هذا المعنى من انكار وجوب الزكاة عدة روايات صرحت بكفر مانع الزكاة منها :

عن الامام الصادق (ع) «ان الله فرض للفقراء فى أموال الاغنياء فريضة لايحمدون الا بأدائها وهى الزكاة، بها حقنوا دمائهم وبها سموا مسلمين» . الوسائل ـ الزكاة .

ومعناه أن من لم يؤد الزكاة انكارا لوجوبها ليس مسلما، ولا حرمة لدمه .

وعنه (ع) أيضا «من منع قيراطا من الزكاة فليس بمؤمن ولامسلم وهو قول الله رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت» الوسائل .

وقال (ع) ايضا «من منع قيراطا من الزكاة فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا» الوسائل ـ الزكاة .

وقال (ع) أيضا «دمان فى الاسلام حلال من الله لايقضى فيهما أحد حتى يبعث الله قائم آل البيت، فاذا بعث الله قائما حكم فيهما بحكم الله، الزانى المحصن يرجمه، ومانع الزكاة يضرب عنقه»

الوسائل ـ الزكاة .

وقال(ع) أيضا «ماضاع مال فى بر ولابحر الا بمنع الزكاة واذا قام القائم أخذ مانع الزكاة فضرب عنقه» الوسائل ـ الزكاة .

وقال تعالى فى سورة فصلت «ويل للمشركين، الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرةهم كافرون» .

وعن رسول‌الله(ص) أنه قال «والذى نفس محمد بيده ماخان الله أحد شيئا من زكاة ماله الا مشرك بالله» المستدرك .

وقال(ص) «ياعلى كفر بالله العظيم من هذه الامة عشرة، القتات، والساحر، والديوث، وناكح المرأة حرامافى دبرها، وناكح البهيمة، ومن نكح ذات‌محرم منه، والساعى فى الفتنة، وبايع‌السلاح من أهل الحرب، ومانع الزكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحج» خصال الصدوق .

يعلم من هذه الروايات أن مانع الزكاة وهكذا تارك الصلاة، وتارك الحج اذا كان عن انكار فهو كافر، فكما هو محروم من بركات الاسلام فى الآخرة وهى النجاة من النار كذلك هوفى الدنيا محروم من‌الاحكام الظاهرية‌للاسلام‌وهى الطهارة،وجواز التناكح،والتوارث وامثال ذلك، ومتى ماكان ذلك لابسبب الانكار وانما بسبب البخل والأهمال فهو وان لم يحكم بكفره، بل يحكم باسلامه ظاهرا، الاأنه بحسب الحقيقة والباطن لديه مرتبة من مراتب الشرك والكفر، ولومات وهو مؤمن عذاب بعذاب شديد قدأوعدبه .

سبب وجوب الزكاة :

هناك حكمة فى وجوب الزكاة وسائر الصدقات الواجبة، قد أشير الى بعضها فى الروايات .

منها: امتحان الاثرياء ليعرف هل الله أعز اليهم وأحب من اموال الدنيا الفانية؟ وهل ايمانهم بالثواب والجزاء الالهى هو ايمان صادق أم لا؟ وهل هم صاقون فى ادعاء العبودية لله أم لا؟

ومنها: تنظيم أمر المعيشة للفقراء والمعوزين، كما يقول الامام الصادق(ع) : «انما وضعت الزكاة اختبارا للأغنياء، ومعونة للفقراء ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم مابقى مسلم فقيرا محتاجا واستغنى بما فرض الله له، وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله فى ماله وأقسم بالذى خلق الخلق وبسط الرزق أنه ماضاع مال فى بر ولا بحر الا بترك الزكاة» الوسائل ـ الزكاة

ومنها: تطهير النفس من رذيلة البخل وشفاؤها من هذا المرض المهلك كما قال تعالى لنبيه الاكرم(ص) «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» .

وقال تعالى فى سورة الحديد «ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون» السورة ٥٩ / الاية ٩

وعلاج البخل انما هو ببذل المال مراراً حتى يتعود على السخاء، وينجو من هذا المرض المهلك بالسعى فى أداء الصدقات مع مراعات آدابها .

الزكاة والصدقة تضاعف المال :

من الآثار الدنيوية للزكاة زيادة المال، بحيث لو أنفق المال فى سبيل الله، ومع توفر الشرائط المطلوبة، لتحقق الوعد الالهى الحتمى وهو حلول البركة فيه على خلاف الخيال الشيطانى للبخلاء حين يتصورون أنهم بأنفاق أموالهم سوف يفتقرون ويتركون الانفاق

بتأثير تلك الوساوس الشيطانية، مع أنه تعالى صرح فى القرآن «ويربى الصدقات» السورة ٢ / ٢٧٦.

بمعنى أنه تعالى يبارك فيها فى الدنيا، ويجازى عليها فى الآخرة، ويقول تعالى فى موضع آخر «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» السورة ٣٤ / ٣٩.

ويقول تعالى فى سورة الروم «وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون» (السورة ٣٠/ ٣٩ والمضاعفة المذكورة فى هذه الاية الشريفة تشمل البركة فى المال فى الدنيا، وزيادة الآجر والثواب فى الآخرة، ويؤيد هذا المطلب روايات كثيرة.

منها ماجاء فى خطبة الزهراء عليها السلام حول فدك حيث قالت: «فجعل الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء فى الرزق» بحار الانوار.

وروى عن أمير المؤمنين (ع) قوله:

«من بسط يده بالمعروف اذا وجده يخلف الله له ما أنفق فى الدنيا فيضاعف له فى أخرته» الكافى.

وقال (ع) «استنزلوا الرزق بالصدقه».

وفى كتاب (عدة الداعى) أن الامام الصادق (ع) قال لأبنه: يا بنى كم فضل ـ معك ـ من تلك النفقة؟ فقال: أربعون ديناراً.

قال (ع): أخرج فتصدق بها.

قال: انه لم يبق معى غيرها!

قال (ع): تصدق بها فأن الله تعالى يخلفها أما علمت أن لكل شيء مفتاحاً؟ ومفتاح الرزق الصدقة، فتصدق بها، ففعلت فمالبث أبو عبدالله (ع) الاعشرة أيام حتى جائه من موضع أربعة آلاف دينار»

وقال أمير المؤمنين (ع):

«اذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة» نهج البلاغة / القسم الثالث / ٢٥٨

وعن الامام الرضا(ع) أنه قال لمولى له هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال: لا والله.

فقال(ع) : فمن اين يخلف الله علينا» .

وعن الامام الصادق(ع) فى قوله تعالى «فهو يخلفه» قال: أفترى الله أخلف وعده؟

قلت : لا، قال: فمم قلت لاأدرى، لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه فى حله، لم ينفق درهما الا أخلف عليه» الكافى ـ الدعاء.

والايات والروايات حول هـذا الموضوع كثيرة نكتفى منها بهذا المقدار، وقد حكى المرحوم النورى فى كتاب (الكلمة الطيبة) أربعين حكاية حول مشاهدة بركة الصدقة والانفاق فى سبيل الله :

منها ماينقل عن العالم الربانى الآخوند ملافتحعلى نقلاً عن أحد أرحامه الثقات أنه قال: فى أحد سنين الغلاء كان لـى قطعة أرض زرعت فيها الشعير، وكانت اتفاقاً من أفضل المزارع عطاءاً وخضرة وقدحان وقت حصادها .

ولما كان الناس بمختلف طبقاتهم يشكون حالة الجوع والفاقة لم تسمح لى نفسى أن آخذ من نفعها، ولذلك فقد ذهبت الى المسجد وناديت : لقد منحت شعير تلك الارض بشرط أن لا يأخذ منه الا الفقير، وأن لايأخذ الفقير أكثر من قوت نفسه وعياله. ذهب الفقراء الى ذلك المكان وبدأوا يأخذون من الشعير يومياً فيأكلوه، ولم أكن مطلعاً على تفاصيل مايجرى فقد كنت قد غضضت بنظرى عن المزرعة ولم يكن لى طمع بها بعدئذ .

ولما بلغت سائر المزارع وقت الحصاد، وصار الناس فى رفاه،

وفرغت أنا من حصاد باقى مزارعى قلت للفلاحين الذين يباشرون عملية الحصاد اذهبوا الى تلك القطعة لعلنانتفع ممافيها من التبن والعلف، ولعل شيئاً بقى من سنابلها لـم يحصد بعد، وبالفعل فقد ذهبوا اليها وحصدوا مابقى فيها وبعد سحقه وتنظيفه كان الحاصل من الشعير ضعف الحاصل من سائر المزارع، فعلاوة على أن ماأخذه الفقراء من تلك المزرعة لم يؤثر فى كمية الشعير كان المحصول قد زاد وتضاعف، بينما كان من المحال عادة أن تبقى سنبلة واحدة منه، والأعجب من ذلك أنه حين حل فصل الخريف وكان من المتعارف، أن كل أرض زرعت تترك بعد حصادها مدة سنة خالية من الزرع أما هذه القطعة فقد بقيت كما هى من دون أن تحرث ومن دون أن تبذر الى أن دخل الربيع وارتفع عنها البرد رأينا تلك القطعة خضراء وزرعها أقوى وأكثر من سائر الزرع .

بقيت متحيراً حتى احتملت أننى قد اشتبهت فى مكانها، ولقد كان حاصلها بعد الحصاد أضعاف سائر المزارع «والله يضاعف لمن يشاء» .

وينقل عن المرحوم نفسه انه كان له بستان عنب مجاوراً للشارع العام للمارة، ولما وصلت عناقيد العنب أول مراتبها وبعد لم تنضج بعد أمر حارس البستان أن يترك القسم المتصل بالشارع من البستان ويضعه فى متناول العابرين، ومنذ ذلك الحين والى أن بلغ جميع العنب وقت اقتطافه كان المارة يأكلون من ذلك الجانب المطل على الشارع دون أن يتعرض لهم أحد ،

وفى آخر الخريف وحينما فرغوا من اقتطاف جميع عنب البستان وذهب الفلاحون الى ذلك القسم المطل على الشارع باحتمال وجود بعض ماخفى على العابرين من العنب، فلما اقتطعوه واذا هو أضعاف

عنب سائر جوانب البستان، فمضافاً الى أن أكل المارة منه لم ينقص من كميتة كان العنب أكثر .

ونقل أيضاً أنه سنوياً كان يجمع الحنطة وبعد تنظيفها وترتيبها ينقلها الى المنزل، وهناك يدفع زكاتها، يقول: فى سنة من السنين بعد تصفيتها وقبل نقلها الى المنزل تخيلت أن تأخير دفع الزكاة عن محلها أمر ليس حسناً، لذا دعوت الفقراء الذين أعرفهم، وعزلت حصتهم من أصل الزرع وقسمته بينهم، ثم نقلت الباقى الى المنزل، ووضع الى جانب الحنطة التى كانت موجودة هناك .

وبعد الحساب علم أن هذه الحنطة التى أعطى منها للفقراء لم تقل، بل كان مقدارها هو نفس مقدارها قبل دفع الزكاة منها .

كما ينقل فى الكتاب المزبور (دارالسلام) عن المرحوم الحاج مهدى سلطان آبادى أنه فى سنة من السنين بعد أن جمعنا الحنطة أكواماً، وفرغنا من كيلها، ودفعنا زكاتها، بقيت تلك الاكوام مدة شهر فى محلها، وأكلت منها الحيوانات والفئران، بعد ذلك كلناها مرة أخرى فوجدناها بنفس ماكانت عليه قبل دفع الزكاة، ولم يؤثر فى كميتها دفع الزكاة، ولا ما أتلفته الحيوانات منها .

أقسام الزكاة وموارد وجوبها ومقدارها :

الزكاة على قسمين واجبة ومستحبة، والزكاة الواجبة على قسمين زكاة المال وزكاة البدن (الفطرة) .

تتعلق الزكاة بتسعة أمور، الغلات الاربعة (الحنطة، الشعير، التمر، الزبيب) والانعام الثلاثة (الاغنام، البقر، الابل) والنقدين (الذهب والفضة) .

ونصاب الغلات الاربعة ٢٠٧ / ٨٤٧ كيلو غرام، فمتى مابلغت

الغلات هذا المقدار تعلقت بها الزكاة، ومقدار الزكاة هو العشر ان كانت تسقى من ماء المطر أو النهر أو بالسيح، ونصف العشر ان كانت تسقى بالدلو .

وأما نصاب الاغنام فهى خمسة نصب :

الاول : أربعين شاة، وزكاته رأس واحد، ومادام العدد لم يصل الى أربعين لازكاة فيه .

الثانى : مائة وواحد وعشرون وزكاته شاتان .

والثالث : مائتان وواحد، وزكاته ثلاثة شياه .

والرابع : ثلاثمائة وواحد وزكاته أربعة شياه .

والخامس : أربعمائة فما زاد على ذلك مائة مائة، وزكاته فى كل مائة شاة واحدة .

وأما البقر ففيه نصابان :

الاول : ثلاثون وفيها تبيع أو تبيعة، وهى مادخل فى السنة الثانية من البقر، وما قل عن ثلاثين لازكاة فيه .

والثانى : أربعون وفيها (مسنة) وهى مادخل فى السنة الثالثة من البقر .

وليس بعد أربعين زكاة حتى يبلغ العدد ستين، فاذا بلغ عددها ستين ففيها تبيعان، حيث يحسب ثلاثون ثلاثون، واذا بلغ العدد سبعين يحسب ثلاثون وأربعون فيدفع تبيع ومسنة، كلما صعد العدد أكثر يحسب ثلاثون ثلاثون أو اربعون اربعون، ويعطى زكاة ذلك .

وأما الابل ففيها اثناعشر نصابا :

الاول : خمس، وفيها شاة ولازكاة فى أقل من خمس .

الثانى : عشر، وفيها شاتان .

والثالث : خمس عشر، وفيها ثلاث شياه .

الرابع : عشرون ، وفيها أربع شياه .

الخامس : خمس وعشرون، وفيها خمس شياه .

السادس : ست وعشرون، وفيها(بنت مخاض)وهى مابلغ عمره سنتين من الأبل .

السابع : ست وثلاثون، وفيها (بنت‌لبون) وهى ما بلغ عمره ثلاث سنين من الابل .

الثامن : ست وأربعون، وفيها (حقة) وهى مابلغ عمره أربع سنوات من الأبل .

التاسع : احدى وستون، وفيها (جذعة) وهى مابلغ عمره خمس سنوات من الابل .

العاشر : ست وسبعون، وفيها بنتا لبون .

الحادى‌عشر : احدى وتسعون، وفيها حقتان .

الثانى‌عشر : مائة واحدى وعشرون فمازاد وزكاتها فى كل خمسين حقه، وفى كل اربعين بنت لبون .

نصاب النقدين :

للفضة المسكوكة نصابان :

الاول : مأتادرهم،وفيه خمس‌دراهم، فاذامضى‌على‌هذا المقدار من الفضة المسكوكة سنة كاملة، وكانت محفوظة من دون استعمال وجب فيها أداء الزكاة وهو خمس دراهم .

الثانى : كلما على النصاب الأول أربعين أربعين، ففى كل أربعين درهم بالغا مابلغ، وليس دون المأتين زكاة .

وللذهب نصابان :

الاول : عشرون مثقال شرعى، وكل مثقال ثمانية عشر حبة، و

تعادل خمسة عشر مثقالا متعارفا، ويجب فى هذا النصاب اذا مضى عليه سنة واحد من أربعين ويساوى تسع حبات .

الثانى : مازاد على عشرين مثقال أربعة أربعة، وفيه واحد من أربعين أيضا وان كانت الزيادة أقل من أربعة كانت زكاته تسع حبات لاأكثر .

* * *

هذا هو مجمل أحكام الزكاة، والتفاصيل موجودة فى الرسائل العملية على من كانت محل حاجته مراجعتها .

زكاة الفطرة :

من كان بالغا عاقلا غنيا ـ وهو من يملك بالفعل أو بالقوة ما يكفى مؤنة سنته ـ عند الغروب من ليلة عيدالفطر وجب عليه أن يدفع زكاة الفطرة عن نفسه وعن كل من يعول به حتى الطفل المرضع، والضيف. عن كل نفر صاع وهو مايقارب ثلاث كيلوات من الحنطة أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الأرز وأمثال ذلك، يدفعه للمستحق عينا أو قيمة .

* * *

ويجب أن يعلم أن من آثار زكاة الفطرة العاجلة السلامة من الموت فى تلك السنة (من الأجل المعلق لا الأجل المحتوم) .

عن الامام الصادق(ع) أنه قال لوكيله «اذهب فأعط من عيالى الفطرة أجمعهم ولاتدع أحدا فانك ان تركت منهم أحدا تخوفت عليه الفوت، قلت: وما الفوت؟

قال(ع) الموت» .

ومن آثارها قبول الصيام فى شهر رمضان، كما روى عن الامام الصادق(ع) قوله: «انمن تمام الصوم اعطاء الزكاة» .

مصرف الزكاة :

مصرف الزكاة خمس موارد :

الاول : الفقير، وهو من لايملك قوت سنته له ولعياله لابالفعل ولابالقوة، أوكان يملك بعض ذلك، اذن فمن كانتله صنعة، أوملك، أو رأس مال يستطيع أن يضمن مؤنة سنته له ولعياله ليس فقيرا .

الثانى : المسكين، وهو من كان أسوأ حالا من الفقير .

الثالث : العاملين فى جمع الزكاة بتكليف من الامام أو نائبه.

الرابع : المؤلفة قلوبهم، وهم ضعفاء الايمان من المسلمين، تدفع لهم الزكاة لتقوية ايمانهم وتثبيتهم .

الخامس : العبد المكاتب الذى لايستطيع أداء مال الكتابة .

السادس : المدين الذى لايستطيع الوفاء بدينه .

السابع : فى سبيل الله، وهو المنافع الدينية العامة مثل بناء وتعمير المساجد ومدارس العلوم الدينية وبناء الجسور، واصلاح ذات البين، والمساعدة على العبادات وغير ذلك .

الثامن : ابن السبيل وهو المسافر الذى افتقر، ولايستطيع الوصول الى مقصده بالاقتراض أو ببيع شىء حتى اذا لم يكن فقيرا فى وطنه الاصلى .

الزكاة المستحبة :

تستحب الزكاة فى سبعة أمور :

(١) مال التجارة .

(٢) انواع الحبوب كالأرز والحمص والعدس والماش وأمثال ذلك، نعم لازكاة فى الخضر والبقول كالباذنجان والخيار والبطيخ .

(٣) اناث الخيل .

(٤) مال الاجارة، كالدكان، والمنزل، والبستان، والحمام، و أمثال ذلك .

(٥) الحلى، وزكاتها اعارتها للمؤمنين .

(٦) المال المدفون أو الخفى الذى لايستطيع مالكه التصرف فيه، فبعد التمكن منه يستحب أداء زكاته لعام واحد .

(٧) متى ما تصرف فى النصاب فرارا من الزكاة الواجبة بأن يبيع قسما منه ـ مثلاـ قبل حلول السنة، فيستحب فى هذه الصورة أداء الزكاة اذا حال الحول .

سائر النفقات الواجبة :

أهم الواجبات الالهية بعد الزكاة الخمس الذى وضعه الله تعالى لمحمد(ص) وذريته بدل الزكاة المحرمة عليهم، ومن لم يدفع منه درهما أو أقل كان ظالما وغاصبا لحق آل محمد(ص) بل اذا كان يرى ذلك حلالا، وينكر وجوب الخمس كان من جملة الكافرين .

ووجوبه فى الجملة مورد اجماع المسلمين، وصريح القرآن المجيد، بل هو فى القرآن شرط الايمان كما قال تعالى «واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير». الانفال / ٤٢

وعن الامام الصادق(ع) : «ان الله حيث حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام، والخمس لنا فريضة، والكرامة لنا حلال» الكافى .

وعن الامام الباقر(ع) : «لايحل لأحد أن يشترى من الخمس شيئا حتى يصل الينا حقنا» ـ

وقال(ع) ايضا : «ان أشد مافيه الناس يوم القيامة أن يقوم صاحب الخمس فيقول يارب خمسى» الكافى .

توسعة الرزق ـ تطهير المال ـ ذخيرة الغد :

روى أن رجلاً من تجار فارس كتب الى الامام الرضا(ع) يسأله الأذن فى الخمس فكتب اليه عليه السلام :

«بسم الله الرحمن الرحيم ان الله واسع كريم، ضمن على العمل الثواب، وعلى الضيق الهم، لايحل مال الا من وجه أحله الله، ان الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا، وما نبذله و نشترى من اعراضنا ممن نخاف سطوته فلا تزووه عنا، ولا تحرموا أنفسكم دعانا ماقدرتم عليه، فأن اخراجه مفتاح رزقكم، وتمحيص ذنوبكم، وما تمهدون لأنفسكم ليوم فاقتكم، والمسلم من يفى لله بما عهد اليه، وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب والسلام»

وفى التوقيع المبارك للحجة (عج) لمحمد بن عثمان «لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحل من مالنا درهما قال أبو الحسن الاسدى فوقع فى نفسى ان ذلك فى جميع من استحل محرما فأى فضل للحجة(ع) فى ذلك، قال: فوالذى بعث محمد(ص) بالحق بشيرا لقد نظرت بعد ذلك فى التوقيع فوجدته قد انقلب الى مافى نفسى «لعنة الله والملائكة والناس اجمعين على من أكل من مالنا درهما

حراما» ـ اكمال الدين الصدوق ـ

موارد وجوب الخمس ومصرفه :

يجب الخمس فى سبعة أشياء :

(١) غنائم الحرب .

(٢) مايخرج بالغوص من البحر .

(٣) الكنز .

(٤) المعادن .

(٥) الزائد عن مؤنة السنة .

(٦) المال المختلط بالحرام ولا يعلم مقدار الحرام منه .

(٧) الارض المنتقلة من الذمى الى المسلم .

ولكل واحد من هذه الموارد شروط وأحكام مذكورة فى الرسائل العملية .

* * *

ويجب أن يقسم الخمس الى سهمين سهم السادة وسهم الأمام، أما سهم السادة فيدفع الى سيد فقير أو يتيم أو مسافر قد أنقطع به السفر، وأما سهم الامام فيدفع فى زماننا للمجتهد الجامع للشرائط من حيث أنه النائب العام للامام الحجة أو يصرفه فى موارد اذنه .

فى كتاب (الكلمة الطيبة) نقل الشيخ النورى أربعين حكاية فى بيان الآثار العظيمة للأحسان الى سلسة السادات الجليلة نكتفى بنقل واحدة منها :

جاء فى كتاب أربعين منتخب الدين، وكتاب فضائل شاذان، و كتاب تحفة الازهار ووسيلة المآل بأسانيد معتبرة عن ابراهيم بن مهران

أنه قال: كان لى فى الكوفة جارحسن المعاملة اسمه (ابوجعفر)، و كان كلما أقبل اليه رجل علوى يريد منه شيئاً أعطاه، فان كان لديه مال أخذ منه وان لم يكن لديه مال يقول لغلامه اكتب هذا مبلغ أخذه على بن أبى طالب(ع)، واستمر على هذه الحالة مدة طويلة حتى اصبح يوماً ما فقيراً ومضطراً وصار جليس الدار، فأخذ ينظر فى دفتره فكلما وجد أحداً مديناً له وكان حياً أرسل له شخصاً ليستلم منه المال، وان كان المدين ميتاً وليس لديه شيء شطب على اسمه .

فى يوم من تلك الايام بينما كان جالساً على باب داره ينظر فى دفتره مر عليه أحد النواصب وقال مستهزءاً ماذا صنع معك المدين الاكبر على بن أبى طالب؟ فاغتاض ابوجعفر لمقالة هذا الناصبى و نهض الى داخل الدار، فلما صار الليل رأى فى منامه رسول الله(ص) ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، فقال له رسول الله(ص) أين أبوك؟ فأجاب أمير المؤمنين(ع) وكان خلف رسول الله(ص) : ها أنا حاضر يارسول الله، فقال له رسول الله(ص) لماذا لاتعطى حق هذا الرجل؟ فقال(ع) : يارسول الله(ص) هذا حقه قد أحضرته .

فقال(ص) : اذن ادفعه له، فدفع له كيساً من صوف أبيض وقال هذا هو حقك!! ثم قال(ص) للرجل: خذه ولاترد كل من أتاك من أولاده ـ أولاد على(ع) ـ وطلب منك معروفاً، اذهب فلا فقر عليك بعد .

يقول الرجل : استيقظت من النوم و بيدى ذلك الكيس، فأيقظت زوجتى وقلت لها: اشعلى السراج فلما نظرت فى الكيس واذا فيه ألف أشرفى، فقالت لى زوجتى: يا رجل اتق الله، أظهرت الفقر لتخدع بعض التجار وتأخذ مالهم!!

فقلت : لا والله، ولكن الأمر كيت كيت .

ثم طلبت الدفتر الذى فيه الحسابات، فرأيت أن مادفعت فيه

بأسم علي بن أبي طالب لأولاده يبلغ ألف أشرفي لايزيد ولاينقص .

العيال واجبة النفقة :

من النفقات الواجبه النفقة على الزوجة الدائمة المطيعة، وهكذا نفقة الاولاد وأولاد الأولاد مهما نزلوا اذا كانوا بحاجة الى النفقة، وهكذا نفقة الاب والام، وأبوالاب، وأم الأم مهما علوا في صورة الحاجة، وفي صورة تمكن الشخص وقدرته، فيجب النفقة بالمقدار اللازم الذى بدونه يعتبر بنظر العرف قاطعاً للرحم، على تفصيل تقدم في قطع الرحم .

النفقات المستحبة :

النفقات المستحبة أنواع :

(١) الصدقة المستحبة .

والآيات الروايات متواترة في تأكيدها خصوصا في أوقات معينة مثل الجمعة، عرفة، شهر رمضان، وخصوصا على طوائف خاصة مثل الجيران، الأرحام .

والصدقه دواء للمرض وتدفع البلاء، وتنزل الرزق، وتزيد المال(١) وتدفع ميتة السوء، والحرق، والغرق، والجنون الى سبعين

١- روى عن الامام موسى جعفر(ع) أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح وكانت له زوجة صالحة، فقيل له في المنام لقد قدر عمرك كذا مقدار، وقدر ان يكون نصف عمرك في سعة ونصف عمرك في ضيق وأنت مخير بين أن يكون النصف الاول في يسر والثاني في عسر أم بالعكس .

فقال الرجل في الجواب : ان زوجتي الصالحة هي شريكتي في حياتي ويلزمني مشاورتها، فلما اصبح الصباح واستشار زوجته قالت له اجعل النصف الاول في يسر ←

باب من أبواب الشر، وكلما تصدق أكثر كان أثرها أكثر، ولاحد لقليلها حتى لوكان بمقدار تمرة واحدة .

(٢) الهدية .

وهى مايدفعه الشخص لأخيه المؤمن غنيا كان أو فقيرا، من أجل زيادة المودة بينهما، وان قصد بها القربة كانت من العبادات العظيمة.

روى عن أمير المؤمنين (ع) قوله «لئن أهدى لأخى المسلم هدية أحب الى من أن أتصدق بمثلها» .

(٣) الضيافة .

الاخبار فى فضل الضيافة كثيرة، وهى من أخلاق الانبياء وقد روى أن أمير المؤمنين (ع) لم يدخل عليه ضيف لسبعة أيام فبكى وقال أخشى أن الله قد حرمنى من لطفه (النص مترجم)

(٤) الحق المعلوم .

وهو مقدار من المال يعينه الشخص المسلم حسب قدرته، لكل يوم أو لكل اسبوع أو لكل شهر ويدفعه للمحتاج والأرحام، كما قال تعالى فى القرآن المجيد .

→

وعجل لك فى العافية لعل الله يرحمنا ويتم نعمته علينا.

وفى الليلة الثانية قيل لهذا الرجل فى المنام ماذا اخترت؟ فأجاب: جعلت النصف الاول من عمرى فى يسر!! فقالوا له : ليكن لك ذلك، فأقبلت عليه الدنيا من كل جانب، ولماكثرت عليه النعمة قالت لهزوجته : صل رحمك ، وأحسن لجارك، واجعل لأخيك سهماً من مالك، فقبل الرجل ولم يقصر فى بذل المال حتى انتهى النصف الاول من عمره فرأى فى المنام ذلك الشخص الذى رآه قبلاً يقول له: لأنك لم تقصر فى انفاق مالك فى سبيل الله، فقد شكر الله سعيك وجعل النصف الثانى من عمرك مثل النصف الاول فى يسر وسعة» *

* «الكلمة الطيبة» للشيخ النورى، والكتاب باللغة الفارسية ، والرواية المذكورة أعلاه مترجمة وليست عين النص العربى.

«والذين فى أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم» المعارج ـ ٢٤ .

(٥) حق الحصاد :

وهو مقدار من الزرع يعطيه الزارع قبضة قبضة للفقراء دون أن يحسبه زكاة كما قال تعالى «وآتوا حقه يوم حصاده» السورة ٦ ـ ١٤١

وهذان القسمان من أنواع الصدقة المستحبة لأهميتهما ذكر كل واحد منهما مستقلا .

(٦) القرض الحسن لمسلم محتاج .

عن الصادق (ع) «مكتوب على باب الجنة: الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر» ـ الوافى ـ

وفى رواية اخرى «ما من مؤمن أقرض مؤمنا يلتمس به وجه الله الا حسب الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع ماله اليه» ـ الوافى ـ

وعنه (ع) أيضا فى قوله عز وجل «ويمنعون الماعون» هو القرض يقرضه والمعروف يصطنعه ومتاع البيت يعيره ومنه الزكاة» يقول أبو بصير قلت له: ان لنا جيرانا اذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم؟ فقال : لا، ليس عليكم جناح أن تمنعوهم اذا كانوا كذلك» الكافى ـ الزكاة / باب ٧

(٧) امهال المدين أو ابراء ذمته :

عن الصادق (ع) «من أراد أن يظله الله يوم لا ظل الا ظله فلينظر معسراً أو يدع له من حقه» .

وعن رسول الله (ص) قوله «من أنظر معسرا كان له على الله فى كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه» .

وفى رواية قيل للصادق (ع) أن عبد الرحمن بن سبابة كان له دين على شخص، وقد مات ذلك الشخص، فقيل له اعفه فامتنع، فقال (ع)

«ويحه أما يعلم أن له بكل درهم عشرة اذا حلله، وان لم يحلله فأنما هو درهم بدرهم» .

(٨) دفع اللباس والمسكن للمحتاجين :

عن الصادق(ع) «من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقا على الله أن يكسوه من ثياب الجنة وأن يهون عليه من سكرات الموت وأن يوسع عليه في قبره وأن يلقى الملائكة اذا خرج من قبره بالبشرى» ـ الوافي ـ

وقال(ع) ايضا «من كسا أحداً من فقراء المسلمين ثوباً من عرى أو أعانه بشيء مما يقويه على معيشته وكل الله به سبعة آلاف ملك من الملائكة يستغفرون لكل ذنب عمله الى أن ينفخ الصور» ـ الوافي ـ .

(٩) بذل المال لحفظ كرامة الشخص ودفع الشر وظلم الظالمين عنه ،

وقد روى أن أفضل الأنفاق ماينفق لحفظ كرامته .

(١٠) الخيرات الجارية: وصرف المال في المنافع العامة مثل المساجد والمدارس والجسور ومحطات الطرق والحمامات، وحفر العيون، ونشر الكتب الدينية وامثال ذلك من الامور التي يبقى أثرها لسنين طويلة، وينال صاحبها الثواب المستمر .

نقل الشيخ النوري في (دار السلام) قال: حدثني الشيخ الأجل الاستاذ العلامة الرباني الشيخ عبدالحسين الطهراني رفع الله مقامه في الدارين قال : لما توفي الاميرزا نبي خان وهو من جملة خواص خدم السلطان محمدشاه القاجار، وكان متهتكاً في المعاصي والفجور متظاهراً بأنواعها وأقسامها لايشذ منها شيء وكاد أن يضرب بطغيانه وتظاهره المثل، رأيت في النوم كأني أتفرج في بساتين وعمارات

عالية وكأنها من الجنان ومعي من يعرفني أرباب تلك الدور والقصور، فبلغنا موضعاً، فقال: هذا للاميرزا نبي خان وان كنت تحب أن ترى شخصه فها هو قاعد هناك وأشار الى موضع فالتفت فاذا به وحده قاعد في بناء يسمى بالفارسية تالار (قاعة) فلما رآني أشار الى بالصعود اليه فذهبت عنده فقام وسلم علي وأجلسني صدر المجلس وجلس على عادته وهيئته في أيام حياته وكنت متفكراً في حاله ومكانه؟! فتفرس ذلك من وجهي وقال: يا شيخ كأنك تتعجب من مكاني ههنا وأعمالي التي كنت عاكفاً عليها في الحياة تقتضي العذاب الأليم! نعم الأمر كما ترى، ولكنه كان لي معدن ملح بأرض طالقان أرسل كل سنة وجه اجارتها منها الى النجف الاشرف ليصرف في اقامة عزاء أبي عبدالله الحسين (ع) وأوتيت هذا المكان والبستان عوضاً من هذا.

قال رحمه الله: فأنتبهت متعجباً وذكرت الرؤيا في مجلس البحث وكان حينئذ بطهران ولم أكن حاضراً عنده فقال بعض ولد العالم الفاضل المولى مطيع الطالقاني: هذه رؤيا صادقة وكان له معدن ملح هناك وكان وجه اجارته قريباً من مأة تومان يرسله الى النجف، وكان والدي هو القائم بمصارفه في العزاء والمصيبة.

قال الشيخ الاستاذ رحمه الله: وما سمعت قبلها بأنه كان له علقة بأرض طالقان ولا بسائر ماذكره لي في المنام والحمد لله الكريم الوهاب» حـ ٢ ـ ٢٣٣.

يقول الامام الصادق (ع): «ليس يتبع الرجل بعد موته الا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجرى بعد موته، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته أو ولد صالح يدعوله» ـ الكافي ـ

(٣٨)

الاستخفاف بالحج

الثامن والثلاثون من الذنوب الكبيرة المنصوصة هو (الاستخفاف بالحج) وعدم الاهتمام به، كما ورد التصريح بذلك في رواية الاعمش عن الامام الصادق (ع)، ورواية الفضل بن شاذان عن الامام الرضا (ع) وحيث أن وجوب الحج مثل وجوب الصلاة من ضروريات الاسلام، كان تارك الحج من جهة الانكار كافرا ظاهرا وباطنا، وأما اذا تركه وهو معتقد بوجوبه ولكن تركه تسامحا واهمالا وانشغالا بأمور الدنيا، فأن هذا الاستخفاف العملي بمثل هذا الواجب الالهي العظيم رغم ماورد فيه من التأكيد هو من كبائر الذنوب .

تأخير الحج عن عام الاستطاعة حرام :

ليس فقط ترك الحج كاملا هو من الذنوب الكبيرة، بل أن تأخير الحج عن سنة الاستطاعة ذنب كبير ايضا حتى وان حج في السنة الآتية ذلك أن الحج واجب فوري، فمن كان مستطيعا في موسم الحج وجب عليه الحج في تلك السنة ويحرم عليه التأخير .

ذكر المحقق في الشرائع أن تأخير الحج عن عام الاستطاعة ذنب كبير مهلك، وذكر الشهيد الثاني في المسالك أنه لاخلاف بين علماء الشيعة في هذه المسألة، والأدلة من الكتاب والسنة على أن تأخير

الحج عن سنة الاستطاعة ذنب كبير كثيرة .

وواضح أن تأخير الحج هو نوع استخفاف عملى به .

ويكفى فى اثبات أنه ذنب كبير أن الله تعالى عبر فى القرآن المجيد عن ترك الحج بالكفر، وكما ان الكفر والشرك لايغتفر فكذلك ترك الحج .

قال تعالى فى سورة آل‌عمران «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين» .

وعن الامام الصادق(ع) «من كفر يعنى من ترك» .

وعن الامام الكاظم(ع) قوله «ان الله فرض الحج على أهل الجدة فى كل عام وذلك قوله عزوجل «ولله على الناس..» قال: قلت فمن لم يحج منا فقد كفر؟ قال(ع) «لا، ولكن من قال ليس هذا هكذا فقد كفر» .

وعن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لايطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فيمت يهوديا أو نصرانيا» .

وفى حيدث آخر «من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا» .

قال المحدث الفيض فى (الوافى) : «تجحف به أى تفقره أو تدنو منه وتقاربه وانما يموت يهودياً أو نصرانياً لأنه لو اعتقدها لأتى بها مع عدم المانع والاستطاعة وتوقع الفوت بالموت»

وروى اسحاق بن عمار قال: سألت اباعبدالله(ع) عن رجل له مال ولم يحج قط، قال(ع): هو ممن قال الله تعالى ونحشره يوم القيامة أعمى، قال : قلت سبحان الله أعمى؟ قال(ع): أعماه الله عن

طريق الجنة» وفى رواية أخرى «أعماه عن طريق الحق» .

وروى محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن (موسى بن جعفر) (ع) عن قول الله تعالى «من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا» فقال (ع) : نزل فيمن سوف الحج حجة الاسلام وعنده مايحج به فقال العام أحج ....

الآيات التى فسرف بتارك الحج :

قال تعالى فى سورة المنافقين «وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين، ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون» سورة المنافقون / الاية ١٠ ـ ١١

وعن الامام موسى بن جعفر (ع) أنه قال :

«وأكن من الصالحين يعنى أحج» ـ الفقيه ـ

وعن الامام موسى بن جعفر (ع) أيضا فى قوله تعالى «قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» قال (ع) «انهم الـذين يتسامحون عن الحج ويسوفونه».

والروايات الواردة فى أن تأخير الحج ذنب كبير كثيرة نكتفى بهذا المقدار .

الآثار الدنيوية لترك الحج :

يجب أن يعلم أن لترك الحج عدة آثار دنيوية وردت الاشاره اليها فى الاخبار .

من جملتها عدم الوصول الى مامن أجله أخر الحج، فقد ورد

عن الأمام الباقر(ع) «مامن عبد يؤثر على الحج حاجة من حوائج الدنيا الا نظر الى المحلقين قد انصرفوا قبل ان تقضى له تلك الحاجة» ـ الفقيه ـ

ومن جملتها أن ترك الحج يوجب الفقر كما ورد عن رسول الله(ص) فى خطبة الغدير «معاشر الناس حجوا البيت فما ورده أهل بيت الا استغنوا ولا تخلفوا عنه الا افتقروا» ـ الاحتجاج ـ

وعلى ذلك فان الحج سبب للغنى، كما قال(ص): «معاشر الناس، الحاج معانون ونفقاتهم مختلفة، والله لايضيع أجر المحسنين» ـ الاحتجاج. ـ

وعن الامام الباقر(ع) قوله :

«ثلاثة مع ثوابهن فى الآخرة الحج ينفى الفقر والصدقة تدفع البلية، والبر يزيد فى العمر» ـ المستدرك ـ

«لو ترك الناس الحج لما نوظروا العذاب» أو قال «أنزل عليهم العذاب».

وروى سماعة عن الامام الصادق(ع) قال :

قال لى : مالك لاتحج فى العام ؟

فقلت : معاملة كانت بينى وبين قوم واشتغال، وعسى أن يكون ذلك خيرة .

فقال : لا والله، مافعل الله لك فى ذلك من خيرة، ثم قال: ماحبس عبد عن هذا البيت الا بذنب وما يعفو أكثر.» الوسائل / الحج / باب ٤٧

وروى اسحاق بن عمار قال : قلت لأبى عبدالله(ع) أن رجلا استشارنى فى الحج وكان ضعيف الحال فأشرت عليه أن لايحج، فقال(ع) :

«ما أخلقك أن تمرض سنة، قال : فمرضت سنة» ـ الكافى ـ

يعلم من هذا الحديث أنه لاينبغى لشخص أن يصد من قصد عملا صالحا خصوصا الحج، فأن فعل مثل ذلك فهو ممن صد عن سبيل الله، بل اللازم عكس ذلك، وهو أن يشوق الآخرين للاسراع فى الخير، حتى لايفوتهم وهكذا لاينبغى له أن يصرف الغير عن الخير الذى قصده ويوجهه الى خير آخر هـو بحسب نظره أفضل منه، اذ لعله يترك الخير الذى قصده ثم لايوفق للخير الآخر، أما اذا شوقه الى الخير، ودعاه للاسراع فيه فهو من جملة الآمرين بالمعروف .

عن الامام الصادق(ع) :

«ليحذر أحدكم أن يعوق أخاه عن الحج فتصيبه فتنة فى دنياه مع مايدخر له فى الآخرة» ـ الوافى ـ

فضيلة الحج :

كما أن فى ترك الحج عقوبات شديدة ، فأن فى اداء الحج ثواب عظيم، وفضل كثير، وآثار دنيوية وأخروية، وردت الاشارة اليها فى الروايات ، وفيما يلى نذكر بعضها :

روى عن رسول الله(ص) أنه قال :

«للحاج والمعتمر احدى ثلاث خصال :

اما أن يقال له : قد غفر لك مامضى ومابقى .

واما يقال له : قد غفر لك مامضى فاستأنف العمل ،

واما يقال له : قد حفظت فى أهلك و ولـدك وهـى أخسهن»

الوسائل ـ الحج ـ باب ٣٨.

وعن أبى عبدالله(ع) : سأله رجل فى المسجد الحرام من أعظم الناس وزرا ؟

فقال(ع) : من يقف بهذين الموقفين عرفة ومزدلفة وسعى بين

هذين الجبلين، ثم طاف بهذا البيت، وصلى خلف مقام ابراهيم ثم قال فى نفسه أو ظن أن الله لم يغفرله فهو من أعظم الناس وزرا» ـالوافىـ

وعن الامام الصادق(ع) عن آبائه :

أن رسول الله(ص) لقيه أعرابى فقال له : يارسول الله(ص) انى خرجت أريد الحج ففانتنى وأنا رجل مميل فمرنى أن اصنع فى مالى ما أبلغ به مثل أجر الحاج قال فالتفت اليه رسول الله(ص) فقال له أنظر الى أبى قبيس فلو أن أبا قبيس لك ذهبة حمراء أنفقته فى سبيل الله مابلغت به مابلغ الحاج، ثم قال ان الحاج اذا أخذ فى جهازه لم يرفع شيئا ولم يضعه الاكتب الله له عشر حسنات، ومحى عن عشر سيئات ورفع له عشر درجات فاذا ركب بعيره لم يرفع خفا ولم يضعه الاكتب الله له مثل ذلك فاذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه فاذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه فاذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه فاذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه فاذا رمى الجمار خرج من ذنوبه قال فعدد رسول الله(ص)، كذا وكذا موقفا اذا وقفها الحاج خرج من ذنوبه ثم قال :

أنى لك أن تبلغ مايبلغ الحاج ؟

قال ابوعبدالله(ع) ولاتكتب عليه الذنوب أربعة أشهر وتكتب له الحسنات الا أن يأتى بكبيرة» الوسائل ـالحجـ باب ٤٢

وقد ذكر المحدث الفيض فى شرح هذا الحديث أن للذنوب أنواعاً مختلفة من التأثير وتسويد القلب، ولها مراتب من حيث الصغر والكبر، ولعل المراد من الحديث الشريف هو أن الحاج يمحى عنه فى كل موقف نوع من تلك الذنوب، أوأنه يطهر من مرتبة من مراتبها الى أن يطهر منها جميعا، بل فى بعض الروايات أن بعض الذنوب لاتمحى

الا بالوقوف فى عرفات يوم عرفة»(١).

وقال(ع) أيضا «الحاج والمعتمر وفد الله ان سألوه أعطاهم ، وان دعوه أجابهم وان شفعوا شفعهم، وان سكتوا ابتدأهم، ويعوضون بالدرهم الف الف درهم»

وايضا قال(ع) «ان الحاج اذا دخل مكة وكل الله بـه ملكين يحفظان عليه طوافه وصلاته وسعيه فاذا وقف بعرفة ضربا منكبه الأيمن ثم قالا أما مامضى فقد كفيته فأنظر كيف تكون فيما يستقبل» ـالوافىـ

والاخبار الواردة فى فضل الحج كثيرة نكتفى بذكر هذا المقدار.

شرائط وجوب الحج :

الاول : البلوغ، وبناءا عليه فلو حج الطفل قبل البلوغ فان حجه وان دعوه أجابهم وان شفعوا شفعهم، وان سكتوا ابتدأهم، ويعوضون عنه، فمتى ما اجتمعت لديه الشروط بعد البلوغ وجب عليه الحج .

الثانى : العقل .

الثالث : الحرية .

١ـ للذنوب أنواع مختلفة، فمنها مالية، ومنها قلبية، ومنها بدنية، والبدنية على نوعين قـولية وفعليه، والفعلية على أنواع تبعا لأدواتها التى ترتكب بها ولكل نوع تأثير خاص، فبعضها توجب نزول البلاء ، وبعضها تمنع استجابة الدعاء ونزول المطر، وبعضها تحبس الرزق، وبعضها تعجل الفناء، وقد أشير الى ذلك فى دعاء كميل.

وكما أن لكل مرض دواء مخصوص لايتحقق الغرض الا به، كذلك فى علاج الذنوب فان كل واحد من أعمال الحج له أثر فى التكفير عن بعض الذنوب، الأمر الذى لايعلمه الا الله تعالى، ولعل المراد من الذنوب التى يعفى عنها فى عرفات الكبر والقساوة، أو الوقوف فى مجالس المعصيه أو أمثال ذلك .

الرابع : أن لايوقعه الحج فى عسر، أو يضطره لارتكاب حرام، أو ترك عمل واجب .

الخامس : الاستطاعة .

شرائط الاستطاعة :

تتحقق الاستطاعة باجتماع عدة أمور :

الاول : توفر الزاد والراحلة للذهاب والأياب، أو توفر المال الذى يكفى لتوفير الزاد والراحله المناسبين بشأنه .

الثانى : سلامة المزاج بحيث يتمكن من الذهاب والأياب .

الثالث : عدم وجود المانع من الذهاب للحج، فلو خاف على نفسه فى الطريق أو على حرمته، لم يجب عليه الحج .

الرابع : سعة الوقت .

الخامس: التمكن من تأمين نفقة العائلة مدة كالزوجة والاولاد أم لا كألاخ الصغير أو الاخ الكبير الفقير، وهكذا اليتيم الذى تكفل بأعالته، وهكذا الخادم والخادمة .

السادس : عدم الوقوع فى ضيق ومشقة فى معيشته بعد العودة من الحج، بأن يكون لديه ما يتكسب به، أو عوائد الاملاك، أو طريق آخر يؤمن به معيشة نفسه وعائلته .

* * *

ويجب أن يعلم أن الحج الواجب هو مرة واحدة فى العمر لاأكثر، ويستحب له بعد ذلك أداء الحج فى كل عام .

ويجب عليه بتوفر الشروط السابقة أن يحج فى ذلك العام، و يحرم عليه التأخير للسنة الآتية، وهو من الذنوب الكبيرة كما تقدم،

ولوتسامح فى أدائه فى السنة الاولى وجب عليه اداؤه فـى السنة الثانية وان لم يكن مستطيعا، وكان يوقعه فى حرج ومشقة، ولو استطاع فى السنين الآتيةولكنه ابتلى بمرض يمنعه من الحج، ويأس من الشفاء وجب عليه الاستنابة لأداء الحج، ولزمه أن يدفع نفقات الأجير، كما أنه لولم يستنيب أجيراً الى أن مات لزوم أخراج نفقات الحج من أصل ماله، ثم استئجار من يحج عنه، سواءأ أرضى بذلك أم لا، وسواءا يبقى من أمواله للورثة شيء أم لا، حتى لوكان الوارث صغيرا، وذلك أن نيابة الحج واجبة على الميت لسائر الديون المالية التى تقدم على الميراث، بحيث يجب أولا دفع الديون، وبعدئذ لو بقى شيء من التركة يقسم على الورثة .

وفى صورة مالو أوصى الميت بالحج، حسبت نفقات الحج من ثلث ماله .

تستجب الاستنابة للحى والميت :

كما فى رواية محمد بن عيسى اليقطينى حيث قال: وعن عبدالله بن سنان قال كنت عندأبى عبدالله(ع) اذ دخل عليه رجل فأعطاه ثلاثين ديناراً يحج بها عن اسماعيل ولم يترك شيئاً من العمرة والحج الا اشترط عليه ثم قال(ع) ياهذا ان أنت فعلت هذا كان لاسماعيل حجة بما أنفق من ماله ولك تسع بما أتعبت من بدنك» ـالوسائل ـ

المتقى هو الذى ينوب عن الامام :

فى (الكافى) عن موسى بن القاسم قال «قلت لأبى جعفر الثانى(ع) ـالامام الجوادـ قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك فقيل لى: ان الاوصياء لايطاف عنهم، فقال: بلى طف ما أمكنك، فان ذلك جائز،

ثم قلت له بعد ذلك بثلاث سنين انى كنت استأذنتك فى الطواف عنك وعن أبيك، فأذنت لى فى ذلك فطفت عنكما ماشاء الله ثم وقع فى قلبى شيء فعملت به، قال: وماهو؟ قلت: طفت يوماً عن رسول الله (ص) فقال ثلاث مرات: صلى الله على رسول الله، ثم اليوم الثانى عن أمير المؤمنين (ع) ثم طفت اليوم الثالث عن الحسن (ع) والرابع عن الحسين (ع) والخامس عن على بن الحسين، واليوم السادس عن أبى جعفر بن محمد بن على الباقر (ع) واليوم السابع عن جعفر بن محمد (ع) واليوم الثامن عن أبيك موسى (ع) واليوم التاسع عن أبيك على (ع) واليوم العاشر عنك ياسيدى، وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم، فقال: اذاً والله تدين الله بالدين الذى لايقبل من العباد غيره، فقلت، وربما طفت عن أمك فاطمة عليها السلام وربما لم أطف فقال: استكثر من هذا فأنه أفضل ما أنت عامله ان شاء الله» الوسائل ـ الحج ـ باب ٢٦

أسرار وجوب الحج :

ورد فى عدة روايات عن أهل البيت (ع) الاشارة الى أسرار وجوب الحج، والحكمة فى مناسكه، من جملتها ماجاء فى وسائل الشيعة عن الامام الرضا (ع) قال :

«انما أمروا بالحج لعلة الوفادة الى الله، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل مع ما فيه من اخراج الأموال، وتعب الابدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذات شاخصاً فى الحر والبرد ثابتاً على ذلك دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلل، مع مافى ذلك لجميع الخلق من المنافع لجميع من فى شرق الارض وغربها ومن فى البر والبحر ممن يحج وممن لم

يحج، من بين تاجر وجالب وبائع ومشترى وكاسب ومسكن ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الاطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الائمة (ع) الى كل صقع وناحية..»
الوسائل ـ كتاب الحج ـ حديث ـ ١٥

العبودية لله ـ التشبه بالملائكة ـ :

قال أمير المؤمنين (ع) في (نهج البلاغة) :

«وفرض حج بيته الحرام، الذى جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون اليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، واذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا اليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف انبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الارباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للاسلام علماً، وللعائذين حرماً، فرض حقه، وأوجب حجه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً، ومن كفر فأن الله غنى عن العالمين» النهج / خطبة / ٢

وقد عرض المحقق النراقى فى (معراج السعادة) الاسرار الباطنيه والمعنوية للحج بعبارات جميلة، ومضامين رائعة ننقل فيما يلى بعضها :

«الحج أعظم أركان الدين، وعمدة ما يقرب الانسان الى رب العالمين، وهو من أهم التكاليف، وأصعب العبادات البدنية، و تاركه يحسب من خيول اليهود والنصارى، وهو محجوب عن الجنة، والاخبار فى فضل الحج وذم تاركه مشهورة وفى كتب الاخبار مسطورة.

ان الغرض الاصلى من خلق الانسان معرفة الله، والوصول الى درجة محبته تعالى والأنس معه، وهذا أمر موقوف على صفاء النفس وتجردها، وذلك موقوف على الابتعاد عن الشهوات الطبيعية، وكف النفس عن اللذات الشهوانية، والاعراض عن زخارف الدنيا ومتاعها، ثم توجيه الجوارح والاعضاء الى الله فى الاعمال الشاقة، والمداومة على ذكر الله، وبناء القلب على التوجه له .

من هنا فقد فرض الله العبادات التى تتضمن هذه الامور، فبعض العبادات عبارة عن بذل المال فى سبيل الله وهو أمر يبعث القلب على الانقطاع عن متاع الدنيا مثل الزكاة والخمس وسائر الصدقات، و بعض العبادات يتضمن ترك الشهوات واللذات مثل الصوم، وبعضها يشتمل على ذكر الله وتوجيه القلب اليه واشغال الاعضاء فى العبادة مثل الصلاة .

والحج هو من بين جميع العبادات يحتوى على جميع تلك الامور مع زيادة، ففيه ترك الوطن، ومشقة البدن، وبذل المال، وقطع الأمال، وتحمل المشاق، وتجديد الميثاق مع الله، والطواف، والدعاء، والصلاة، وفيه أمور لم يعتاد الناس عليها ولم يألفوها، ولا تدرك العقول حكمتها، مثل رمى الجمرات، والهرولة بين الصفا والمروة، وبهذه الاعمال تظهر غاية العبودية، وكمال التواضع والمذلة لله تعالى، أما سائر العبادات فهى أعمال تفهم العقول علتها، ومن هنا يأنس الطبع بها، وتميل النفس لها، بينما بعض أعمال الحج أمور لا طريق لعقول أمثالنا الى فهمها، ومن هنا فالاتيان بها لا يكون الا من جهة الطاعة، والعبودية لله، واظهار العبودية لله فى مثل هذه الاعمال أكثر مما فى غيرها، فالعبودية الحقيقية هى أن لا يصدر الفعل عن

سبب سوى الاطاعة للمولى، ومن هناقال رسول‌الله(ص) فى خصوص الحج «لبيك بحجة حقاً، تعبداً ورقاً» ولـم يقل مثل ذلك فـى سائر العبادات.

اذن فمثل هذه العبادة التى لايدرك العقل حكمتها هى أكمل فى اظهار العبودية، ومن هنا نعرف أن تعجب بعض الناس مـن هذه الافعال العجيبة ناشىء من جهلم بأسرار العبودية، وهذا السر موجود فى فريضة الحج.»

«ومضافاً الى أن كل عمل من أعمال الحج هو نموذج لحالة من حالات الآخرة، أو متضمن لأسرار أخرى سنشير اليها ـ ان‌شاءا... ـ، أن فريضة الحج يتحقق بها اجتماع أهل العالم فى موضع نزول الوحى، ومهبط الملائكة، وحضورهم فى خدمة رسول‌الله(ص) ومـن قبل كان هذا الموضع منزل خليل‌الله(ع) ونزول الملائكة عليه، بل هذا المكان المقدس كان باستمرار منزل معظم الانبياء من آدم وحتى خاتم الانبياء(ص)، وكان دائماً مهبطاً للوحى، ومحلاً لنزول الملائكة، وفيه ولد خاتم الانبياء(ص) وقد وطأت قدمه المباركة وأقدام سائر الانبياء اكثر مواضع هذه الارض، وقد جعله الله تعالى بيتاً له، و دعى عباده لزيارته، وجعل أطرافه وحواليه حرماً، حرم فيه صيد الحيوان، وقطع النباتات اكراماً لبيته، وجعل عرفات أشبه بميدان يقع فى ابتداء الحرم.

كما انه تعالى جعل هذا الموضع كماهـو الحال فـى عواصم الملوك حيث يقصده الزائرون من مسافات شاسعة، وولايات بعيدة وهم شعث الشعور، غبر الوجوه تواضعاً لصاحب هذا البيت مع اعترافهم بأنه منزه عن المكان والزمان.

ولاشك أن الاجتماع فى مثل هـذا الموضع المكرم باعث على

حصول الالفة بين الناس، والوصول بخدمة الصالحين الذين جاؤوا الى الحج من أطراف العالم، وموجب لسرعة اجابة الدعوات، وموجب لتذكر النبى (ص) وعظمته، وجهوده فى ترويج الدين، ونشر أحكام الله، وهذا كله سبب يوجب رقة القلب، وصفاء النفس» ـ انتهى ـ

(٣٩)

ترك أحد الواجبات

التاسع والثلاثون من الذنوب التى ورد التصريح باعتبارها كبيرة هو ترك أحد الواجبات الالهية، كما فى صحيحة عبدالعظيم(ع) عن الامام الجواد والامام الرضا والامام الكاظم والامام الصادق عليهم السلام حيث يقول «أو شيئا مما فرض الله لان رسول الله(ص) قال: من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من ذمة الله وذمة رسوله».

وروى عن الامام الصادق(ع) انه قال :

«والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عزوجل به وهو قول الله عزوجل واذأخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم» .

فكفرهم بترك ماأمر الله عزوجل به ونسبهم الى الايمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال «فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون» ـ الكافى ـ

وايضا عنه(ع) أنه قال :

«ولاينظر الله الى عبده ولايزكيه لوترك فريضة من فرائض الله أو ارتكب كبيرة من الكبائر، قلت: لاينظر الله اليه!؟ قال(ع) نعم قد أشرك بالله، قلت أشرك!؟ قال(ع) نعم ان الله أمره بأمر و أمره ابليس بأمر فترك ما أمر الله عزوجل به وصار الى ما أمربه ابليس فهذا مع ابليس فى الدرك السابع من النار» ـ وسائل الشيعه ـ

ويظهر من هذا البيان أن المراد بالشرك هناهو الشرك فى مقام الاطاعة كما تقدم تفصيله فى بحث الشرك ـ

الفتنة والعذاب الأليم :

من جملة الأيات التى جاءت فى تهديد المخالف لأمر الله الوجوبى، ووعيده بالعذاب قوله تعالى فى سورة النور «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم» .

وقد ذكر بعض المفسرين أن من الممكن أن يكون المراد بالفتنة البلاء الدنيوى، والعذاب الأليم فى الآخرة، ويمكن أن تكون الفتنة والعذاب كلاهما أخروى .

وقد وردت روايات عديدة فى باب أهمية أداء الواجبات :

منها قول رسول الله(ص) «قال الله تعالى ليلة المعراج وما يتقرب الى عبد من عبادى بشىء أحب الى مما افترضت عليه» ـ الكافى ـ

وقال(ص) «اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس» أصول الكافى

وفى بعض الروايات «من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس» أصول الكافى .

ماهى الواجبات ؟

كل ما أمر الله به بحيث يكون فى الاتيان به ثواب، وفى

تركه الوعيد بالعذاب يقال له فريضة وواجب والفرائض الالهية كثيرة الا أن أهمها والتى هى الاساس الذى ابتنى عليه دين الاسلام خمسة :

«الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الولاية» وقد عبر عن هذه الخمسة فى بعض الروايات بأركان الاسلام،

وقد ذكر صاحب (وسائل الشيعة) بعد أن نقل عدة روايات بهذا المضمون أن الآمر بالمعروف والنهى عن المنكر قسم من أقسام الجهاد، والجهاد من توابع الولاية كما أشير الى ذلك فى بعض الروايات، وحيث ان الخمس ـ على تفصيل تقدم ـ يدفع للسادات بدل الزكاة، والتبرى هو أيضا جزء مهم فى الولاية، اذن فروع الدين واركانه عشرة : الصلاة، الحج، الزكاة، الخمس، الجهاد، الامر بالمعروف، والنهى عن المنكر، الولاية، البراءة، وحيث تقدم أن ترك الصلاة والحج والزكاة والخمس من الذنوب الكبائر، فسوف نشير فيما يلى باجمال الى الباقى .

صيام شهر رمضان :

وجوب صوم شهر رمضان من ضروريات الدين الاسلامى، ومنكره مرتد يجب قتله، ومن تركه عالما متعمدا من دون عذر، دون أن يكون منكرا لوجوبه يجب تعزيره، بمعنى أنه يجلد بخمس وعشرين سوطا أو بأى مقدار يراه حاكم الشرع مناسبا، ولو تكرر منه ذلك مرة ثانية يعزز أيضا، ويقتل فى الثانية .

عن الامام الصادق (ع) :

روى سماعة قال : سألته عن رجل أخذ فى شهر رمضان وقد أفطر ثلاث مرات وقد رفع الى الامام ثلاث مرات؟ قال (ع) يقتل فى

الثالثة .

وفى صحيحة يونس عن أبى الحسن الماضى (ع) «أصحاب الكبائر اذا أقيم عليهم الحد مرتين قتلوا فى الثالثة.»

الجهاد فى سبيل الله :

الجهاد ركن من أركان الاسلام كالصلاة والصيام كما ورد التصريح بذلك فى الروايات، كما ان الايات والروايات فى أهمية وفضيلة الجهاد والتهديد فى تركه عديدة .

والجهاد على عدة اقسام :

القسم الاول :

قتال الكفار ابتداء لدعوتهم الى الاسلام ولهذا القسم من الجهاد شروط من جملتها اذن الامام (ع) أو نائبه الخاص، وحيث أن الامام المعصوم (ع) فى زماننا غائب، وليس له نائب خاص كان الجهاد الابتدائى ساقطاً .

القسم الثانى :

قتال الكفار الذين هجموا على المسلمين لمحو الاسلام وآثاره ولا يشترط فى هذا القسم من الجهاد اذن الامام (ع) أو نائبه، بل تجب الحرب، والدفاع عن حريم الاسلام، ودفع شر الاجانب والكفار على عموم المسلمين حتى النساء فى صورة القدرة .

القسم الثالث :

قتال مجموعة من الكفار هجموا على مجموعة من المسلمين لقتلهم والاغارة على أموالهم، دون أن يكون قصدهم تغيير الدين، والقضاء على الاسلام وفى هذا القسم ايضا لايشترط اذن الامام أو نائبه الخاص .

القسم الرابع :

الجهاد فى مقام الدفاع عن النفس والعرض والمال، فيجب على كل مسلم ـ فى صورة القدرة وأمن الخطر ـ الدفاع ـ مع مراعاة شروطه ـ ضد كل معتد أراد قتله أو قتل مسلم آخر أو الاعتداء على عرضه أو عرض مسلم آخر، أو استلاب أمواله المحترمة أو اموال مسلم آخر .

ولكل واحد من هذه اقسام الاربعة أحكام وفروع كثيرة مذكورة فى الكتب الفقهية. كتب المرحوم الشيخ كاشف الغطاء فى كتاب (أصل الشيعه واصولها) :

«الجهاد هو حجر الزاوية من بناء هيكل الاسلام وعموده الذى قامت عليه سرادقه، واتسعت مناطقه، وامتدت طرائفه ولولاالجهاد لما كان الاسلام رحمة للعالمين وبركة على الخلق أجمعين.

والجهاد هو مكافحة العدو ومقاومة الظلم والفساد فى الارض بالنفوس والأموال والتضحية والمفادات للحق .

الجهاد عندنا على قسمين : (الجهاد الأكبر) بمقاومته العدو الداخلى وهو النفس ومكافحة صفاتها الذميمة، واخلاقها الرذيلة من الجهل والجبن والجور والظلم والكبر والغرور والحسد والشح الى آخر ماهناك من نظائرها (أعدى عدويك نفسك التى بين جنبيك.)

(الجهاد الاصغر) هو مقاومة العدو الخارجى، عدو الحق، عدو العدل، عدو الصلاح، عدو الفضيلة عدو الدين.

ولصعوبة معالجة النفس وانتزاع صفاتها الذميمة وغرائزها المستحكمة فيها والمطبوعة عليها سمى النبى(ص) هذا النوع فى بعض كلماته (بالجهاد الأكبر) ولم يزل هو وأصحابه رضوان الله عليهم طول حياته وحياتهم مشغولين بالجهادين حتى بلغ الاسلام

الى أسمى مبالغ العزوالمجد.

ولو أردنا أن نطلق عنان البيان للقلم فى تصوير ما كـان عليه الجهاد بالأمس عندالمسلمين وماصار اليوم لتفجرت العيون دما ، ولتمزقت القلوب أسفاً وندمـا، ولتسابقت العبرات والعبادات و الكلوم والكلمات ولكن؛ أتراك فطنت لما حبس قلمى ولوى عنانى وأجج لوعتى وأهاج أحزانى وسلبنى حتى حرية القول ونفثة المصدور وبثة المحجور ؟

فدع عنك نهباً صيح فى حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

الامر بالمعروف يعنى دفع الغير نحو الطاعة والنهى عن المنكر يعنى منع الغير عن المعصية، وكلاهما من أركان الاسلام وأهم فروضه وهما شعبة من شعب الجهاد ورد التصريح بذلك فى روايات كثيرة، وورد الأمر الاكيد بهما والتهديد الشديد على تركهما فى أيات وروايات عديدة، نشير فيما يلى الى بعضها .

قال تعالى فى سورة آل عمران «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون».

فقد أوجب الله تعالى فى هذه الآية التبليغ الدينى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى موضع آخر من نفس السورة يقول تعالى «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

و يقول تعالى فى سورة المائدة فى توبيخ من ترك النهى المنكر «لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قـولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون» .

ويقول تعالى فى قصة أصحاب السبت :

«وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبب اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لايسبتون لاتأيتهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون، واذ قالت امة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون، فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بماكانوا يفسقون، فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» السورة ٧ / ١٦٢ ـ ١٦٦ يعلم جيداً من هذه الايات ان ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو من الذنوب التى جاء فى القرآن المجيد الوعيد عليها بالعذاب، كما يعلم أن تارك النهى عن المنكر هو بمثابة فاعل المنكر فى استحقاق العذاب، ذلك أن فاعل المنكر اذا كان قد ارتكب حراماً فان تارك النهى قد ترك واجباً الهياً، وأصبح بذلك فاسقاً.(١)

وقال تعالى أيضاً :

«لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون» السورة ٥/ ٧٨ ـ ٨٠

ففى هذا الايات تهديد عظيم لتاركى النهى عن المنكر .

روى عن الامام الصادق(ع) فى قوله تعالى «كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون» قال(ع) «أما انهم لم يكونوا

١ـ راجع تفسير الميزان فقد نقل عدة روايات عن أهل البيت(ع) تؤيد ماذكرناه.

يدخلون مداخلهم ولا يجالسون مجالسهم، ولكن كانوا اذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم» تفسير العياشي .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاخبار :

ورد عن الامام الرضا(ع) قوله :

«لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» الوسائل ـ الامر بالمعروف.

وقال رسول الله(ص) :

«اذا امتي تواكلت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله»(١) الوسائل ـ الأمر بالمعروف

وقال(ص) :

«ان الله عزوجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لادين له فقيل وما

١ـ كتب المرحوم الشيخ كاشف الغطاء في كتاب «أصل الشيعة وأصولها» :

«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أهم الواجبات شرعاً وعقلاً، وهو أساس من أسس دين الاسلام، وهو من أفضل العبادات وأنبل الطاعات، و هو باب من أبواب الجهاد، والدعوة الى الحق، والدعاية الى الهدى، و مقاومة الضلال والباطل، والذي ماتركه قوم الا وضربهم الله بالذل، وألبسهم لباس البؤس، وجعلهم فريسة لكل غاشم، وطعمة كل ظالم، وقد ورد من صاحب الشريعة الاسلامية، وأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم في الحث عليه والتحذير من تركه وبيان المفاسد و المضار في أهماله مايقصم الظهور ويقطع الاعناق والمحاذير التي أنذرونا بها عند التواكل والتخاذل في شأن هذا الواجب قد أصبحنا نراها عيانا ولانحتاج عليها دليلاً لاوبرهاناً، ويا ليت الأمر وقف عند ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتجاوزه الى أن يصير المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ويصير الأمر بالمعروف تاركاً له والناهي عن المنكر عاملاً به، فانا لله وانا اليه راجعون، (ظهر الفساد في البر والبحر) فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له الناهين عن المنكر العاملين به»

المؤمن الضيف الذين لادين له؟ قال(ص) الذى لاينهى عن المنكر» الوسائل ـ

وعن الامام الباقر(ع) قوله :

«أوحى الله الى شعيب النبى(ع) أنى معذب من قومك مأة ألف: أربعين الفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال(ع) : يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار؟ فأوحى الله عزوجل اليه: داهنوا أهل المعاصى ولم يغضبوا لغضبى» الوسائل / الامر بالمعروف باب / ٨

وعن الصادق(ع) :

«ويل لقوم لايدينون الله بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر» ـ الوسائل ـ

وعن الامام أمير المؤمنين(ع) :

«ان الله لم يلعن القرن الماضى بين ايديكم الا لتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصى و الحكماء لترك التناهى» ـ نهج البلاغة ـ

شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

يجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذا توفرت أربعة شروط:

الاول : العلم بالمعروف والمنكر .

فأذا أراد أن يأمر أحدا بشى ويدفعه نحو الاتيان به، لزم أن يكون عالما بوجوبه أولاً، بأن يكون من ضروريات الدين، أومن المتفق عليه عند جميع العلماء والمجتهدين، فلا يجب الأمر به اذا كانت المسألة خلافية اذ يحتمل أن يكون الشخص التارك له مقلداً لمن لايقول بوجوبه، وهكذا اذا احتمل أن التارك للواجب الشرعى انما تركه لعذر شرعى أو عقلى فلا يجب عليه حينئذ الامر به .

كما أن وجوب النهى عن المنكر يشترط فيه أن يكون الناهى عالما بحرمة ذلك المنكر الذى يريد النهى عنه، فاذا رأى من يستغيب مسلما واحتمل أن غيبته من الموارد المأذنون بها شرعا بالنسبة لذلك الشخص، فلا يجب عليه النهى، بل لايجوز له اذا كان موجبا لهتكه، وفى الجملة فأن مايريد الأمر به يجب أن يكون عالما بأنه من (المعروف) حكما وموضوعا، ومـايريد النهى عنه يجب أن يكون عالما بأنه من (المنكر) حكما وموضوعا، ويكون ذلك أمراً مسلما و قطعياً .

الثانى : احتمال التأثير والفائدة .

أما اذا تيقن أن لافائدة فى أمره ونهيه لم يجب عليه .

قال مسعدة سمعت أباعبدالله(ع) وقد سئل عن الحديث الذى جاء عن النبى(ص) أن أفضل الجهادكلمة عدل عندامام جائرقال(ع) هذا على أن يأمـره بعد معرفته وهو مـع ذلك يقبل منه والا فلا» ـوسائل الشيعة ـ

وعن الامام الصادق(ع) أيضا أنه قال :

«انما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم فأما صاحب سوط أو سيف فلا» ـالوسائل ـ

الثالث : ان يكون التارك للمعروف والمرتكب مصرا على ترك الواجب أو فعل الحرام ومستمرا به،

اما اذا كان نادما ومتراجعا عن المعصية، فمعه يسقط الأمر و النهى، قال عدة من الفقهاء أنه اذا ظهرت عليه علامات الندم والعزم على ترك تلك المعصية سقط الأمر والنهى اذا كان معلوما منه ترك الحرام والاتيان بالفعل الواجب .

الرابع : ان لايترتب على الامر والنهى مفسدة وضرر :

وبناءا عليه اذا احتمل ترتب الضرر على نفسه أو كرامته أو ماله سقط وجوبهما، اما الحديث الوارد فى أن أكرم الشهداء رجل قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله فأنه يحمل على صورة ما اذا لم يكن لديه ظن بالضرر والمفسدة بل كان ظنه عدم الضرر فقال كلمته فقتله الظالم .

لايعتنى بالضرر الوهمى والضرر الطفيف :

اما الاحاديث الواردة فى مذمة من يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خوفا من الضرر مثل حديث جابر الانصارى عن الامام الباقر(ع) والذى يقول فيه :

«يكون فى آخر الزمان قوم ينبع فيهم قوم مراؤون فينفرون وينسكون حدثاء سفهاء لايوجبون أمراً بمعروف ولانهياً عن منكر الا اذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير ... الى أن قال : هناك يتم غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه» الوسائل الامر بالمعروف / باب ٢

فيمكن حملها على عدة وجوه :

١ــ ان المراد بالضرر فى هذه الروايات الضرر الوهمى أو المشكوك، ألا أنهم يتركون الأمر والنهى دون أن يكون لهم علم بالضرر، بل لمجرد احتمال وصول الضرر، وواضح أن مثل هذا الحال دليل على ضعف الايمان، ولذا وقع موردا للتوبيخ .

٢ــ والوجه الثانى أن المراد بالضرر الضرر القليل الذى لايعتنى به عند العقلاء. واحيانا يترك النهى عن المنكر بتوهم أنه سوف يحرم من نفع يرجوه من مرتكب الحرام، فى حين أنه ليس عذرا عند الله.

والخلاصة أنه فى كل مورد يعلم أو يظن وصول الضرر المعتنى

به عند العقلاء اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر سقط عنه وجوب الأمر والنهى ـ

يجب مراعاة الأهم والمهم :

يجب أن يعلم أن سقوط وجوب الامر بالمعروف والنهى، عن المنكر انما هو فى صورة ما اذا لم يكن فى تركهما ضرر، أما اذا كان فى تركهما ضرر فيجب مراعاة مراتب الضرر، فان كان الضرر فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أكثر من الضرر المترتب على الامر والنهى فيلزمه أن لا يتركهما وان كان ضررهما أكثر لزمه الترك .

مثلا : اذا رأى من يريد الاعتداء على مسلم فى نفسه أو عرضه أوماله وكان يستطيع الدفاع عنه والمنع من الاعتداء عليه ولكن يتحمل بعض المشاق، ويسمع بعض الشتم والبذاء، فهنا يجب النهى عن المنكر، وذلك لأن الضرر الذى يصل اليه نتيجة النهى عن المنكر أقل من الضرر الذى يتعرض له ذلك المسلم ولا شىء بالنسبة له.

وحيث كان البناء على الاختصار لذا نعتذر عن بسط المقال .

مراتب النهى عن المنكر :

للنهى عن المنكر ثلاث مراتب، الانكار بالقلب واللسان واليد، وكل واحد من هذه المراتب الثلاث له درجات يجب مراعاتها، يعنى أنه اذا كانت المرتبة الاسهل والاخف مؤثرة لم يجز الانتقال الى المرتبة الاشد والاصعب، وتوضيح ذلك كما يلى :

(١) الانكار القلبى :

ان من لوازم الايمان انزعاج المؤمن من كل منكر حرام، ومحبة

كل معروف وعمل صالح، فمتى ما واجه منكرا وجب عليه أنه يعرب عن سخطه واعراضه عن ذلك الحرام ويعبس وجهه امام فاعله، ويقطع الكلام معه أو اذا كان مضطرا يتكلم معه ويشيح بوجهه عنه .

يقول أمير المؤمنين(ع) «أمرنا رسول الله(ص) أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهرة» الوسائل ـ الأمر بالمعروف ـ

وعن الامام الصادق(ع) قوله :

«ان الله بعث ملكين الى أهل مدينة ليقلباها، فلما انتهيا الى المدينة فوجدا فيها رجلاً يدعوو يتضرع ـ الى أن قال ـ فعاد أحدهما الى الله فقال: يارب انى انتهيت الى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرع اليك، فقال ـ تعالى ـ : امض لما أمرتك به، فأن ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاًلى قط» الوسائل ـ الأمر بالمعروف ـ باب ٦

وروى عنه عليه السلام أنه قال :

«لأحملن ذنوب سفهائكم الى علمائكم ـ الى أن قال ـ مايمنعكم اذا بلغكم عن الرجال منكم ماتكرهون، ومايدخل علينا به الأذى أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً .

قلت : جعلت فداك ، اذا لايقبلون منا ؟

قال(ع) : اهجروهم واجتنبوا مجالسهم» الوسائل ـ الأمر بالمعروف ـ باب ٧.

* * *

واذا كفت هذه المرتبة فى الانتهاء عن المنكر فلاينبغى الانتقال الى المراتب الاخرى، كما أنه فى نفس هذه المرتبة اذا كانت الدرجة الخفيفة منها مؤثره لاينبغى استعمال الدرجة الأشد، فالملاقاة بوجه

مكفهر أولى من الاعراض، والأعراض أولى من القطيعة والهجر .

وخلاصة القول أنه يجب مراعاة الاسهل فالأسهل .

وفى بعض الاحيان، ونسبة لبعض الاشخاص، تكون المرتبة الاولى من النهى وهى الانكار القلبى أشق من المرتبة الثانية وهى الانكار باللسان، من حيث أن الانكار اللسانى بأسلوب هادى أخف عنده من الاعراض والهجر، ففى مثل هذه الصورة يجب تقديم المرتبة الثانية .

(٢) الانكار باللسان :

وهنا ايضا يجب ملاحظة الاسهل فالاسهل، ففى البدء يجب الاكتفاء بالكلام الهادىء الناعم والموعظة والنصيحة كما قال تعالى لموسى وهارون «وقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» واذا لم ينفع ذلك انتقل الى الكلام الخشن، وفى كلا النحوين (الناعم والخشن) يجب ملاحظة درجاتهما .

(٣) الانكار باليد :

اذا لم ينفع الانكار باللسان تحول الى الانكار باليد (الجوارح)، ولا يمارس الاشد طالما كان الأخف مؤثرا، أما اذا لم يؤثر الضرب القليل فلا مانع من التحول الى الضرب الشديد بشرط أن يكون مؤثرا.

بل متى ما تيقن أن المنكر الذى يريد النهى عنه هو محل غضب الشرع مثل زنا المحصنة واللواط، واحتمل أن الضرب الموجب مؤثر فى اجتناب العاصى لذلك المنكر، ولم يكن فى ذلك الضرب ضرر بالغ عليه، فهنا يجب الضرب الشديد من باب النهى عن المنكر.

أما اذا لم يكن فى الانكار باليد تأثير على كل الاحوال سقط التكليف عنه .

ميت بين الاحياء :

يقول أمير المؤمنين(ع) :

«فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده، وذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير، ومضيع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه و التارك بيده ولسانه فذلك الذى ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث و تمسك بواحدة، ومنهم تارك لأنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت بين الاحياء.. الى أن قال(ع) :

«وأن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لايقربان من أجل، ولاينقصان من رزق» الوسائل ـ الامر بالمعروف ـ باب ٣

الولاية والبراءة :

من جملة الواجبات مودة الله تعالى ومن أمر الله بمودته وعلى رأسهم المعصومين الاربعة عشر، وبعدهم شيعتهم ومحبيهم وذريتهم الطاهرة وسلسلة السادات الجليلة من حيث انتسابهم كما قال تعالى فى القرآن المجيد «قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى».

واما المقصود بالبراءة فهو معاداة جميع أعداء الله واعداء اوليائه وعلى رأسهم الغاصبين والظالمين لآل محمد(ص) والخلاصة معاداة كل من يبرء الله تعالى ورسوله منه .

ومن ذلك معاداة المعاصى وأهلها كما أن من التولى محبة الطاعات وأهلها .

والايات القرآنية والروايات المتواتره فى أهمية هذه الفريضة وعظمتها ـ حتى أنها من أركان الدين ـ عديدة، وحيث أنها من ضروريات المذهب لاحاجة الى ذكرها وانما نكتفى فقط للتبرك

بعدة روايات :

قال تعالى :

«قل ان كان آباؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين» البراءة / ٢٤

وعن الامام الباقر(ع) :

«بنى الاسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية» ـ الكافى ـ

وعن الامام الصادق(ع) :

«قال : قال رسول الله(ص) لأصحابه أى عرى الايمان أوثق؟

فقالوا : الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم الصلاة، وقال بعضهم الزكاة، وقال بعضهم الصيام وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم الجهاد ،

فقال رسول الله(ص)، لكل ماقلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله، وتولى أولياء الله و التبرى من اعداء الله» ث الكافى ـ

وفى حديث الامام الرضا(ع) ضمن بيان شرائع الاسلام قال(ع):

«والبراءة ممن ظلموا آل محمد(ص) وهموا باخراجهم وسنوا ظلمهم وغيروا سنة نبيهم(ص) والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين الذين هتكوا حجاب رسول الله(ص) ونكثوا بيعة امامهم وأخرجوا المرأة وحاربوا أمير المؤمنين(ع) ...» ح ٢ / ١٢٦

«والولاية لأمير المؤمنين والذين مضوا على منهاج نبيهم(ع) ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسى وأبى ذر الغفار والمقداد بن

الاسود وعماربن ياسر وحذيفة اليمانى وأبى الهيثم بن التيهان و سهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبى أيوب الانصارى وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين وأبى سعيد الخدرى وأمثالهم رضى الله عنهم»

وعن الامام الصادق(ع) :

«من سره أن يلقى الله وهو مؤمن فليتول الله ورسوله والذين آمنوا، وليبرء الى الله من عدوهم» الكافى ـ

وعن الامام الباقر(ع) :

«والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين الا الحب و البغض» ـ بحار الانوار ـ

انكار حق أهل البيت(ع) :

روى فى كتاب (الوسائل) عن الامام الصادق(ع) ضمن حديث فى تعداد الكبائر قوله(ع) «وانكار حقنا» وفى حديث آخر «وانكار ما أنزل الله» .

وظاهر أن المراد من انكار حق أهل البيت(ع) انكار الولاية كما ذكرنا، والمراد من انكار ما أنزل الله حقوق آل محمد(ص) وولايتهم.

وقد احتمل بعض العلماء أن المراد بـ «المحاربة لاولياء الله» المذكورة فى رواية اخرى من جملة الكبائر مخالفة آل محمد(ص) ومعاداتهم .

وبناءا على ذلك فان المراد بهذه العبارات الثلاث هو الولاية.

لكن التحقيق هو أن المراد من هذه العبائر الثلاث مختلف فالمراد من انكار حق أهل البيت انكار ولايتهم ـ والولايه بفتح الواو وكسرها ـ

اما الولاية ـ بكسر الواو ـ فهى حقهم فى الحكومة، وولاية الامر والاقرار بذلك عند الامامية من جملة أصول المذهب، ومنكره

خارج من الايمان قطعا .

اما الولاية (بالفتح) فمعناها حق محبتهم ونصرتهم على تفصيل تقدم. وهو فى الحجة من ضروريات دين الاسلام ، ومنكره (مثل الناصبى) خارج عن دين الاسلام وأنجس من كل نجس .

وأما (انكار ما أنزل الله) فظاهره تمام ما أنزل الله تعالى فى الموضوعات المختلفة، وبناءاً على ذلك فان انكار شيء مما انزل الله ذنب كبير يوجب الكفر فى بعض الموارد، وحيث أن أهم الأمور النازلة التى أكد الله عليها هو الولاية كان انكارها من أشد مراتب هذا الذنب (الانكار)، بل لعل بعض مراتبه مثل معاداة الأمام يوجب الكفر القطعى كما أشير اليه .

أما محاربة أولياء الله فظاهره مطلق أولياء الله، فمن حارب واحداً من أولياء الله كان مرتكبا لذنب كبير وحيث أن آل محمد(ص) على رأس قائمة أولياء الله كانت محاربتهم أشد مراتب الكفر .

عن الامام الصادق(ع) قال :

«اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأوليائى فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعنفوهم»

وعن رسول الله(ص) فى حديث المعراج :

«قال الله تعالى يا محمد(ص) من أذل لى وليا فقد أرصدنى بالمحاربة ومن حاربنى حاربته، قلت يارب ومن وليك هذا فقد علمت أن من حاربك حاربته؟

قال تعالى لى: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية» ـ الكافى ـ

***

(٤٠)

الاصرار على الذنوب

الاربعون من الذنوب الكبيرة المنصوصة الاصرار على الذنوب، كما جاء فى رواية الاعمش عن الامام الصادق(ع) حيث يقول(ع) «والاصرار على صغائر الذنوب» وهكذا فى رواية الصدوق عن الرضا(ع) حيث قال :

«والاصرار على الذنوب» كما روى عن الامام الصادق(ع) قوله «لاصغيرة مع الاصرار ولاكبيرة مع الاستغفار» ودلالة هذا الحديث على أن الاصرار من الكبائر ظاهر .

يقول أبوبصير «سمعت أباعبدالله(ع) يقول لاوالله لايقبل الله شيئا من طاعته مع الاصرار على شيء من معاصيه» ـالكافيـ

ودلالة هذا الحديث على أن الاصرار من كبائر الذنوب واضحة، وذلك لأن الذنب الصغير ـالذى يغفره الله بمجرد ترك الكبائر وأداء الواجبات كما فى قوله «ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم» ـ كيف يكون مانعا عن قبول الطاعات والعبادات!؟ فيعلم من ذلك أن الاصرار على الذنب هو فى نفسه من الكبائر التى تمنع عن قبول سائر العبادات .

وفى حديث آخر عن رسول‌الله(ص) أن من جملة علامات الشقاء الاصرار على الذنب.

العفو مشروط بعدم الاصرار :

من جملة الدلائل على أن الاصرار على الذنب من الكبائر أن الله تعالى جعل ترك الكبائر شرطا فى العفو عن الذنوب والوصول الى درجات الجنة .

قال تعالى فى سورة آل عمران :

«والذين اذافعلوافاحشةأو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» .

كتب فى تفسير الميزان :

«الفاحشةما تتضمن الفحش والقبيح من الافعال، وشاع استعماله فى الزنا، فالمراد بالظلم بقرينة المقابلة سائر المعاصى الكبيرة والصغيرة، أو خصوص الصغائر على تقدير أن يراد بالفاحشة المنكر من المعاصى وهى الكبائر ،

وفى قوله «ذكروا الله» دلالة على أن الملاك فى الاستغفار أن يدعو اليه ذكر الله تعالى دون مجرد التلفظ باعتياد ونحوه .

وقوله «ومن يغفر الذنوب الا الله» تشويق وايقاظ لقريحة اللواذ والالتجاء فى الانسان .

وقوله «ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون» انما قيد به الاستغفار لانه يورث فى النفس هيئة لاينفع معه ذكر مقام الرب تعالى، وهى الاستهانة بأمر الله، وعدم المبالاة بهتك حرماته، و الاستكبار عليه تعالى، ولاتبقى معه عبودية، ولاينفع معه ذكر، و لذلك بعينه قيده بقوله «وهم يعلمون» .

من أكبر الكبائر :

يقول أمير المؤمنين (ع) :

«اياك والاصرار فأنه من أكبر الكبائر واعظم الجرائم» ـ الغرر للآمدي ـ

وقال (ع) «أعظم الذنوب ذنب أصر عليه عامله» ـ المصدر السابق ـ

وقال (ع) «الاصرار أعظم حوبة» .

ماهو الاصرار على الذنب؟ :

اعتبار الاصرار على الصغائر ذنبا كبيرا مورد اتفاق الفقهاء بل هو اجمالي، لكن اختلفوا في معنى الاصرار على عدة أقوال، والقدر المسلم المتفق عليه أن ألاصرار هو أن لايندم المرتكب على ذنبه بل يرتكبه مرة اخرى ويداوم عليه، مثلا: بناءاً على حرمة لبس الحرير والتختم بالذهب للرجل ـ ان لم يثبت أنه من الكبائر ـ فمداومة الشخص على لبسه هو قطعا من الذنوب الكبائر، ومثال آخر النظر للاجنبية، أو الدخول في منازل الناس بدون اذن دون أن يندم فاعله عليه ويستغفر منه، فان مثل هذه المدوامة تعتبر ذنباً كبيرا باتفاق الفقهاء .

وقد ذكر الشهيد ـ عليه الرحمة ـ في كتاب القواعد، وجمع آخر من الفقهاء، أن ارتكاب عدة ذنوب صغائر من دون أن يندم عليها ويستغفر منها ـ كمالو لبس الحرير، وتختم بالذهب، ونظر للاجنبية وصافحها ولامسها ـ في حكم الكبائر ولافرق بينه وبين الاصرار على ذنب صغير واحد .

وقد ذكر بعض الفقهاء أن ارتكاب ذنب صغير مرة واحدة مع العزم على ارتكابه ثانية يعتبر من الاصرار، ومعناه أن الاصرار هو مجرد التصميم على التكرار .

الا ان ما انتهى اليه النظر هو أن صدق عنوان الاصرار على الصورة الاخيرة من حيث اللغة والعرف أمر مشكل، بل هو خلاف الظهور العرفى لكلمة الاصرار.

وما يمكن أن يكون مدركا لاعتبار هاتين الصورتين الاخيرتين من الكبائر هو رواية جابر عن الامام الباقر(ع) فى تفسير «ولم يصروا على مافعلوا» قال(ع) : الاصرار ان يذنب فلا يستغفر الله ولايحدث نفسه بالتوبة فذلك الاصرار» .

ولكن يحتمل أن مقصود الامام(ع) هو بيان المراد من الاصرار المذكور فى الاية الشريفة لابيان الاصرار الذى هو من الكبائر .

والرواية الاخرى هى حسنة ابن ابى عمير عن الامام الباقر عليه السلام حيث يقول(ع) «مامن أحد يرتكب كبيرة من المعاصى وهو يعلم أنه سيعاقب عليها الا أنه ندم على ماارتكب، ومتى ماندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومن لم يندم عليها كان مصراً والمصر لايغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب ولو كان مؤمنا بالعقوبة لندم» الوسائل ـ الجهاد ـ .

وهذا الحديث كالحديث السابق حيث عد(ع) عدم الندم وترك التوبة والاستغفار من الذنب الذى ارتكبه اصرارا حتى وان لم يكرر الذنب ولم يكن له تصميم على تكرارة .

الا أن مايلاحظ هو : أولا : أن مورد كلام الامام(ع) الذنوب الكبيرة، ويحتمل أن ترك التوبة من الذنوب الكبيرة هو الاصرار أما فى الصغائر فان تكرارها هو الاصرار ،

وثانيا: أن كلام الامام انما هوفى مورد ما اذا كان ترك التوبة من باب الاستخفاف وعدم المبالاة بالوعيد الالهى، ومن باب الأمن من مكر الله، وظاهر أن ترك التوبة فى مثل هذا الحال هو بنفسه أمن من

مكرالله وقد سبق أنه من كبائر الذنوب .

ويمكن أن يطلق على مثل هـذا الترك للتوبة والندامة مجازاً اصرار كما ورد عن الامام الباقر(ع) «ان الاصرار على الذنب أمن من مكرالله ولا يأمن مكرالله الا القوم الخاسرون» ـتحف العقول ـ

وبالجملة فان القدر المسلم من معنى الاصرار هو التكرار العملى للذنب من دون الندم والتوبة، فهو يداوم عليه ـبنحو يقال عرفا أنه مداومةـ أو يزيد عليه .

مايلحق بالاصرار :

ذكر بعض العلماء أنه كما أن الإصرار على الذنب الصغير يجعله كبيرا هناك عدة عناوين اخرى متى ماصدقت فى أى ذنب صغير جعلته كبيرا .

(١) استصغار الذنب :

بمعنى أن يستخف مرتكب الصغيرة بذنبه، ولايرى نفسه جديراً بالعقوبة الالهية، وهنا يعتبر ذنبه كبيراً، ويكـون مستحقاً للنقمة الالهية، اذ أنه فى هذا الحال يستهين بنهى الله، ويخرج من طريق العبودية، وحسب تصريح الروايات لايغفر هذا الذنب، وسر المطلب أن عدم المؤاخذة على الذنوب الصغيرة مع الابتعاد عن الكبائر انما هو فضل ورحمة من الله، والا فان فى مخالفة النهى الالهى ـصغيرا وكبيراـ استحقاق للعقوبة بحكم العقل، وواضح ان من يناله الفضل الالهى هو من لم يخرج عن جادة العبودية، أما من كان من أهل العجب، ولايعرف حقارة نفسه وعظمة الله، ويرتكب الذنب كأن لم يكن شيئا فأنه لايناله الفضل الالهى، بل هو جدير بالخذلان والانتقام وبالجملة

فان الله بفضله يعفو عن الذنب الصغير لمن لايستهين بالذنب ويستخف به .

يقول أميرالمؤمنين(ع) «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه» ـالوسائل ـ

وعن الامام الباقر(ع) قوله الذنوب التى لاتغفر قول الرجل ليتنى لم أؤاخذ الابهذا» ـالوسائل ـ

وعنه(ع) «اياكم ومحقرات الذنوب فأن لها من الله طالبا وانها لتجتمع على المرء حتى تهلكه» ـالوسائل ـ

وقال الامام الصادق(ع) :

«اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لاتغفر ،

قلت : وما المحقرات من الذنوب ؟

قال(ع): الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لى لولم يكن لى غير ذلك» ـالكافى ـ

(٢) السرور بالذنب :

ومن جملة مايجعل الذنب الصغير كبيرا السرور والابتهاج بالذنب الذى ارتكبه، وذلك أن علامة الايمان بالله ويوم الجزاء الحزن والندم على الذنوب التى ارتكبها مهما كانت صغيرة كما روى عن رسول الله(ص) أنه قال: «من سرته حسنته وسائته سيئته فهو مؤمن» ـالوسائل ـ الجهاد ـ

فكما أن الله تعالى عظيم فكذلك مخالفة أوامره ونواهيه عظيمة روى عن أميرالمؤمنين(ع) : «لاتنظروا الى صغير الذنب، ولكن انظروا الى ما اجترأتم» ـالوسائل ـالجهاد ـ

وكما أن الندم والحسرة على ارتكاب الذنب تمحو الذنب وتطهر

مرتكبه، كذلك السرور بالذنب توجب ثبات الذنب وتعاظمه، وفى الحقيقة أن السرور بالذنب أمن من مكر الله وقد سبق القول أنه من الكبائر .

يقول رسول الله (ص) :

«من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باكى» ـ الوسائل ـ الجهاد ـ

وقال (ص): «أربعة فى الذنب شر من الذنب الاستحقار، والافتخار، والاستبشار والاصرار» ـ المستدرك ـ

(٣) المجاهرة بالذنب :

ومن جملة مايجعل الذنب الصغير كبيرا اظهاره ونقله للآخرين، كما أن اظهار الذنب هو هتك للحرمات الالهية .

يقول رسول الله (ص) :

«المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له» ـ الكافى ـ

ويجب أن يعلم أن اظهار الذنب لامانع منه فى صورتين :

احدهما :

ترتب الغرض العقلائى مثل اظهاره للطبيب لغرض المعالجة حيث يكون اظهاره لازما، أو اظهاره للعالم لمعرفة حكمه بنحو تتوقف معرفة الحكم على اظهاره .

ثانيهما :

اظهار أنه مذنب بنحو عـام لابذكر الذنب الخاص، فان ذلك لامانع منه بل هو أمر ممدوح فى مقام اظهار العبودية والمسكنة، مثل

أن يقول أنا المذنب أمام ربى، أنا صاحب الوجه الاسود، أنا الذى ارتكبت المعاصى، بل أن الاعتراف بأنه مذنب أمام خالقه هومن أشرف أقسام المناجاة والعبادات، وله آثار عظيمة فى قبول التوبة ونورانية القلب وارتفاع الدرجة .

وبالجملة فان الاعتراف بالذنب على وجه العموم والاقرار بالتقصير هو أمر ضد العجب وهو الطريقة المحبوبة لدى عظماء الدين حتى فى رسائلهم وكتبهم حيث يلقبون أنفسهم بالعاصى، المذنب، الخاطىء، الأقل، أحقر العباد، وأمثال ذلك .

(٤) الذنب والموقع الاجتماعى للشخص :

اذا كان الشخص مطمح أنظار الناس فى المجتمع بحيث أن كلامه وسلوكه مؤثر فيهم مثل أهل العلم والمعروفين بالقداسة والتقوى المؤهلين لقيادة الناس روحيا ومعنويا، فصدور الذنب الصغير من مثل هؤلاء حيث كان مؤديا الى جرأة الناس واقدامهم على المعاصى الكبيره، بل مؤديا فى بعض الاحيان الى زلزلة ايمان الناس وعقيدتهم ـ أمكن القول أن صدور الذنب الصغير من هؤلاء هو أمر بالمنكر عمليا، كما أن عملهم ومعرفتهم تدعو بحكم العقل والشرع ـ الى تضخيم الذنب الصادر منهم حتى أن الصغيرة منه بمنزلة الكبيرة .

يقول الامام الصادق (ع) :

«يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» ـ الكافى ـ

زلة العالم تفسد العوالم :

يقول المحقق الخونسارى فى شرح هذه الجملة عن أمير المؤمنين (ع)

أن ذلك هو باعتبار أن قبح الذنب الصادر من العالم يزول بأعين الناس ولذا سوف يقدمون على ارتكابه والتساهل فيه، وأما الخطأ الصادر منه فى الحكم فأنه سيجرى فى الناس مدة مديده، وتبنى عليه كثير من امورهم، اذن يجب أن يهتم العالم أكثر من غيره فى اجتناب المعصية، وحفظ النفس عن الخطأ والغلط .

وايضا عنه(ع) «زلة العالم كأنكسار السفينة تغرق وتغرق غيرها معها» ـ الغرر والدرر للآمدى ـ

بحكم الكبيرة واقعا :

ماذكر من أن المعصية الصغيرة كبيرة تبعا لواحد من تلك العناوين المتقدمة (الاستصغار، المسرة بالذنب، والمجاهرة به، والاصرار عليه، والموقع الاجتماعى) المراد منه أنه معصية كبيرة واقعا وشدة استحقاق العقوبة كما هو فى سائر الذنوب الكبيرة،وأما اعتبارها كبيرة اصطلاحا ـ بمعنى أن مرتكبها تسقط عنه العدالة ويحكم بالفسق ـ فهو أمر غير معلوم بل هو على خلاف الظاهر، و القدر المتيقن من الامور التى تجعل الصغيرة كبيرة اصطلاحا هو الاصرار عليها .

تعيين الاصرار أمر عرفى :

تقدم أن الاصرار هو تكرار الذنب من دون الندم عليه بعد كل مرة ودون التوبة منه،أو زيادة صدور الذنب منه وان تعددت أنواعه.

أما بماذا يتحقق التكرار؟ وفى أية مرتبة؟ فتعيين ذلك أمر عرفى وليس له ميزان محدد، حيث يختلف باختلاف الذنوب الصغيرة ومدى

قربها أو بعدها من الكبائر، ففى بعضها يتحقق الاصرار بتكرارها ثلاث مرات، وبعضها بأكثر من ذلك وبعضها بأقل، وعلى جميع التقادير فالميزان هو النظر العرفى .

ملاحظة :

الذنوب التى ذكرت ضمن أربعين عنوان هى الذنوب التى ورد التصريح بها فى النص المعتبر، هذا وقد نقل فـى وسائل الشيعة روايتين مرسلتين عد فى أحدهما (استحلال البيت) من جملة الكبائر وفى الاخرى (الحيف فى الوصية) .

أما استحلال البيت فسوف نذكره ـان شاءا... ضمن الكبائر غير المنصوصة، وفيمايلى نذكرحديثامجملاعن (الحيففى الوصية) كى لايفوتنا شيء من الكبائر المنصوصة .

الحيف فى الوصية :

الحيف فى الوصية بمعنى الظلم والتعدى على جميع الورثة أو بعضهم، وحرمانهم من الميراث .

روى فى تفسير القمى فى شرح الآية ١٨١ من سورة البقرة «فمن خاف من موص جنفاً أو اثماً فأصلح بينهم فلا اثم عليه» قال الصادق(ع) «الجنف الميل الى بعض ورثته دون بعض، والاثم أن يأمر بعمارة بيوت النيران واتخاذ المسكر فيحل للوصى أن لايعمل شيئاً»

رعاية الوارث الفقير لازمة :

اذا كان الوارث غنيا فان باستطاعة الموصى أن يوصى بثلث ماله، وأما مازاد عليه فهو موقوف على اذن الوارث، كما أن بعض الورثة اذا كان فقيرا أو صاحب تقوى أكثر فان باستطاعة الموصى أن يوصى له من ثلث ماله بحيث يصل له أكثر من سهمه فى الميراث.

أما اذا كان الوارث فقيرا فالافضل أن لايوصى صاحب المال أصلا، أو لايوصى بأكثر من سدس ماله أو خمس ماله، وذلك أن أغناء الوارث الفقير هو بنفسه من أفضل مصارف الخير فأنه صلة للرحم وخصوصاً اذا كان صغيرا .

عن أمير المؤمنين(ع) :

«لئن أوصى بالخمس أحب الى من أوصى بالربع، ولئن أوصى

بالربع أحب الى من أن أوصى بالثلث، ومن أوصى بالثلث فلم يترك شيئاً» ـ البحار ـ

وعن الامام الرضا(ع) :

«ويستحب أن يوصى الرجل لقرابته ممن لايرث شيئا من ماله قل أو كثر وان لم يفعل فقد ختم عمله بمعصية» ـ البحار ـ

ولعل جهة المعصية فى ذلك أنه فى آخر ساعات حياته لم يراع صلة الرحم والتى هى من أهم الواجبات الالهية، فى صورة ما اذا كان ترك مثل تلك الوصية بحسب نظر الناس قطعا للرحم ومثاله ما لوكان الشخص غنياً وله رحم فقير غير وارث، فأن عدم الوصية له حرام قطعا ومن الذنوب الكبيرة .

الوارث مقدم على غيره :

ورد فى رواية عن الامام الصادق(ع) أن رجلاً من الانصار مات وله أولاد صغار ولم يكن له من الدنيا الاستة عبيدأعتقهم عند موته، فلما مات دفن فى مقابر المسلمين، فوصل خبره الى رسول الله(ص) فقال : لو علمت مادفناه مع أهل الاسلام، ترك ولده يتكففون الناس» ـ الوافى ـ

تقسيم التركة حسب قانون الميراث :

وبالجملة لايجوز للشخص الوصية بأكثر من ثلث ماله، ولو فعل فأن اللازم على الوصى العمل بوصيته بمقدار الثلث فقط، اللهم الا اذا أذن الوارث .

كما أن الوصية فى الامور المحرمة غير جائزة، ويجب على

الوصى تركها وصرف المال فى الامور الخيرية .

كما ان حرمان بعض الورثة من الارث غير جائز أيضا، ويجب على الوصى أن يعطيه حسب استحقاقة ماعين الله له .

وايضا اذا كان له وارث غنى من الطبقة الاولى (الاولاد والابوين) وكان له وارث فقير من الطبقة الثانية (الاخوة والاخوات) أو من الطبقة الثالثه (الاعمام والعمات والخال والخالات) فانه يلزمه الوصية بصرف مقدار من ماله على ذلك الرحم، ولو ترك هذه الوصية وكان ذلك عرفا قطعا للرحم مات عاصيا كما تقدم أن الامام الصادق (ع) أوصى بأن يعطى من ماله سبعون أشرفياً للحسن الافطس وهو ابن عم الامام، كما أوصى لآخرين من أرحامة حتى قيل له «أتعطى رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك!؟

فقال (ع) : تريد أن لا أكون من الذين قال الله عزوجل «والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» وقد نقلنا تمام الرواية فى بحث قطع الرحم .

الباب الثانى

الكبائر غير المنصوصة

رحلتنا بالبدء
ثم بعدها بدء بالبدء

الفصل الاول

ماورد الوعيد عليه بالعذاب

يا علا يا صفا

يا من تعالى فيلد سبحانه يعلو

ذكرنا في أول الكتاب أن هناك أربعة طرق لتعيين الذنوب الكبيرة:

الاول : أن يرد التصريح بذلك في نص معتبر .

الثاني : أن يرد الوعيد عليه بالعذاب في القرآن المجيد أو الروايات المعتبرة اما بالتصريح أو بالدلالة الضمنية .

الثالث أن يرد التصريح في الكتاب أو السنة بأنه أكبر من الكبائر الثابتة بالطريقتين السابقتين .

الرابع : أن يكون كبيرا عند المتشرعة (المتدينين) .

***

وقد ذكرنا القسم الاول في الباب الاول من هذا الكتاب ضمن أربعين ذنبا، والاقسام الثلاثة الاخرى سنذكرها ـ ان شاء ا... في الباب الثاني .

وقبل الشروع بتعداد ماورد الوعيد عليه بالنار يجب أن يعلم أن مدرك هذا الحكم روايات عديدة صرحت بهذا الأمر، من جملتها صحيحة ابن أبي يعفور عن الامام الصادق (ع) حيث قال (ع) في معرفة عدالة الشخص :

«ويعرف باجتناب الكبائر التي أوعد الله عليها النار» .

ويظهر بوضوح من هذا النص أن كل ذنب وعد عليه بالنار فهو من الكبائر، ومثل ذلك صحيحة علي بن جعفر عن أخيه الامام موسى بن جعفر (ع) :

سألته عن الكبائر التي قال الله تعالى «ان تجتنبوا كبائر ما تنهون

عنه نكفر عنكم سيئاتكم» قال(ع) : «التى أوجب الله عليها النار .

ومثل ذلك ماورد فى الكافى عن الامام الصادق(ع) .

ويروى أبو بصير قائلا : سمعته(ع) يتلو قوله تعالى :

«ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا» فقال(ع) فى معنى الحكمة :

«معرفة الامام واجتناب الكبائر التى أوجب الله عليها النار» ـالكافى ـ

وعن محمد بن مسلم عن الامام الصادق(ع) أنه عد من الكبائر «وكل ما أوجب الله عليها النار» ـالكافى ـ

وبالجملة يعرف من نصوص عديدة خصوصا صحيحة عبد العظيم(ع) أن كل ذنب ورد الوعيد عليه بالنار فى القرآن المجيد أو سنة رسول الله(ص) أو الائمة عليهم السلام هو ذنب كبير، سواءاً كان الوعيد صريحا وبشكل مباشر ـ مثل الوعيد بالنار لتارك الصلاة ـ(١)، أو بشكل غير مباشر مثل التصريح بأن تارك الصلاة مشرك(٢) ثم القول بان المشرك فى جهنم(٣)، وسواء أكان الوعيد بالنار صريحا(١) أو كان الوعيد ضمنيا، مثل قول رسول الله(ص) : «من ترك الصلاة متعمدا فقد برء من ذمة الله وذمة رسوله»

وظاهر أن هذه الجملة كناية عن العذاب والهلاك الدائم لتارك الصلاة، كما جعل هذا الحديث فى صحيحة عبد العظيم شاهدا على أن

١ـ «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا» السورة ١٩/٥٩

٢ـ «واقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين» السورة ٣٠ـ٣١

٣ـ «والمشركين فى نار جهنم» سورة البينة ـ ٥ .

١ـ «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون» السورة ١٠٧

ترك الصلاة من الكبائر .

ومن هنا يظهر صحة مانسب الى ابن عباس أنــه قال (الكبائر أقرب الى سبعمائة منها الى سبعة)، ذلك أن الذنوب التى جاء الوعيد عليها فى الكتاب أو السنة المعتبرة بالعذاب كثيرة، ولو أريد جمعها بالتفصيل لزادت على سبعمائة ومع ضيق المجال فان جمعها فى غاية الصعوبة، وبناءاً على ذلك فاننا سنشير هنا الى أكثرها محلا للابتلاء.

ونشير ضمنا الى ان جميع ماذكر من الكبائر فى الباب الاول قد ورد الوعيد عليه بالعذاب مضافا الى التصريح باعتباره من الكبائر.

* * *

(١)

الغيبة

أول الذنوب التى ثبت أنها من الكبائر بدليل الوعيد عليها بالعذاب فى القرآن المجيد والروايات الكثيرة هو (الغيبة)، كما يقول تعالى فى سورة النور «ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم» وفى رواية ابن أبى عمير عن الامام الصادق (ع) أنه قال :

«من قال فى مؤمن مارأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزوجل «ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة» ـ اصول الكافى ـ وبمقتضى هذه الرواية الصحيحة تكون الغيبة داخلة فى هذه الآية الشريفة التى أوعدت بالعذاب .

وفى سورة الحجرات يقول تعالى «ولايغتب بعضكم بعضاأيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكر هتموه» وفى هذه الآية الشريفة عدة احتمالات :

أحدها : أنها فى مقام بيان كيفية العذاب الاخروى للمغتاب ، حيث تتجسم الغيبة فى الآخرة بصورة أكل ميتة الشخص المستغاب ، والشاهد على هذا الاحتمال رواية شريفة عن الرسول الاكرم (ص) أنه نظر فى النار ليلة الاسراء فاذا قوم يأكلون الجيف فقال ياجبرئيل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس» المستدرك / أحكام

العشرة. والاحتمال الآخر هوأن المراد التنزيل الحكمى بمعنى أن الغيبة هى بمنزلة أكل لحم المستغاب ميتا من ناحية الحكم ، وقدتقدم فى الباب الاول أن أكل الميته من الذنوب الكبيرة :

عن الامام الحسن العسكرى(ع) أنه قال :

«اعلموا أن غيبتكم لأخيكم المؤمن من شيعة آل‌محمد(ص)أعظم فى‌التحريم من الميته قال‌الله تعالى «ولايغتب بعضكم بعضا» ـالمستدركـ وبناءاً على ذلك فانه يظهر من الآية الشريفة على كلا الاحتمالين أن الغيبة من الذنوب الكبيرة .

وقال تعالى فى سورة الهمزة : «ويل لكل همزة لمزة» وقال فى تفسير مجمع البيان «هذا وعيد من‌الله سبحانه لكل مغتاب غياب مشاء بالنميمة مفرق بين الاحبة، وقيل الهمزة المغتاب واللمزة الطعان ، وقيل الهمزة الذى يطعن فى الوجه بالعيب واللمزة الذى يغتاب عند الغيبة، وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه وبعينه» .

وأما (ويل) فهو اسم لدركة من دركات جهنم، أو اسم لواد فيها، وتستعمل للتعبير عن شدة العذاب .

بناءاً على ذلك فان الغيبة من الذنوب التى جاء الوعيد عليها بالعذاب فى أكثر من موضع من القرآن المجيد وهى من الكبائر.

الغيبة وروايات أهل البيت(ع) :

الروايات التى ورد فيها الوعيد بالعذاب على الغيبة عديدة بل هى متواترة تواتراً اجماليا. وهنا نلفت النظر لما ذكره الشيخ الانصارى عليه الرحمة فى المكاسب المحرمة حيث قال :

«روى عن النبى(ص) بعدة طرق أن الغيبة أشد من الزنا و أن

الرجل يزنى فيتوب ويتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لايغفرله حتى يغفرله صاحبها».

وعنه(ص) أنه خطب فذكر الربا وعظم شأنه فقال «ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم من ستة وثلاثين زنية، وأن أربى الربا عرض الرجل المسلم».

وفى ضوء هذين الحديثين يثبت أن الغيبة أسوأ من الزنا و الربا وقد سبق فى الباب الاول أن الزنا والربا من الكبائر.

وعنه(ص) «من اغتاب مؤمنا بما فيه لم يجمع الله بينهما فى الجنة ومن اغتاب مؤمنا بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما (منهما) وكان المغتاب خالدا فى النار».

وعنه(ع) «كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة فاجتنب الغيبة فأنها أدام كلاب النار».

«عنه(ع) من مشى فى غيبة ـ عيب ـ أخيه وكشف عورته كانت أول خطوه خطاها وضعها فى جهنم».

«وروى أن المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان لم يتب فهو أول من يدخل النار» ـ المكاسب ـ

وروى الشهيد الثانى عن الامام الصادق(ع) عن الرسول الاكرم(ص) أنه قال:

«أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه كلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها أولئك لاخلاق لهم».

وقريب من هذا المضمون عدة روايات نقلت فى أصول الكافى.

وقال الرسول الاكرم(ص):

«ان الغيبة حرام على كل مسلم، وان الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» ـ اصول الكافى ـ

ويقول الشيخ فى معنى هذا الحديث :

«وأكل الحسنات اما أن يكون على وجه الاحباط أو لاضمحلال ثوابهافى جنب عقابه أولانها تنقل الحسنات الى المغتاب كمافى غير واحد من الاخبار ومنها النبوى (ص) يؤتى بأحد يوم القيامة فيوقف بين يدى الرب عزوجل ويدفع اليه كتابه فلايرى حسناته فيه فيقول الهى ليس هذا كتابى لاأرى فيه حسناتى فيقال له ان ربك لايضل و لاينسى ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول الهى ماهذا كتابى فانى ما عملت هذه الطاعات فيقال له ان فلانا اغتابك فدفع حسناته اليك».

قال الشيخ بعد نقل هذه الروايات : ظاهر هذه الاخبار كون الغيبة من الكبائر كما ذكره جماعة، بل أشد من بعضها»

وأيضا فان الخيانة من جملة الكبائر المنصوصة كما تقدم، و يمكن القول بأن الغيبة هى من اقسام الخيانة، اذ أية خيانة أكبر من أن يأكل الانسان لحم أخيه ميتا فى حين أنه غافل عن ذلك، وأية خيانة أكبر من كشف العيب المخفى؟ ويجب أن يعلم أن حرمة الغيبة مختصة بالمؤمن، أى المعتقد بالعقائد الحقة ومنها الاعتقاد بأمامة الائمة الاثنى عشر عليهم السلام، وبناءاً على ذلك فأن غيبة المخالفين ليست حراما .

الا أن الأحوط ترك غيبة جميع فرق الاسلام خصوصاً غير المعاندين للحق، والقاصرين فى ترك العقائد الحقة .

وأيضا يجب أن يعلم أن حرمة الغيبة لااختصاص لها بالمؤمن المكلف، بل ان غيبة الطفل غير البالغ الذى يتأثر من استغابته حرام ايضا، وذكر بعض الفقهاء أن غيبة الاطفال المؤمنين حرام مطلقا سواءاً كان مميزاً أم لا .

معنى الغيبة ومواردها :

قال رسول‌الله(ص) «الغيبة ذكرك أخاك بما يكرهه». وقال الامام صادق(ع) «الغيبة ان تقول فى اخيك ماستره الله عليه» وقال الامام موسى بن‌جعفر(ع) «من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مماعرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لم يعرفه الناس فقد اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته» .

وبناءاً على هاتين الروايتين والروايات الأخرى فاذا كان‌العيب الموجود فى المؤمن غير خفى على السامع وغيره فان نقله ليس غيبة وان دخل تحت عنوان المذمة والايذاء والاستخفاف بالمؤمن، وكان حراما بسبب هذه العناوين .

والشيخ الانصارى بعد أن نقل كلمات أهل اللغة والروايات فى معنى الغيبة، والتحقيق فى أطراف ذلك ذكر كلاما خلاصته‌أن‌مصاديق الغيبة ثلاثة :

الاول : ماكان غيبة قطعا وبنحو متفق عليه .

الثانى : ماكان الظاهر أنه غيبة .

الثالث : ماكان الظاهر أنه ليس من الغيبة .

اما القسم الاول : فهو اظهار العيب الشرعى أوالعرفى المستور عن السامع والذى لايرضى صاحبه بكشفه ، وكان قصد المغتاب الانتقاص من صاحب العيب .

وخلاصة القول أن انتقاص المؤمن بكشف عيب خفى فيه‌غيبة قطعاً ومن الذنوب الكبيرة .

أما القسم الثانى : فهو نقل العيب الخفى عند شخص لابقصد الذم والانتقاص بل لغرض آخر كالتفكه أو الاستشهاد به أو من باب الشفقة على صاحبه . ولاشك فى ان ذلك حرام، والذى يظهر من

الروايات أنه من موارد الغيبة ومصاديقها .

واما القسم الثالث : فهو نقل عيب شخص لآخر يعلم بوجود ذلك العيب، وظاهر بعض الروايات أن ذلك خارج من عنوان الغيبة وان كان يستفاد من روايات اخرى أن ذلك غيبة أيضا .

وهنا اذا كان المغتاب يقصد الانتقاص والمذمة فلاشك فى حرمة ذلك وان كان اعتباره غيبة محل شك، وذلك لأن نفس هذا النقل يوجب الايذاء والتوهين لمؤمن ولاشك فى حرمته وان لم يكن قصد المغتاب الانتقاص والمذمة لكن يتحقق ذلك قهرا كأن يصفه بألقاب وأوصاف ذميمة كما لوقال أنه ابن يهودى، أو أمه فاحشه، فذلك حرام أيضا كما جاء النهى فى سورة الحجرات صريحا عن التنابز بالالقات «ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان».

أنواع الغيبة :

صريح الروايات وكلمات الفقهاء أن لافرق فى ذكر العيب بين عيب وآخر، سواءاً كان نقصا فى البدن، أو فى النسب، أو فى الخلق، وسواء فى الاقوال أو الافعال، فى دين أو دنيا، أو فى امور ترجع اليه كاللباس والمنزل والمركب وامثال ذلك .

وقد ذكر بعض لكل واحد من هذه الامور مثالاً، أما الغيبة الراجعة للبدن فمثاله أن يقول فلان أعمش أو أحول أو أعور أو أقرع أوقزم أو أسود أوأصفر وأمثال ذلك من الاوصاف التى يتأثر صاحبها لذكرها .

وأما الغيبة فى النسب فمثاله أن يقول فلان أبوه فاسق أوخبيث أو خسيس أوحائك أو غير شريف وأمثال ذلك .

واما الغيبة فى الخلق فمثاله أن يقول فلان سىء الخلق، بخيل

أو متكبر أو جبان أو ضعيف، أو مرائى أو سارق وظالم .

واما الغيبة فى سلوكه الدينى فمثاله أن يقول : فلان كذاب، أو شارب خمر، أو يتسامح فى صلاته .

واما الغيبة فى سلوكه الدنيوى فمثاله أن يقول : فلان غير مؤدب، لايعرف الحق، لايعرف موضعه الطبيعى ثرثار، أكول، نوام.

واما الغيبة فى اللباس فمثاله أن يقول : لباسه وسخ، عتيق ، ممزق، طويل، قصير، وهكذا فى سائر الامور الراجعة له اذا ذكرت بسوء بنحو لايرضى صاحبها.

ويجب أن يعلم أنه لافرق فى حكم الغيبة بين كشف عيب الآخرين باللسان، أو بالفعل والاشارة ، بنحو صريح أو بالكناية، بل احيانا تكون الغيبة بالكناية أسوأمثل أن يقول الحمدلله الذى لم يبتلنى بحب الرئاسة أو مجالسة الظلمه أو حب المال أو يقول : أعوذ بالله من الحرص والبخل والصلافة، أعاذنى الله من شر الشيطان وغرضه فى جميع هذه العبارات التعريض بشخص يحمل تلك المواصفات .

وكثيراً ما يقول بعض الاشخاص المحتالين حين يريدون استغابة أحد بمدحه أولاً فيقول هو نعم الرجل لكن مع الأسف أنه مبتلى بالشيطان، وكذا وكذا، وأحيانا يظهرون الغصة والتأثر عليه نفاقاً ويقولون ما أشد تأثرنا لفلان، قلبنا يتحرق له حيث صدر منه العمل الفلانى .

وان كانوا صادقين فى محبتهم له وتأثرهم لأجله فكان يلزمهم أن لايفضحوا سره ويذكروه بسوء .

غيبة شخص غير معين :

انما تكون الغيبة فى صورة ما اذا كان الشخص معينا ، اما اذا

كان الشخص المذكور بلااسم ولاعلامة فانه لامانع من ذلك، مثل أن يقول رأيت شخصا كذا وكذا، وأما غيبة شخص مردد بين مجموعة اشخاص بأن يقول مثلا : أحد أولاد فلان كذا وكذا فان ذلك حرام، اذ أن جميعهم سوف يتأثر وينزعج، واما اذا اغتاب شخصاً مردداً بين أشخاص كثيرين كأن يقول مثلا : أحد الاصفهانيين أو الشيرازيين كذا وكذا فان ذلك جائز، ويجوز أيضا لوقال بعض الاصفهانيين أو بعض الشيرازيين لديهم العيب الكذائى، ولكن اذا قال كل الاصفهانيين أو كل الشيرازيين لديهم العيب الكذائى فلا شك فى حرمة ذلك ، بل هو ظاهر فى غيبة تمام أهل تلك المدينة .

واذا قال أكثر أهالى المدينة الفلانية لديهم العيب الكذائى فهو خلاف الاحتياط بل لاتخلو حرمته من قوة .

كفارة الغيبة والتوبة منها :

لما كانت الغيبة من الذنوب الكبيرة وجب على المبتلى بها الندم عليها فوراً اذ أنه قد عصى ربه، وبعد الندم القلبى يستغفر بلسانه، ويصمم على أن لايعود لمثل هذا الذنب ، وحيث يظهر من بعض الروايات أن الشخص المستغاب يكون صاحب حق على المغتاب فيجب ـ فى صورة الامكان ـ طلب العفو منه وارضائه وذكره بخير مقابل استغابته قبلا، والافضل فى صورة موت المغتاب أو تعذر الوصول اليه أو كان طلب العفو منه مستلزماً لمحذور مامثل ما اذا كان المستغاب غير عارف باستغابته فاذا عرف ذلك غضب واغتاض وفى ذلك نقض للغرض ـ ففى مثل هذا الحال يستغفر له ويسأل الله أن يرضيه ، كما جاء فى الصحيفة السجادية فى الدعاء التاسع والثلاثين، وهكذا

دعاء يوم الاثنين.(١)

موارد جواز الغيبة :

ذكر الفقهاء جواز الغيبة فى عدة موارد، نكتفى هنا بعرض ما ذكره الشيخ الانصارى فى المكاسب :

١ــ غيبة المتجاهر بالفسق كمن يشرب المسكر علنا فى الطرقات، جاء فى رواية «اذا جاهر الفاسق بفسقه فلاحرمة له ولاغيبة» . وفى رواية اخرى «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» .

ويجب أن يعلم أن القدر المتيقن من جواز الغيبة فى هذا المورد هو ذكره فى ما يتجاهر به، أما جواز غيبته فى الذنوب الاخرى المستورة فهو غير معلوم وان ذكر الشيخ الانصارى أنه اذا كان الذنب المتجاهر به أشد من المستور فلا مانع من ذلك، الا أن الاحوط تركه.

ويجب أن يعلم أيضا أن جواز غيبة المتجاهر بالفسق انما هو فى صورة مالو كان المتجاهر يعترف بأن عمله ذنب، أما لو أظهر لعمله عذراً صحيحاً فان غيبته غير جائزة كما لو ادعى أنه يتناول الشراب للدواء والعلاج، وانه مقلد لشخص يراه جائزاً فى تلك الصورة، و مثل من يفطر فى أيام شهر رمضان بحجة أنه مريض أو مسافر أو بأعذار أخرى قابلة للتصديق، ومثل من يعمل فى معونة الظالمين لكن يبين عذراً لعمله شريطة أن لايكون ذلك العذر واضح الفساد كما أن الاحوط عدم استغابة المتجاهر فى غير البلد أو المحل الذى

١ــ «وأسألك فى مظالم عبادك عندى فأيما عبد من عبيدك أو أمة من امائك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها اياه فى نفسه أو فى عرضه أو فى ماله أو فى أهله وولده أو غيبة اغتبته بها أو تحامل عليه بميل أو هوى... فاسئلك يامن يملك الحاجات وهى مستجيبة لمشيته ومسرعة الى ارادته أن تصلى على محمد وآل محمد وأن ترضيه عنى بما شئت»

يتجاهر فيه .

٢ـ غيبة الظالم فى مقام الشكاية منه وبيان ظلمه لافيما عدا ذلك، قال تعالى فى سورة الشورى «ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق» .

وقال تعالى فى سورة النساء «لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم» والاحوط الاقتصار على اظهار التظلم عند من يرجو نصرته واغاثته، أما من يعلم بأنه لايجيبه أو لايستطيع أن ينصره فالاحوط أن لايشتكى عنده من الظالم ولايذكر ظلمه.

٣ـ نصح المستشير، فمتى استشاره مسلم فى معاملة يريد اجرائها مع شخص وكان فى ذلك الشخص عيب بحيث لولم يذكره للمستشير لاجرى المعاملة وتورط بضرر ومشقة، والحقيقة أن عدم ذكر العيب هنا هو خيانة بالمستشير، وعلى ذلك لامانع من ذكر العيب فى هذه الصورة .

ويجب أن يعلم أن الاحوط فى هذه المسألة مراعاة أمرين :

أحدهما :

أن يكون الضرر فى عدم ذكر العيب أكبر، أما اذا كان الامر على عكس ذلك يعنى كان الضرر فى هتك الشخص وفضحه أكبر من الضرر الذى يصل الى المستشير عند ايقاع المعاملة، فاللازم هنا الامتناع عن ذكر العيب .

والآخر أن يكون مضطراً لذكر العيب من أجل عدم ايقاع المعاملة أما اذا كان بالامكان منع المستشير عن ايقاع المعاملة من دون ذكر العيب بل يقول له مثلا : لاأرى صلاحا فى هذه المعاملة وكان المستشير

يقبل منه ذلك، فحينئذ يجب الاكتفاء بذلك .

٤ـ الغيبة بقصد النهى عن المنكر مع اجتماع شرائطه، بمعنى أنه اذا رأى منكرا من مسلم ـ وعلم أنه سوف يتركه اذا أغتابه أما اذا لم يغتابه فسوف يبقى مصراً عليه ـ جازله غيبته .

أما اذا كان يحتمل أن ذلك الشخص قد ترك المنكر ولم يصر عليه فغيبته غير جائزة، وكذلك يجب ملاحظة المفسدة الأكبر ـ كما فى المورد السابق فاذا كانت مفسدة الغيبة وهتك حرمة ذلك المسلم أكبر من مفسدة نفس المنكر فان غيبته حينئذ غير جائزة وان علم يقينا أنه سوف يترك الذنب لو اغتابه .

٥ـ غيبة الضالين المضلين المبتدعين فى دين الله، بقصد فضحهم لئلا ينخدع الناس بهم .

٦ـ غيبة الفاسق الذى نقل خبرا، أو شهد شهادة، بقصد أن يعرف فسقه فلا يقبل قوله .

٧ـ ذكر العيب الواضح المشهور مثل غيبة الاعمش والاحول و الاعرج وامثالهم، بشرط أن لايقصد بذلك الانتقاص منهم بل كان يقصد التعريف بهم، وبشرط أن لايتأذى من ذلك صاحب الوصف، أما اذا كان يتأذى من ذكره بالوصف فيجب الامتناع عنه وتعريفه بوصف آخر .

٨ـ رد مدعى النسب زوراً وكذبا، من حيث أن مصلحة حفظ الانساب أهم من مفسدة هتك المدعى .

٩ـ نقل فى كشف الريبة عن بعض الفقهاء أنه اذا رأى اثنان منكرا من شخص جاز لأحدهما نقله للآخر فى غياب صاحبه، اذ أن الناقل لايكشف بذلك أمراً خفيا على السامع، بل ينقل له مارآه.

وقد ذكر الشهيد الثانى أن الافضل ترك مثل هذا القول خصوصا

مع احتمال نسيان السامع له، أو كان يخاف أن يشتهر الموضوع .

وذكر الشيخ الانصارى أن تحدث الشخصين بهذا الذنب اذا كان بهدف الاسائة له وانتقاصه حرام والا فهو جائز .

١٠ـ وبنحو كلى فى كل مورد كانت المصلحة فى الغيبة أكثر من مفسدة هتك حرمة المؤمن كما فى الشهادة عليه فالغيبة جائزة .

استماع الغيبة حرام أيضا :

كما أن الغيبة ذنب كبير حرام فكذلك الاستماع اليها باتفاق جميع الفقهاء حرام ايضا، وورد عن رسول‌الله(ص) أنه قال :

«السامع للغيبة أحد المغتابين» ـ المستدرك ـ

وعن الامام الصادق(ع) «الغيبة كفر والمستمع لها والراضى بها مشرك» ـ المستدرك ـ

* * *

وبعد مراجعة الروايات فى شأن المؤمن وأن حرمته أعظم من حرمة الكعبة، وأن هتك حرمته على حد سفك دمه، وكشف اسراره موجب للعذاب الاليم، ومن البديهى ان الشخص السامع هو الطرف الاعظم فى الغيبة، وهتك المؤمن، ذلك أنه لولم يكن هناك سامع، أو لم يصغ السامع، فان الغيبة سوف لاتحدث على هذا فيجب على كل مسلم أن لايستمع لأحد بنقل عيب فى مؤمن، بل يجب رده والانتصار لذلك المؤمن ،

يقول رسول‌الله(ص) :

«من اغتيب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله فى الدنيا والآخره، ومن خذله وهو يستطيع نصره خذله

الله فى الدنيا والآخرة» .

وقال(ص) أيضا :

«من تطول على أخيه فى غيبة سمعها فى مجلس فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر فى الدنيا والآخرة، فان هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة».

يقول الشيخ الانصارى بعد نقل هذا الحديث «ولعل وجه زيادة عقابه أنه اذا لم يرده تجرى المغتاب على الغيبة فيصر على هذه الغيبة وغيرها. والظاهر أن الرد غير النهى عن الغيبة والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة فان كان عيبا دنيويا انتصر له بان يقول العيب ليس الاماعاب الله به من المعاصى التى أكبرها ذكرك أخاك بما لم يعبه الله به، وان كان عيبا دينيا وجهه بمحامل تخرجه عن المعصية فان لم يقبل التوجيه انتصر له بأن المؤمن قد يبتلى بالمعصية فينبغى أن يستغفر له لا أن تعير عليه وأن تعييرك اياه لعله اعظم عندالله من معصيته ونحو ذلك» .

لايجب رد الغيبة فى موارد الاستثناء :

يجب أن يعلم أن حرمة استماع الغيبة ووجوب ردها ووجوب نصرة المؤمن انما هو فى غير الصور العشر التى تجوز فيها الغيبة، بناءاً على ذلك يكون حكم الغيبة على ثلاثة أقسام .

الاول: أن يعلم بأن هذه الغيبة هى من الموارد العشرة الجائزة، ففى هذه الصورة يجوز الاستماع اليها ولايجب ردها .

الثانى : أن يعلم يقينا بان هذه الغيبة ليست من الموارد العشرة المذكورة وهنا يحرم قطعا الاستماع اليها ويجب ردها عند القدرة .

الثالث : أن يحتمل دخولها فى الاقسام العشرة الجائزة، وفى

هذه الصورة يجب أن يجمع بين ترك الاستماع اليها وردها، بل الانتصار لذلك المؤمن، وبين احترام الشخص المغتاب حيث يحتمل أنها من الموارد الجائزة وليست معصية، مثل أن يقول للمغتاب لعلك مشتبه، ويذكر للعيب وجها صحيا.

ذو اللسانين وذو الوجهين :

يقول الشيخ الانصاري في آخر بحث الغيبة من المكاسب المحرمة: «ثم انه قد يتضاعف عقاب المغتاب اذا كان ممن يمدح المغتاب في حضوره، وهذا وان كان في نفسه مباحا الا انه اذا انضم مع ذمه في غيبته سمي صاحبه ذا اللسانين».

(٢)

النميمة

الثانى من الذنوب التى ثبت أنها من الكبائر من خلال الوعيد عليها بالعذاب فى القرآن الكريم والاخبار الشريفة هو (النميمة) كما صرح باعتبارها من الكبائر الشهيد الثانى فى كشف الريبة والشيخ الانصارى فى المكاسب المحرمة واستدلوا على ذلك بعدة من آيات القرآن المجيد منها ما جاء فى سورة الرعد :

«ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار» وظاهر أن النمام ـ وهو ينقل كلاماً سمعه من شخص حول شخص الى ذلك الشخص ـ يقطع ما أمر الله بوصله، ومفسد فى الارض، اذ أنه بدل أن يوجد العلاقة والالفة والمحبة بين المؤمنين ويقوى وحدتهم، يوجد الفرقه والنفرة و العداوة بينهم، فله اللعنة وعذاب الآخرة.

ويقول تعالى فى سورة البقرة : «والفتنة أشد من القتل» وفى آية اخرى : «والفتنة أكبر من القتل» وظاهر أن الشخص النمام يشعل نار الفتنة بكلامه.

وفى سورة النور ضمن صفات الكفار الذين يستحقون النار، يقول تعالى «مشاء بنميم» أى يسعى فى النميمة .

ويقول الامام الصادق(ع) بعد بيان أقسام السحر :

«وان من أكبر السحر النميمة، يفرق بها بين المتحابين، ويجلب بها العدوارة على المتصافين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدور، ويكشف بها الستور، والنمام شر من وطىء الارض».

وقد ثبت قبلا أن السحر من الكبائر، وبناءاً على ذلك فاذا كانت النميمة أكبر أقسام السحر فهى قطعا من الكبائر.

قال(ص) :

«ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا بلى يارسول الله، فقال(ص) :

المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الاحبة، الباغون للبراء المعايب».

وروى عنه(ص) أنه قال :

«من مشى فى نميمة بين الاثنين سلط الله عليه فى قبره ناراً تحرقة واذا خرج من قبره سلط الله عليه تنينا أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار» ـ الكافى ـ

ويقول الامام الباقر(ع) :

«محرمة الجنة على القتاتين المشائين بالنميمة» ـ الكافى ـ

وقال(ص) :

«لما أسرى بى رأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن حمار، وعليها ألف الف لون من العذاب، فسئل : ماكان عملها ؟ فقال(ص) : انها كانت نمامة كذابة» ـ عيون الاخبار ـ وقدنقل فى وسائل الشيعة ـ كتاب الحج ـ اثنى عشر حديثا فى حرمة النميمة، وفى جميعها تصريح بأن الجنة حرام على النمام.

وقال تعالى فى سورة الهمزة :

«ويل لكل همزة لمزة» وويل اسم لدركة من دركات جهنم، أو اسم لحفرة فى جهنم، أو بمعنى العذاب الشديد، وهمزة بمعنى النمام

كما صرح بذلك الشهيد الثانى فى كشف الريبة، ونقل بعض العلماء فى قوله تعالى «هماز مشاء بنميم عتل بعد ذلك زنيم» أن هذه الآية لها دلالة على أن من لايحفظ سر الغير ، ويسعى فى النميمة هو ولد حرام ،اذ أن زنيم معناه نسبة شخص مجهول الاب والحاقه به .

لايسقط المطر بسبب النمام :

روى ان موسى(ع) استسقى لبنى‌اسرائيل حين أصابهم قحط فاوحى الله تعالى اليه لااستجيب لك ولالمن معك وفيكم نمام قدأصر على النميمة. فقال موسى(ع) : من هو يارب حتى نخرجه من‌بيننا ؟ فقال‌الله: ياموسى أنهاكم من النميمة وأكون نماماً؟ فتابوا باجمعهم فسقوا»(١)

معنى النميمة :

قال الشيخ الانصارى فى كتاب (المكاسب) :

«النميمة محرمة بالادلة الاربعة وهى نقل قول الغير الى المقول فيه كأن يقول تكلم فلان فيك بكذا وكذا ...

«ويدل على حرمتها مع كراهة المقول عنه لاظهار القول عنه المقول فيه جميع مادل على حرمة الغيبة ويتفاوت عقوبته يتفاوت ما يترتيب عليها من المفاسد».

وقال الشهيد الثانى فى كشف الريبة أن النميمة هى :

«كشف مايكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أم المنقول اليه أم‌كرهه ثالث، وسواءكان الكشف بالقول أم بألكتابة أوبالاشارة أم بالرأس أم بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال أم من‌الاقوال ،

١ـ كشف الريبة/الشهيد الثانى/٢٤٥

و سواء كان عيباً أو نقصاناً على المنقول عنه أم لم يكن. بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عمايكره كشفه، بل كل مارآه الانسان من احوال الانسان فينبغى ان يسكت عنه الا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما اذا رآى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة بحق المشهود عليه وأما اذا رآه يخفى مالنفسه فذكره نميمة وافشاء للسر، فان كان ماينم به نقصاناً أو عيباً فى المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة» .

وقال أيضاً :

«والسبب الباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكى، أو اظهار الحب للمحكى له، أو التفرج بالحديث والخوض فى الفضول»

«وكل من حملت اليه النميمة وقيل ان فلاناً قال فيك كذا وكذا أو هو يدبر فى افساد أمرك أو فى ممالاة عدوك أو تضييع حالك أو مايجرى مجراه فعليه ستة امور :

الاول : أن لايصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة. قال الله تعالى. (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الاية ـ

الثانى : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله. قال الله تعالى (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر)

الثالث : أن يبغضه فى الله تعالى، فانه يبغض عندالله، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

الرابع : أن لاتظن بأخيك السوء بمجرد قوله، لقوله تعالى (فاجتنبوا كثيراً من الظن) بل يثبت حتى يتحقق الحال .

الخامس : أن لايحملك ماحكى لك على التجسس والبحث لقوله تعالى (ولا تجسسوا)

السادس: أن لاترضى لنفسك مانهيت النمام عنه، فلا تحكى

نميمته فتقول فلان قد حكى لى بكذا فتكون به نماماً، وتكون قدأتيت بما نهيت عنه، وقال الشهيد الثانى ايضاً فى الكتاب نفسه :

«روى أن حكيماً من الحكماء زاره بعض أخوانــه واخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم قدابطأت فى الزيارة وأتيتنى بثلاث خيانات: تغضب الى أخى، وشغلت قلبى الفارغ، واتهمت نفسك الامينة»

«وقال الحسن «من نم اليك نم عليك» وهذه اشارة الى ان النمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بصداقته، وكيف لايبغض وهو لاينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق.....»

ثم نقل الشهيد الثانى الحكاية التاليه:

«قيل باع بعضهم عبداً وقال للمشترى مافيه عيب الاالنميمة، قال : رضيت به فاشتراه، فمكث الغلام اياماً ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لايحبك وهويريد أن يتسرى ـ التسرى هو نكاح الامة ـ عليك فخذى الموسى واحلقى من قفاه شعرات حتى أسحر عليها فيحبك، ثم قال للزوج ان امرأتك اخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف !!

فتناوم وجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام وقتلها ، فجاء أهل المرأة وقتلوا الــزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر» انتهى .

(٣)

هتك حرمة المؤمن

«هتك حرمة المؤمن بالسخرية، والشتم، والطعن، والاذلال ، والاهانة، والتوبيخ، والهجاء والايذاء»

الثالث من الذنوب الكبيرة التى أوعد الله عليها بالعذاب «هتك حرمة المؤمن».

بأى نحو كان، سواء بالسخرية، أو الشتم، أو سوء القول، أو التعيير أو الاذلال والاحتقار، أو الاستخفاف والاهانة ، أو الهجو .

المؤمن عزيز :

مما جاء من الآيات والروايات فى منزلة المؤمن يعرف أن الشارع اهتم بنحو بالغ بشأن المؤمن وشرفه، حتى كانت حرمته أعلى من كل الحرمات، وهتك حرمته من كبائر الذنوب وبمنزلة سفك دمه ، حتى أن الله تعالى ربط المؤمن بنفسه فى قوله «الله ولى الذين آمنوا» ـ السورة ٢ ـ ٢٥٧ ـ وكان الله ناصره وعونه كما فى قوله «ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا» وأوجب على نفسه نصرة المؤمن «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» ـ السورة ٣٠ ـ ٤٧ وأردف عزته بعزة الله ورسوله «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» ـ السوره ٦٣ ـ ٨ ـ

وجعله أفضل أفراد البشر «أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» السورة ٩٨ ـ ٧

وأمر أشرف مخلوقاته وهو خاتم الانبياء (ص) بالتواضع للمؤمنين وذلك فى قوله تعالى «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» السوره ٢٦ ـ ٢١٥ .

وأوجب على نفسه الرحمة بهم «كتب ربكم على نفسه الرحمة» السورة ٦ ـ ٥٤، بل اشترى منهم اموالهم وانفسهم «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم» السورة ٩ ـ الاية ١١١، وبين حبه وحبهم له «يحبهم ويحبونه» «والذين آمنوا أشد حبا لله» .

وبالجملة فان انتساب المؤمن وارتباطه بالله ظاهر، وبديهى أن هتك حرمة من يرتبط بعظيم هتك لحرمة ذلك العظيم فى الحقيقة كما فى الحديث النبوى الشريف : «ان الله خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته فمن طعن عليه أو رد عليه قوله فقد رد على الله» ـ الوسائل ـ

وعن الامام الكاظم عليه السلام قوله «ما أعظم حقك ياكعبة! والله ان حق المؤمن لأعظم من حقك» ـ سفينة البحار ـ

ومن هنا يعلم كم هو ذنب عظيم هتك حرمة المؤمن، ولأجل اطلاع القراء الاعزاء وتأكيد ماتقدم نذكر بعض الايات والروايات بخصوص كل واحد من العناوين المذكورة .

١ـ الاستهزاء والسخرية :

وهو بيان قول الغير أو عمله أو وصفه أو خلقته بنحو يضحك الآخرين، سواءا كان ذلك بالقول أو بالعمل بالايحاء والاشارة أو الكناية . ولاشبهه فى ان ذلك من الكبائر، حيث جاء الوعيد عليه بالعذاب فى القرآن المجيد والروايات المستفيضه .

يقول تعالى فى سورة التوبة : «الذين يلمزون المطوعين من فتناوم وجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام وقتلها،

المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الاجهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم». ووردت فى شأن نزول هذه الآية عدة روايات خلاصتها ان رسول‌الله(ص) فى غزوة تبوك أمر بأن ينفق المسلمون مما عندهم لتغطية نفقات جيش الاسلام، فاعطى بعض الاغنياء مالا كثيرا وأعطى بعض الفقراء مالا قليلا، وجاء ابوعقيل الانصارى بنصف صاع من التمر وقال: عملت ليلة أمس حتى الصباح فكان حاصلى صاعا من التمر أعطيت نصفه لعيالى وأنفقت النصف الآخر فى سبيل الله .

وسخر المنافقون بكلا القبيلين، واعابوا كلا الفريقين الاغنياء والفقراء، اما اولئك الذين تصدقوا بمال كثير فقالوا عنهم أنهم يريدون أن يضعوا أنفسهم فى عداد المنفقين، أو يريدون أن ينبهوا الناس لحالهم فيتصدقوا عليهم .

وجزاء هؤلاء المستهزئين بالمؤمنين أمران :

احدهما أن يسخر الله منهم والآخر العذاب الاليم .

وفى بيان المراد من السخرية الالهية ذكروا عدة وجوه منها:

ان الله تعالى يمهل هؤلاء المستهزئين فى الدنيا ويجعلهم فى نعمة ورفاه، وحين يصلوا الى غاية الطغيان يهلكهم فجأة، والسخرية فى هذا الأمر ناشئة من أن المهلة والرفاه ظاهرة ولكنه فى الحقيقة استدراج وهلكه، واما فى الآخره فالسخرية بالشكل التالى: حيث يجلس المؤمنون على الأسرة فى الجنة بينما يلبث الكافرون فى النار، تفتح ـ بأمر الله ـ باب من ابواب النار الى جهة الجنة، وحين يرى المنافقون الجنة يسرعون اليها، فيصلون بعد عناء الى باب الجنة ويراهم أهل الجنات وهم فى مقاماتهم العالية، وحين يريدون دخول الجنة تغلق أبوابها فورا فيسخر منهم المؤمنون، وذلك هو جزاء

سخريتهم من المؤمنين فى الدنيا .

اليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون :

قال تعالى فى سورة التطفيف «ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون.. فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون،». وفى هذه الآيات عد المستهزىء بالمؤمنين مذنباً ومجرما، بمعنى أنه ملوث بالمعصية، منجر الى الكفر، مقطوع عن الحق والخير ومكانه فى الآخرة فى مقابل المؤمنين، وظاهر أن مقابل الجنة النار .

لعل اولئك أفضل :

قال تعالى فى سورة الحجرات «يا ايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولاتلمزوا انفسكم ولاتنابزوا بالالقاب» .

ويروى فى تفسير مجمع البيان أنها نزلت فى ثابت بن قيس حيث كان ثقيل السمع وكان اذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يجلس قريبا من النبى(ص) يسمع مايقول فدخل المسجد مرة وقد فرغ الناس من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا حتى انتهى الى رجل فقال له أصبت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة قال من هذا؟ قال الرجل أنا فلان فقال ثابت ابن فلانة؟

وذكر أمّاله كان يعير بها فى الجاهلية، فنكس الرجل رأسه حياءاً فنزلت الآية. وأما قوله «ولانساء من نساء» فقد ذكر فى المجمع أنها نزلت كما يروى أنس فى بعض نساء النبى(ص) حيث سخرن من ام

سلمه، وذلك أنها ربطت حقويها بثوب أبيض وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة أنظرى ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب، وسخرتا بأم سلمه .

وايضا روى أنهما سخرتا بصفية بنت حيبن أخطب زوجة الرسول(ص) وقالتالها يابنت اليهودى فأنزل الله تعالى «ولاتلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب». وقال رسول الله(ص) :

«ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم من باب الجنة فيقال: هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال: هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فمايزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال: هلم هلم فما يأتيه» المحجة البيضاء/ ح ٥ / ٢٣٦

٢ـ السب والطعن :

وهو نسبة الامور القبيحة للمؤمن ونداؤه بكلمات نابية وفى اصطلاح الفقهاء يقال لنسبة الزنا اليه أو بأنه ولد حرام قذف. وقد ذكرناه فى الباب الاول، ويقال لباقى النسب القبيحة سب مثل: يامرابىء ملعون، خائن حمار، خنزير، فاسق، فاجر، وامثال ذلك مما يتضمن الاهانة، والتحقير للمخاطب .

يقول الرسول الاكرم(ص) :

«ساب المؤمن كالمشرف على الهلكة» ـالكافىـ ولعل المراد أن سب المؤمن اقتراب نحو الكفر والخروج من الدين ذلك لأن عاقبة الاصرار على الكبائر هى الكفر. وهكذا قال(ص) : «سباب المؤمن فسوق وقتاله، كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه» ـالكافىـ

وقد ذكر العلامة المجلسى فى شرح هذا الحديث أن اثم السب أعظم من الغيبة خصوصا مع ملاحظة أن المؤمن يتأذى من السب أكثر وذلك لأن فى السب ايذاء له بوجهه وأما فى الغيبة فالايذاء خلفه .

يموت شرميتة :

عن الامام الباقر(ع) أنه قال :

«مامن انسان يطعن فى عين مؤمن الا مات بشر ميتة وكان حقا الا يرجع الى خير» ـالكافى ـ

ويقول العلامة المجلسى فى شرح هذا الحديث ان شر ميتة اما بحسب الدنيا مثل أن يموت بغرق، أو احتراق، او انهدام عمارة عليه، أو يكون فريسة لحيوان وما ماثل ذلك، واما بحسب الآخرة مثل أن يموت كافرا أو بلا توبة .

والمراد من الخير ـ فى الحديث ـ التوبة والعمل الصالح مع الايمان.

احيانا يصبح المظلوم ظالما :

عن أبى الحسن موسى(ع) فى رجلين يتسابان، فقال(ع): (البادىء منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه مالم يتعد المظلوم» ـالكافى ـ باب السفه ـ

وقد ذكر العلامه المجلسى فى شرح هذا الحديث ما ملخصه أن اثم كلا الطرفين المتسابين يجعل على الطرف البادىء وذلك لأنه ارتكب حراماً من ناحية، وصار سبباً فى ارتكاب الطرف الآخر للحرام من ناحية ثانية، اذ لولم يبتدأ الاول بالسب لسكت الطرف الثانى . ورغم أن السب من الطرف الثانى ـ المظلوم ـ حرام أيضاً الا أن الشارع قد جعل وزره على البادىء بشرط أن لايتعد المظلوم فلو

تعدى فهو فى حكم المبتدى بالنسبة للزيادة .

التعدى بالتكرار أو بالأشد :

التعدى فى الجواب قد يكون بالتكرار، مثل أن يسبه مرة واحدة بالقول (ياكلب) فيقول له فى الجواب مرتين (ياكلب ياكلب)، وقد يكون التعدى بالاجابة بما هو أشد، مثل أن يقول لمن قال له ياحمار: ياكلب، وماقيل من أن وزر الجواب بالمثل على البادىء لا يبعد أنه فى صورة ما اذا لم يكن السب بالاساس قذفا وكذبا، اما اذا قال له البادىء يازانى، أو ياسارق فانه لايستطيع أن يقول له فى الجواب مثل ذلك فى حين أنه ليس بسارق .

وبالجملة ففى مقام الجواب يجب الاقتصار على السباب التى يقال عادة فى مقام التأديب كالقول يا أحمق، جاهل، ظالم، غافل، وامثال ذلك .

الجنة حرام على بذىء اللسان :

قال رسول الله (ص) :

«ان الله حرم الجنة على كل مخاشن بذىء قليل الحياء لايبال ماقال ولاماقيل له، فانك ان فتشته لم تجده الالغية أو شرك شيطان فقيل : يارسول الله أفى الناس شرك شيطان؟

فقال (ص) تقرء قول الله تعالى «وشاركهم فى الاموال والاولاد» الكافى ـ باب البذاء

ونقل العلامه المجلسى عن الشيخ البهائى قوله لعل المقصود حرمة الجنة عليه لأمد ما، أوأن المقصود أن جنة خاصة هى المحرمة عليه ومعدة لمؤمن غير فحاش. وروى سماعة قال:

دخلت على ابى عبدالله(ع) فقال لى مبتدءاً ياسماعة ماهذا الذى بينك وبين جمالك؟ اياك أن تكون فحاشا أو صخابا أو لعاناً، فقلت: والله لقد كان ذلك انه ظلمنى، فقال(ع) : ان كان ظلمك لقد أربيت عليه، ان هذا ليس من فعالى ولاآمر به شيعتى استغفر ربك ولاتعد» الكافى ـ باب البذاء .

وقال رسول الله(ص) :

«من طعن فى مؤمن شطر كلمة حـرم الله عليه ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام» المستدرك ـ كتاب الحج.

والروايات فى هذا المقام كثيرة نكتفى بما ذكرناه .

وهنا يجب أن نلفت النظر الى أمرين :

احدهما :اذا سب أحد مؤمنا فمضافاالى العقاب الاخروى سيكون لذلك المؤمن عليه حق لأنه قد آذاه، ويستطيع أن يشتكى الى الحاكم الشرعى، والحاكم الشرعى يعزره بما يراه صلاحا، كما تقدم ذلك فى بحث القذف، كما أنه اذا اعتذر ممن سبه سقط عنه التعزير .

والآخر : انه اذا ندم من هذا الذنب، وسأل الله أن يعفو عنه ، سقط عنه العذاب الاخروى أيضا .

البذاء بأى نحو كان :

عن الامام الصادق(ع) «البذاء من الجفاء والجفاء فـى النار» ـالكافىـ

وقد ذكـر المحقق الميرزا محمد تقى الشيرازى فـى حاشية المكاسب أن مقتضى اطلاق الروايات حرمة الفحش مع أى أحد مسلما مؤمنا كان أو كافرا فاسقا صغيراً أم كبيرا، بك يمكن القول بذلك حتى لوكان صغيرا وغير مميز، بل ورد النهى فى بعض الروايات

عن سب الحيوان ولعنه .

حرمة السب اذا أدى الى رد فعل :

لايجوز سب المخالف أو الكافر اذاكان سببا فى أن يعود عليه أو على مؤمن آخر بالسباب، كما لايجوز سب المقدسات الدينية لأية أمة من العالم، ذلك أن السامع من تلك الامة سيعود ويسب مقدسات الدين الالهى، وحيئنذ يكون وزره على البادىء، كما نهى تعالى عن ذلك صريحا فى سورة الانعام حيث قال تعالى «ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم».

كتب فى تفسير الميزان :

«الاية تذكر أدبا دينيا تصان به كرامة مقدسات المجتمع الدينى وتتوقى ساحتها أن يتلوث بدرن الاهانة والازراء بشنيع القول و السب والشتم والسخرية ونحوها فأن الانسان مغروز على الدفاع عن كرامة ما يقدسه والمقابلة فى التعدى على من يحسبه متعدياً الى نفسه، وربما حمله الغضب على الهجر والسب لماله عنده أعلى منزلة العزة والكرامة فلوسب المؤمنون آلهة المشركين حملتهم عصبية الجاهلية أن يعارضوا المؤمنين بسب ماله عندهم كرامة الالوهية وهو الله عزاسمه ففى سب آلهتهم نوع تسبيب الى ذكره تعالى بمالا يليق ساحة قدسه وكبريائة» .

٣ـ اذلال المؤمن واحتقاره :

عن الامام الصادق(ع) :

«من استذل مؤمنا واستحقره لقلة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» اصول الكافى .

وقال(ع) :

«من حقر مؤمنا مسكينا أو غير مسكين لم يزل الله حاقرا له ماقتا حتى يرجع عن محقرته اياه» الكافى .

وقال(ع) :

«ان الله تعالى يقول من أهان لى وليا فقد أرصد لمحاربتى وانا أسرع شىء الى نصرة اوليائى» الكافى .

وروى ابو هارون عن الامام الصادق(ع) أنه :

«قال لنفر عنده وأنا حاضر : مالكم تستخفون بنا؟

فقام اليه رجل من خراسان فقال: معاذ الله لوجه الله أن نستخف بك أو بشىء من أمرك،

فقال(ع) : بلى انك أحد من استخف بى ،

فقال : معاذا لوجه الله أن أستخف بك !

فقال له(ع) : ويحك ألم تسمع فلانا ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك احملنى قدر ميل فقد والله عييت، والله مارفعت به رأسا لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيع حرمة الله عزوجل» الوسائل ـ كتاب الحج ـ باب ١٤٨

٤ـ تعنيف المؤمن وذمه :

عن الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام «أقرب مايكون العبد الى الكفر أن يؤاخى الرجل على الدين فيحصى عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوما ما» الكافى .

وقال الرسول الاكرم(ص) :

«يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه، لاتذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عوارتهم تتبع الله عورته

ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى بيته» الكافى .

وعن الامام الصادق(ع) قوله :

«من أنب مؤمنا أنبه الله فى الدنيا والآخرة» الكافى ،

وهكذا قال رسول‌الله(ص) :

«من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن عير مؤمنا بشىء لم يمت حتى يرتكبه» الكافى .

ولايبقى خفياً أن حرمة تعنيف المؤمن لاتتنافى مع النهى عن المنكر، اذ فى الحقيقة أن النهى عن المنكر نصيحة، وشفقة، وطلب الخير، وبالتفصيل المتقدم وذلك غير التوبيخ والتعنيف .

قال الامام الصادق(ع) :

«من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله من‌ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان». الكافى .

قال العلامة المجلسى فى شرح هذا الحديث : «من روى على مؤمن» بأن ينقل عنه كلاماً يدل على ضعف عقله وسخافة رأيه ... ويحتمل شموله لرواية الفعل ايضاً...

وقال فى معنى «أخرجه الله من ولايته» المراد اما المحبة و النصرة فيقطع الله عنه محبته ونصرته ويكله الى الشيطان ... وعدم قبول الشيطان له لأنه ليس غرضه من اضلال بنى‌آدم كثرة الاتباع والمحبين فيودهم وينصرهم اذا تابعوه، بل مقصوده اهلاكهم و جعلهم مستوجبين للعذاب للعداوة القديمة بينه وبين أبيهم، فاذا حصل غرضه منهم يتركهم ويشمت بهم ولايعينهم فى شىء...»

وفى رواية محمدبن فضيل عن ابى الحسن موسى(ع) قال :

قلت له : جعلت فداك الرجل من اخوانى يبلغنى عنه الشى،

الذى أكرهه فاسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرنى عنه قوم ثقات.

فقال لى : يامحمد كذب سمعك وبصرك عن اخيك، فان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولا فصدقه وكذبهم، ولاتذيعن عليه شيئا تشينه به، وتهدم به مروته فتكون من الذين قال الله : ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين أمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة»(١).

وقال رسول الله(ص) :

«من مشى فى عيب أخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها فى جهنم وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق» الوسائل.

وقال الامام الصادق(ع) :

«من روى رواية على أخيه يريد بها شينه وهدم مروته أوقفه الله فى طينة خبال» المستدرك ـ الحج ـ باب ١٣٧

وقال(ع) :

«من اطلع من مؤمن على ذنب أو سيئة فافشى ذلك عليه ولم يكتمها ولم يستغفر الله له كان عند الله كعاملها وعليه وزر ذلك الذى أفشا عليه وكان مغفوراً لعاملها وكان عقابه ماأفشى عليه فى الدنيا مستوراً عليه فى الآخرة ثم يجد الله أكرم من أن يثنى عليه عقاباً فى الآخرة» ـ المستدرك ـ

وفى هذا المقام روايات عديدة نكتفى بماذكرناه.

٥ـ هجاء المؤمن بالشعر أو النثر :

يقول الشيخ الانصارى عليه الرحمة :

«هجاء المؤمن حرام بالادلة الاربعة لأنه همز ولمز وأكل اللحم وتعيير

١ـ وسائل الشيعة/كتاب الحج/باب ١٥٧

واذاعة سروكل ذلك كبيرة موبقة فيدل عليه فحوى جميع ماتقدم في الغيبة بل البهتان أيضا بناءا على تفسير الهجاء بخلاف المدح» .

«ولافرق فى المؤمن بين الفاسق وغيره، وأما الخبر «محصوا ذنوبكم بذكر الفاسقين» فالمراد به الخارجون عن الايمان أو المتجاهرون بالفسق» .

«واحترز بالمؤمن عن المخالف فأنه يجوز هجوه لعدم احترامه، وكذا يجوز هجاء الفاسق المبدع لئلا يؤخذ ببدعته» المكاسب .

٦ـ أيذاء المؤمن :

قال تعالى فى سورة الاحزاب «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا» .

وقال الامام الصادق (ع) :

«ليأذن بحرب منى من آذى عبدى المؤمن وليأمن من أكرم عبدى المؤمن» ـ الكافى ـ

وقال رسول الله (ص) : من آذى مؤمنا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فهو ملعون فى التوارة والانجيل والفرقان» ـ المستدرك ـ

وقال :

«من أحزن مؤمنا ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه» .

وقال : «من آذى مؤمنا بغير حق فكأنما هدم مكة وبيت المعمور عشر مرات وكأنما قتل ألف ملك من المقربين» ـ المستدرك ـ

عقوبة ايذاء الجار أشد :

فى عدة مواضع حرم الشارع المقدس بنحو أكيد ايذاء الغير ووضع

لها عقوبة دنيوية وأخروية أكبر، من جملة تلك المواضع الجار .

وفى رواية عن الامام الصادق(ع) أنه جاء رجل من الانصار الى رسول‌الله(ص) فقال : «انى اشتريت داراً فى بنى فلان وان أقرب جيرانى منى جوارا من لا أرجو خيره ولا آمن شره .

قال : فأمر رسول‌الله(ص) عليا وسلمان وأباذر أن ينادوا فى المسجد بأعلى أصواتهم بأنه لاايمان لمن لـم يؤمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثا»

ثم أوما بيده(ع) الى كل أربعين دارا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله» ـ اصول الكافى ـ كتاب العشرة .

وفى مصحف الزهراء عليها السلام :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤذى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» .

وعن الامام الصادق(ع) قوله :

ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره» ـ الكافى ـ

وروى عن رسول‌الله(ص) :

«من آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيع حق جاره فليس منا، ومازال جبرئيل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» الوسائل ـ كتاب الحج .

ويوما قال لرسول‌الله(ص) أصحابه : «فلانة تصوم النهار، و تقوم الليل وتتصدق، وتؤذى جارها بلسانها ؟

قال(ص): لاخير فيها، هى من أهل النار، وفلانة تصلى المكتوبة وتصوم شهر رمضان، ولاتؤذى جارها، قال(ص) هى من أهل الجنة» المستدرك ـ الحج باب ٧٢

وايضا قال(ص) :

«الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق حق الاسلام وحق الجوار وحق القرابة، ومنهم من له حقان حق الاسلام وحق الجوار، ومنهم من له واحد الكافر له حق الجوار» المستدرك ـ الحج ـ باب ٧٢

وعن الامام الصادق(ع) أنه قال: «ملعون ملعون من آذى جاره» المصدر السابق وعنه(ع) أيضاً قال: أن يعقوب لما ذهب منه بن يامين نادى يارب ألا ترحمنى أذهبت عينى وأذهبت ابنى فأوحى الله تبارك وتعالى اليه لو أمتهما لأحييتهما حتى أجمع بينك وبينهما ولكن تذكر الشاة التى ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان الى جنبك صائم لم تنله منها شيئاً» ـ المستدرك ـ

وفى رواية أخرى قال : فكان بعد ذلك يعقوب(ع) ينادى مناديه كل غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت الى يعقوب، واذا أمسى نادى ألا من أراد العشاء فليأت الى يعقوب» الكافى .

حقوق الجار :

يجب التعامل مع الجار بالمحبة واللطف، وعدم قطع الاحسان اليه وعدم مضايقته فيما يحتاج اليه، واعتباره كالشريك فى المال، والسلام عليه وعدم تتبع مايريد ستره، وعيادته اذا مرض، وتعزيته فى المصيبة، وتهنئته فى الافراح، وان اطلع منه على عيب أخفاه، والعفو عنه اذا أخطأ، والسماح له اذا أراد الاستفادة من جدار البيت، وعدم ممانعته اذا أراد أن ينصب ميزابا على فضاء الجار، وعدم ممانعته فى الاستفادة من الامور المنزلية اللازمة له، وغض النظر عن أهله وعياله، ومراقبة داره حال غيابه، والحنان على أطفاله، و نصيحته بمافيه مصلحة دينه ودنياه ومعونته اذا طلب العون، واقراضه

اذا اقترض، وعدم رفع البناء على داره بنحو يحبس الهواء عنه الا بأجازته وارسال الطعام اللذيذ الذى يشتريه لمنزله الى جاره وان لم يكن ذلك ميسورا يجب اخفاء الطعام حتى لايشم رائحته الاطفال فيتأذون فلعله لايستطيع توفيره لهم .

ايذاء الزوج :

قال الرسول الله (ص) :

«من كان له أمرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولاحسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وان صامت الدهر وقامت واعتقت الرقاب و أنفقت الاموال فى سبيل الله وكانت أول من تردالنار» .

ثم قال (ص) :

«وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب اذا كان مؤذيا ظالما، و من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه اعطاه الله له بكل مرة يصبر عليها من الثواب مثل ما اعطى أيوب على بلائه وكان عليها من الوزر فى كل يوم وليلة مثل رمل عالج فأن ماتت قبل أن يرضى عنها حشرت يوم القيامة منكوسة مع المنافقين فى الدرك الاسفل من النار»

«ومن كانت له امرأة ولم توافقه ولم تصبر على مارزقه الله وشقت عليه وحملته مالم يقدر عليه لم يقبل الله لها حسنة تتقى بها النار وغضب الله عليها مادامت كذلك» . الوسائل ـ كتاب النكاح / ٨٢

ايذاء الفقير :

قال تعالى فى سورة البقرة «لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى» وقال تعالى «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى» .

وروى «لايدخل الجنة منان بأفعال الخير اذا عمله» (لئالى الاخبار

/ ٢٧٧) وفى حديث آخر ان الجنة حرام عليه .

وقال(ع) :

«المنان على الفقراء ملعون فى الدنيا والآخرة، والمنان على أبوابه واخواته واخوانه بعيد من الرحمة من الملائكة قريب من النار لايستجاب له دعوة ولا يقضى له حاجته ولاينظر الله اليه فى الدنيا والآخرة.»

***

(٤)

المكر والخديعة

الرابع من الكبائر التي ورد الوعيد عليها بالنار (المكر والغدر والخديعة)، كما جاء في الروايات المستفيضة الوعيد بالنار على كل واحد من هذه الثلاث، من جملتها ماجاء في اصول الكافي في كتاب الايمان والكفر باب المكر والغدر والخديعة حيث نقل سته أحاديث نذكر منها اثنين كنموذج .

عن امير المؤمنين(ع) أنه قال :

«لولا ان المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس» .

قال(ع) :

«الا وان الغدر والفجور والخيانة في النار» .

وجاء في وسائل الشيعة عن رسول الله(ص) أنه قال :

«من كان مسلما فلا يمكر ولايخدع، فأني سمعت جبرئيل يقول: ان المكر والخديعة في النار، ثم قال(ص) ليس منا من غش مسلما وليس منا من خان مسلما» وقريب من هذا المضمون عدة احاديث أخرى، كما نقل في المستدرك روايات بهذا المضمون أيضا من جملتها أن الناس أجمعوا عليه فقالوا له «أكتب يا أمير المؤمنين الى من خالفك بولايته ثم اعزله» فقال(ع) : «المكر والخديعة والغدر في النار» ـ المستدرك ـ

معنى المكر والغدر والخدعة :

الغدر بمعنى نقض العهد، وقد ذكر مفصلا فـى الباب الاول الذنب الحادى والعشرين، أما المكر والخدعة فكلاهما بمعنى قصد السوء للغير من طريق لايعلمه، مثل أن يكون ظاهره الاحسان اليه الا ان باطنه الاساءة اليه، أو ان يكون ظاهره المحبة والتوافق معه ولكنه فى الباطن عداء ومخالفة، أو أن يفهمه ظاهرا أن لاغرض له معه ولكنه فى الباطن ينصب له كمينا ليقع فيه، وخلاصة المكر والخدعة أن يكون له وجهان ولسانان وظاهر جميل وباطن قبيح، والمكـر و الخدعة على قسمين :

الاول: المكر والخدعة مع الله والرسول والامام .

الآخر : المكر والخدعة مع الناس .

مخادعة الله :

ان أسوء مراتب المخادعة مـع الله مخادعة المنافقين، الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر، كما يقول تعالى فى سورة البقرة «يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون».

ولو قيل : ان الخدعة انما هى فى مورد يكون المخدوع غافلا وجاهلا بالخدعة، فكيف تكون الخدعة مع الله؟

الجواب : ان هؤلاء حيث يخادعون الرسول(ص) والمؤمنين فهم فى حكم من يخادع الله، أو بمعنى أن هؤلاء المنافقين يتعاملون مع الله تعاملا مخادعا حين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان .

ومعنى أنهم يخدعون أنفسهم هو أنه لايصل بخدعتهم ضرر الى الرسول(ص) والى المؤمنين، انما الضرر يعود عليهم، حيث يحرمون من كل خير وسعادة، ويبتلون فى الدنيا بالخزى والافتضاح،

وفى الآخرة بالعذاب الالهى .

ومن جملة موارد الخداع مع الله الرياء فى العبادة على تفصيل تقدم فى أخر بحث الشرك .

ادعاء المقامات الدينية :

من جملة مراتب الخدعة مع الله ادعاء بعض المقامات الدينية العالية فى حين أنه فاقد لها بالحقيقة. مثل مقام الصبر والشكر و التوكل والمحبة والرضا والتسليم والاخلاص، فيدعى أن معبوده الله واحد لاغير ويقول «اياك نعبد) فى حين أنه يعبد الشيطان، أو يقول (الله اكبر) فى حين أنه يعطى للمال والجاه والشؤون الدنيوية اهتماما كبيراً، وهى متجذرة فى قلبه، بحيث لو قيل له اترك الذنب الفلانى قربة الى الله لم يترك، ولكن اذا علم بأن فيه ضرر فى ماله أو كرامته أو سائر شؤونه الدنيوية تركه يقول الامام الصادق(ع) :

«اذا كبرت ـ فى الصلاة ـ فاستصغر مابين السماوات العلى والثرى دون كبريائه فأن الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفى قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب أتخد عنى؟ و عزتى وجلالى لأحرمنك حلاوة ذكرى..» المستدرك ـ الصلاة ـ باب ٢

مخادعة ائمة الدين :

مخادعة أئمة الدين مثل أن يخاطبهم فيقول «موالكم ولأوليائكم» والحال أنه لاعلاقة له بمحبيهم، ولايلاحظ نسبتهم لأهل البيت(ع)، أو يقول «التارك للخلاف عليكم» والحال أنه خالفهم ويخالفهم آلاف المرات، ونظير ذلك كما أشير اليه فى بحث الكذب .

مخادعة عباد الله :

انواع التحايل، والخداع، والتضليل المتداول بين الغافلين عن الآخرة هومن هذا القبيل ـ اى مخادعة عباداللهـ وجميع ذلك ذنب كبير وحرام، وكلما كانت مفسدته أكبر كانت حرمته وعقوبته أشد.

يقول تعالى فى سورة فاطر : «ولايحيق المكر السيء الا بأهله» ذلك ان كل مكر هو سبب فى ذلة الماكر وتسافلـه، وبالعكس سبب فى عزة المخدوع وارتفاع درجته اما فى الآخرة فقط حيث يتسافل الماكر فى قعر جهنم، ويرتفع المخدوع بسبب الظلم الذى أصابه فى درجات الجنة، وأما فى الدنيا والآخرة معا كما نجد أن المخادع غالبا يفتضح فى الدنيا ويصيبه ضرر مكره وخداعه، والمسألة بدرجة كبيرة من الوضوح حتى كتب فى (منهج الصادقين) ان هذا المعنى ذهب مثلا عند العرب فقيل «من حفر بئرا لأخيه وقـع فيها» وعند العجم «لاتعمل سوءا فتراه، ولا تحفر بئرا فتقع فيها» وقيل أيضا «من حفر بئرا لأخر، وقع فيه أولاً ثم الآخر»(١)

١ـ جاء فى تفسير (منهج الصادقين) :

يذكر فى كتب التواريخ ان شخصين حصلا على فضة كثيرة، وخوفا من السارق اتفقا على اخفائها فى بطن شجرة جوفاء، ولكن أحد هذين الشخصين جاء فى الليل وسرق جميع الفضة. وفى اليوم التالى حين جاء الشخصان معا ليأخذا الفضة، لم يعثروا عليها، فأخذ الشخص الذى سرقها بالامس بتلابيب الشخص الثانى قائلا : اننا حين أخفينا الفضة لم يكن يطلع على ذلك أحد سواك، اذن فأنت السارق لها يقينا، وكلما حلف ذلك الشخص على نفى سرقته لها كلما أصر الاول على دعواه حتى وصل أمرهما الى الحاكم، فطلب الحاكم من المدعى ـ وهو الشخص السارق ـ أن يحضر شاهدا على دعواه ، فقال له المدعى : ان الشجرة نفسها تشهد على أن الشخص الأخر هو الذى سرق الفضة، وفى السر طلب من أخيه أن يذهب ليلاً ليستقر فى جوف تلك الشجرة ويشهد فى الصباح اذا طلب الحاكم من الشجرة أن تشهد بأن الشخص الثانى ـ المتهم ـ هو الذى سرق الفضة، وهكذا كان ففى الصباح حين ذهب ←

ذوالوجهين واللسانين مغادع ايضا :

عن الامام الصادق(ع) أنه قال: «من لقى المسلمين بوجهين و

→

الحاكم معجماعة من الناس الى تلك الشجرة قال الحاكم : أيتها الشجرة، بالله الذى خلقك من الذى سرق من جوفك الفضة ؟

فأجاب أخوالسارق من جوفها : فلان ـ وذكر المتهم ـ هو الذى سرق الفضة!! فرأى الحاكم بذكائه أن يحرق تلك الشجرة لكى لاتكون سببا فى الفساد من حيث أنها شجرة تنطق على خلاف ماهو المعتاد فى الاشجار وبالتالى أمر بأحراقها، ولكن ذلك الشخص المستقر فى جوفها لم يتكلم خوفا حتى وصلت النار اليه، فعلى صراخه أخيراً وعرف الناس بالخبر فاخرجوه وهو نصف ميت فأخذ الحاكم المال واعطاه لصاحبه ثم عزر ذلك الشخص الماكر

وينقل المحدث الجزائرى فى كتاب (زهرالربيع) أنه كان شخص فى أصفهان أراد أن يضرب زوجته، فضربها بالعصا لعدت مرات، فماتت صدفة من دون أن يقصد هو قتلها، بل كان غرضه تأديبها، بعد ذلك خاف من عشيرتها ولم يجد حيلة للخلاص من شرهم، فخرج من منزله وقص القصة على أحد معارفه، فقال له ذلك الشخص ان طريق الخلاص هو أن تعثر على شخص جميل الصورة وتدعوه لبيتك بعنوان الضيافة، ثم اقطع رأسه وضع جسده فى جنب جنازة المرأه، وقل لعشيرتها اننى وجدت هذا الشاب يزنى معها فلم أتحمل وقتلتهما معا.

وحين سمع الحيلة منه جلس على باب داره حتى جاء شاب وسيم فأصر عليه بان يدخل المنزل فدخل المنزل فقتله، ولما جاء أقرباء الزوجة وشاهدوا الجنازتين، وقص عليهم القصة ذهبوا راضين .

وكان لذلك الشخص ـ صاحب الحيلة ـ ولد، ولم يرجع الى منزله ذلك اليوم، فاضطرب الأب الحيال ـ وذهب الى بيت ذلك الزوج وسأله عن الحيلة التى علمهاإياه هل نفذها؟ فقال : نعم، فقال له : أرنى ذلك الشاب الذى قتلته؟ فلما رآه وجده ابنه وقد قتل بسبب حيلة أبيه، فكان ذلك مصداقا للقول المعروف «من حفربئرا لأخيه أوقعه الله فيه».

ومثل هذه القصة فى كتب التواريخ قصص كثيرة. وقد نقل فى كتاب (المحجة البيضاء) قصة تناسب بحث الحسد والمكر، وسوف نذكرها فى بحث الحسد ـ ان شاء ا... تعالى.

لسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار» ـ الكافي ـ

وعن الامام الباقر(ع) :

«بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطرى أخاه ظاهرا، ويأكله غائبا، ان أعطى حسده، وان ابتلى خذله» الكافي .

وقال رسول الله(ص) :

«يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه فى قفاه وآخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلهبا جسده ثم يقال هذا الذى كان فى الدنيا ذا وجهين ولسانين يعرف بذلك يوم القيامة» .

وقال(ص) :

«من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار».

ـ الوسائل ـ الحج ـ

من هو ذو الوجهين وذو اللسانين ؟

١ـ ذو اللسانين هو صاحب الكلمات المتضادة والمتناقضة و يتحدث باحاديث مختلفة من أجل تحصيل المنافع الدنيوية ومن دون ضرورة لذلك، مثلا يعترف بشيء ثم ينكره بعد ذلك، أو يشهد على شيء ثم يظهر خلافه بعد ذلك، أو يمدح أحداً حال حضوره ولكنه عند غيابه يعطن به .

٢ـ وذو الوجهين وذو اللسانين هو صاحب العلاقة بين عدوين يتكلم مع كل واحد منهما بلسان يوافقه وهذا هو عين النفاق .

٣ـ اذا كان بين شخصين عداوة وكل يتناول صاحبه فى حال غيابه بكلام شديد، فمن ينقل كلام كل واحد الى الاخر هو شخص ذو لسانين، وهذا العمل أسوء من النميمة، اذ أن النميمة هى نقل كلام الشخص لمن يعود عليه ذلك الكلام، اما اذا نقل كلام الطرف الآخر

فانه يصبح ذا لسانين .

٤ـ ومن يلتقى بكل واحد من هذين المتخاصمين ويمدحه و يفضله على صاحبه، فهذا ايضا ذو لسانين .

٥ـ من يمد كلا هذين المتخاصمين بالعون والمساعدة على الآخر، فهذا ايضاً ذو لسانين

والخلاصة أن الشخص فى جميع هذه الموارد يقال له ذو لسانين وذو وجهين .

ولايفوتنا القول أن الصداقة واظهار المحبة مع كلا الشخصين المتنازعين من دون نقل كلام أحدهما للأخر، ولا تفضيله، ولا وعده بالمساعدة على صاحبه، فلا مانع منه، وليس هو ذولسانين.

الغش أيضا مخادعة مع الناس :

من أقسام خداع الناس الغش فى المعاملة، وذلك بخلط الجنس الذى يبيعه أو أى شىء آخر بحيث يخفى ذلك، مثل خلط الحليب بالماء أو خلط الجيد والردىء من الجنس الواحد ويبيعه على اعتبار أنه من النوع الجيد(١)

عن الامام الباقر(ع) أنه قال :

«مر النبى(ص) فى سوق المدينة بطعام فقال لصاحبه: ما أرى طعامك الا طيبا وسأله عن سعره، فأوحى الله عزوجل اليه أن يدس يده فى الطعام ففعل فأخرج طعاما رديا، فقال لصاحبه: ماأراك الا وقد جمعت خيانة وغشا للمسلمين» الوسائل ـ التجارة / باب ٨٦

١ـ على أن الغش حرام الا أن المعاملة صحيحة فى بعض الصور، ولأجل توضيح تلك المسائل راجع الرسائل لعملية .

وايضا عنه(ص) :

«ومن غش مسلما فى شراء أو بيع فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود لأنهم أغش الخلق للمسلمين ـالوسائل ـ

وقال(ص) :

«من بات وفى قلبه غش لأخيه المسلم بات فى سخط الله، وأصبح كذلك وهو فى سخط الله حتى يتوب ويراجع ـأو يراجع ـوان مات كذلك مات على غير دين الاسلام . ثم قال(ص) ألا ومن غشنا فليس منا ـقالها ثلاث مرات ـ ومن غش أخاه المسلم نزع الله بركة رزقه وأفسد عليه معيشته، ووكله الى نفسه» ـالوسائل ـ

وروى عن الامام الصادق(ع) :

«دخل عليه رجل يبيع الدقيق، فقال: اياك والغش فأنه من غش غش فى ماله فأن لم يكن له مال غش فى أهله» ـالوسائل ـ

والروايات الواردة فى المقام عديدة، وقد عرضنا بعضها ضمن بحث التطفيف .

البيع بغلاء مخادعة ايضا :

ومثل الغش فى المعاملة الغبن، وهو خداع المشترى فى الثمن، بمعنى بيع الجنس بثمن أغلى من ثمنه الواقعى لمن لايعرف ذلك .

عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«غبن المسترسل سحت» وقد ذكرنا معنى السحت فى الذنب رقم(٢٥) .

وقال(ع) : «غبن المؤمن حرام» وفى رواية اخرى «لاتغبن المسترسل فأن غبنه لايحل» وسائل الشيعة ـ التجاره .

***

(٥)

الاحتكار

الاحتكار هو جمع قوت الناس وحفظه، مثل الحنطة والشعير، والرز، والدهن بغرض ارتفاع أسعارها .

والاحتكار ذنب كبير محرم فيمااذا كان ذلك الطعام موردألحاجة الناس، ولايوجد من يوفره لهم ويرفع حاجتهم غيره،وقد جاءالوعيد عليه بالنار .

يقول الرسولالأكرم(ص) عن جبرئيل(ع) أنه قال :

«اطلعت فى النار فرأيت واديا فى جهنم يغلى، فقلت : يامالك لمن هذا؟ فقال لثلاثة : المحتكرين، والمدمنين الخمر، والقوادين» ـالوسائلـ التجارة ٢٧ ـ

وقال(ص) ايضا : «لايحتكر الطعام الا خاطى» ـالوسائل ـ

وقال(ص :

«أيما رجل اشترى طعاما فكبسه أربعين صباحا يريد به غلاء المسلمين ثم باعه فتصدق بثمنه لم يكن كفارة لما صنع» ـالوسائلـ

وجاء فى عدة روايات أن المحتكر ملعون :

وقال(ص) «طرق طائفة من بنىاسرائيل ليلاً عذاب واصبحوا وقد فقدوا أربعة أصناف الطبالين والمغنين والمحتكرين للطعام و الصيارفة..» ـالمستدركـ

وقال(ص) «من احتكر فوق أربعين يوماً وان الجنة توجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام وأنه لحرام عليه» ـ المستدرك ـ

وقال(ص) «من حبس طعاماً يتربص به الغلاء أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء منه» ـ المستدرك ـ

ويجب أن يعلم أن كل من يحتكر طعاماً فى صورة عدم احتياج الناس اليه، أو وجودمن يوفره ويبيعه لهم ويرفع حاجتهم، أو يحفظه لأجل مصرف عائلته لالغرض ارتفاع الاسعار، ففى هـذه الصور الثلاث لايحرم الاحتكار، وأما فى غير هذه الصور فهو ذنب كبير محرم، ويجب على حاكم الشرع أن يفرض بيعه بالسعر الذى يرضيه واذا أراد أن يجحف فى السعر أخذ الحاكم ماعنده بسعر عادل، وباعه للمحتاجين .

(٦)

الحسد

السادس من الذنوب التي ورد الوعيد عليها بالعذاب في النصوص المعتبرة (الحسد) . والحسد هو أن لايصبر على رؤية نعمة الغير، ويود ذهابها منه يقول المحقق الحلي في الشرائع : «الحسد معصية، وكذا بغض المؤمن، والتظاهر بذلك قادح في العدالة» وذكر الشهيد الثاني في المسالك أنه «لاخلاف في تحريم هذين الأمرين والتهديد عليهما في الاخبار مستفيض وهما من الكبائر فيقدحان في العدالة مطلقاً، وانما جعل التظاهر بهما قادحاً لانهما من الاعمال القلبية فلا يتحقق تأثيرهما في الشهادة الا مع اظهارهما وان كانا محرمين بدون الاظهار»

الحسد يأكل الايمان :

ورد عن الامام الباقر(ع) أنه قال :

«ان الرجل ليأتي بأي بادرة(١) فيكفر، وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب» اصول الكافي ـ باب الحسد.

وروى عن الصادق(ع) :

١ـ البادرة مايبدر من الحدة في الغضب من قول أو فعل .

«ان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب» ـ اصول الكافى ـ

وعنه ايضا :

«آفة الدين الحسد والعجب والفخر» ـ اصول الكافى ـ

وعنه (ع) ايضا :

«ان المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط» ـ اصول الكافى ـ

وقال رسول الله (ص) :

«قال الله عزوجل لموسى بن عمران (ع) يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلى ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فأن الحاسد ساخط لنعمى صاد لقسمى الذى قسمت بين عبادى ومن يك كذلك فلست منه وليس منى» ـ اصول الكافى ـ

وعن الامام الصادق (ع) «اصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد» الوسائل ـ الجهاد

أساس الكفر :

كون الحسد من أسس الكفر كما فى هذه الرواية ومن أسس النفاق كما فى الرواية السابقة واضح جدا، ذلك أن الحاسد ان كان لا يعرف أن النعمة التى لدى المحسود هى من عند الله فهو مشرك بالله كما تقدم تفصيل ذلك فى باب الشرك، وان كان يعلم أنها من الله لكن لا يرى الله عادلا حكيما، فيغضب لفعل الله فهو كافر، وهل يوجد كفر أسوأ من المعاداة لله والحقد عليه، وهل اظهار الايمان فى مثل الحال الا النفاق ؟

وفى رواية قال رسول الله (ص) لأصحابه :

«ألا انه قد دب اليكم داء الامم من قبلكم وهو الحسد، وليس

بحالق الشعر لكنه حالق الدين، وينجى فيه أن يكف الانسان يده ، ويخزن لسانه، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن» الوسائل ـ كتاب الجهاد/٥٧

وعن أمير المؤمن(ع) :

«ان الله عزوجل يعذب ستة بستة، العرب بالعصبية، والدهاقنة بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل» خصال الصدوق .

يقول الشهيد الثانى فى (كشف الريبة) : «الحسد وهو أعظم الادواء، وأكبر المعاصى وأشرها وأفسدها للقلب، وهى أول خطيئة وقعت فى الأرض لما حسد ابليس آدم فحمله على المعصية فكانت البلية من ذلك الى الأبد وقد أمر الله نبية(ص) بالاستعاذة من شره فقال «ومن شر حاسد اذا حسد» بعد أن استعاذ من الشيطان والساحر وأنزله منزلتهما. والاخبار النبوية فيه لاتحصى كثيرة»

والحق أن الشخص الحسود لادنيا له ولا آخرة، فهو فى الدنيا دائماً فى هم وغم، وذلك أن النعمة لاتزول من المحسود بحسد الحاسد بل ربما تزداد، كما أنه يتحمل مشقة كبيرة، ويعيش حالة عدم الارتياح من أجل ازالة النعمة من الطرف المحسود ولكنه فى الغالب لايصل الى هذفه.

وأما بالنسبة للآخرة فلا شك أن حالة العبادة مع حضور القلب لاتوجد عند الحسود، وهو غير موفق لبعض العبادات العظيمة كالاحسان والاكرام للمؤمنين ومضافا الى ذلك فهو ان كان له عمل صالح انما يهبه للمحسود، ويزيد بذلك حسناته بينما يقلل حسنات نفسه، فهل يوجد أسوء من هذا الحال؟

اظهار الحسد :

ذهب مشهور الفقهاء الى ان الحسد من كبائر الذنوب، والاعضاء

كاللسان واليد هـى طرق لاظهاره واثباتـه كما سبق، الاان بعض العلماء ذهب الى أن الحسد مازال غير ظاهر فهو ليس بحرام انما الحرام هو اظهاره وانعكاسه على الاعضاء، وذلك أولا : أن الحسد القلبى غير اختيارى، فهو نتيجة للخبث الذاتى، أو العداء السابق لشخص، فحين يراه فى رفاه ونعمة يستاء من ذلك قهرا وبلا اختيار، ويود لو تزول عنه، ولا تكليف فى أمر غير اختيارى، وثانيا : ورد التصريح فى عدة روايات أنه لامؤاخذه على الحسد القلبى مالم يظهر، من جملتها حديث الرفع عن رسول الله (ص) «رفع عـن امتى تسع خصال : الخطأ والنسيان ـ الى أن قال ـ والحسد مالم يظهر بلسان أو يد» اصول الكافى .

الحسد اختيارى :

والجواب على هذا الرأى أن مايمكن القول عنه بأنه غير اختيارى هو الخواطر القلبية، والاستياء عند سماع خبر بأن فلان ـ ممن كان له معه عداء سابق ـ صار غنيا، فيود أن تزول عنه، أما الاستمرار فى هذا الوضع النفسى، واشغال القلب بمثل هذه الخواطر الرديئة فهو أمر اختيارى ومن الذنوب القلبية وذلك لأنه يستطيع أن يكف قلبه بطرق علمية وعملية عن مثل هذا الذنب .

الطريق العلمى والعملى لدفع الحسد :

أما الطريق العلمى فهو التأمل والتفكر فى مفاسد الحسد التى تقدم ذكرها، والتفكر فى سوء الدنيا وفناءها حتى تنقطع من قلبه شجرة حب الدنيا والتى هى رأس كل خطيئة، وأما الطريق العملى فهو أن لايتبع تلك الخواطر ولايسير بمقتضاها، وذلك أن أية خاطرة

لايتبعها الانسان عمليا سوف تزول ذاتيا كما ورد فـى رواية «أن الوسوسة مثلها مثل الكلب يهجم عليك فكلما اعتنيت به كلما اشتد عناده وكلما أهملته ابتعد» ـمفاد الرواية ـ

توجيه حديث الرفع :

ظاهر أدلة الحسد التى تقدم ذكر بعضها حرمة الحسد القلبى وهو أن يرغب الحسود فى زوال النعمة عن صاحبها، أما اذا انعكس ذلك الحسد القلبى على اليد واللسان كما هوفى الشتم، والغيبة، و الايذاء، فان كل واحد من هذه الامور هى ذنب مستقل، وبناءا على ذلك يجب أن يحمل حديث الرفع علـى بعض مراتب الحسد لكـى لاينافى تلك الادلة .

وتوضيح تلك المرتبة أن الحاسد اذا اغتاض من حالة الحسد القلبى التى تحدث عنده عندما يرى النعمة لدى غيره بحيث يود زوالها، فهذه المرتبة من الحسد والتى هى مجرد الخطور معفو عنها ولاعقاب فيها، أما من لايتأذى من حدوث مثل هذه الحالة عنده، بل يحتفظ بها فى قلبه ويستمر عليها فهو عاص وغير ممتثل للتكليف الشرعى حتى وان لم تنعكس تلك الحالة على جوارحه، وذلك لأنه قـد تابع تلك الخاطرة السيئة، هذا مضافا الى ما ورد فى حديث آخر «واذا حسدت فلا تبغ» ـخصال الصدوقـ

«وقد عرفت من هذا أن لك فى اعدائك ثلاثة أحوال :

أحدهما: أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه، وتود لوكانت لك حيلة فى ازالة ذلك الميل منك وهـذا معفوعنه قطعاً لأنه لايدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثانية : أن تحب ذلك وتظهر الفرحة بمساءته اما بلسانك أو بجوارحك، فهذا هو الحسد المحظور قطعاً .

الثالثة : وهى بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك، ومن غير انكار منك على قلبك، ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاها، وهذا محل الخلاف وقيل : انه لايخلو من اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه» مرآة العقول ـ باب الحسد .

لاينافى ذلك سائر الروايات :

قد يقال: أن هناك روايات وردت فى أن المؤمن لاتسجل عليه نية السيئة حتى يرتكبها وبمقتضى ذلك فالحسدمالم يؤدالى ارتكاب محرم لايعتبر معصية .

الجواب : ان هذه الروايات ناظرة الى الذنوب التى تصدر من الاعضاء والجوارح بطبعها، فمثل هذه الذنوب طالمالم تصدر فأنها لاتعتبر معصية بمجرد النية، أما الذنوب التى موضعها القلب مثل الرياء، العجب، بغض المؤمن، الحسد، وامثال ذلك من الذنوب القلبية فهى خارجة عن مورد روايات العفو المشار اليها .

ويعلم مما ذكر أنه متى ماوجد الانسان فى قلبه رغبة فى زوال نعمة عن مسلم وجب عليه أن يمقت هذا الحال ويكره مافى قلبه، ولو استمر على هذا الحال فليعرف أنه متورط فى معصية كبيرة، و يجب عليه الندم فى كل لحظة ويتوب من ذنبه .

الغبطة ليست حراماً :

معنى الحسدأن يغضبمن حصولالنعمة عنداحد ويتمنى زوالها كما تقدم، والغبطة معناها أن يرجو حصول مثل تلك النعمة له أيضاً

كما حصلت لذلك الغير من دون أن يسوءه وصولها للغير، ومن دون أن يرغب فى زوالها منه ،

والخلاصة أن الغبطة هى تمنى حصول النعمة عنده كما حصلت عند الغير، والحسد هو تمنى زوال النعمة من الغير .

ويمكن القول ـ كما ذكر العلامة المجلسى فى مرآة العقول ـ أن الغبطة ـ لها خمس أحكام بحسب مواردها، فهى أحياناً تكون واجبة وتلك هى الغبطة على الواجبات مثل لو أدى صديقه الحج الواجب و تسامح هو فى ادائه فيجب عليه أن يتمنى لو كان مثل صديقه قد أدى الواجب، اذ لو لم يتمن ذلك كان معناه أنه راض بترك الواجب وهذا فى نفسه حرام بدليل وجوب التوبة والندم على ترك الواجب وفعل الحرام .

والغبطة فى المستحبات مستحبة، مثل أن يغبط صديقة على أن وفق للزيارة أو لمستحب آخر .

وقد تكون الغبطة حراماً مثل أن يغبط الغير على منصب حرام، أو مال حرام بيده. وقد تكون الغبطة مكروهة مثل أن يغبط الغير على صدود مكروه منه، والغبطة فى المباحات مباحة .

ويجب أن يعلم أن للغبطة على حرام وان كانت محرمة الا أنها اذا لم تؤد الى عمل فانها معفو عنها كما ورد فى ذلك عدة روايات .

(٧)

معاداة المؤمن

قال صاحب الجواهر فى شرح قول المحقق الحلى فى الشرائع «الحسد معصية وكذا بغضه للمؤمن» قال: للنهى عن التعادى والتهاجر والأمر بالتحاب والتعاطف فى النصوص التى لا تحصى، ولكن الظاهر أن ما يجده الانسان من الثقل من بعض اخوانه لبعض أحوال وأفعال أو لغير ذلك ليس من البغض ان شاءالله فانه لاينفك عنه أحد من الناس».

وفى هذا المقام ننقل عدة روايات بنحو مختصر :

عن الامام موسى بن جعفر(ع) أنه قال :

«من عادى شيعتنا فقد عادانا ومن والاهم فقد والانا لأنهم منا، خلقوا من طينتنا، من أحبهم فهو منا، ومن أبغضهم فليس منا»(١) .

وقد نقل فى الوسائل ثمانية عشر رواية فى هذا المورد .

وعن رسول‌الله(ص) أنه قال :

«أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثا لايصطلحان الا كانا خارجين من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية فأيهما سبق الى كلام أخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب»(٢)

١ـ وسائل الشيعة/كتاب الامر بالمعروف/باب ١٧

٢ـ الوسائل /كتاب الحج/باب ١٤٤ ـ

وفى هذا المورد نقل فى الوسائل ايضا أحد عشر حديثاً.

وعن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«كونوا اخوة بررة متحابين فى الله متواصلين متراحمين»(١).

وفى هذا الباب، وفى باب حق المؤمن والحب والبغض فى الله توجد روايات عديدة نكتفى بما نقلناه نموذجا على ذلك .

* * *

١ـ الوسائل/كتاب الحج/باب ١٢٤.

(٨)

المساحقه

الثامن من الذنوب التى وردالوعيد عليها بالعذاب فى النصوص المعتبرة، مضافا الى ثبوت الحد فيها هو (المساحقة) .

جاء فى رواية أن أمرأة قالت للامام الصادق(ع) :

أخبرنى عن اللواتى باللواتى ماحدهن فيه؟

قال(ع) : حد الزنا، اذا كان يوم القيامة يؤتى بهن قد ألبسن مقطعات من نار وقنعن بمقانع من نار، وسرولن من نار، وأدخل فى أجوافهن الى رؤوسهن أعمدة من نار، وقذف بهن فى النار .

أيتها المرأة : ان اول من عمل هذا العمل قوم لوط، فاستغنى الرجال بالرجال فبقى النساء بغير رجال ففعلن كما فعل رجالهن» الوسائل ـ النكاح ـ ٢٤ ـ :

وجاء فى رواية أخرى أن المساحقة هى الزنا الأعظم ـ مفاد الرواية ـ

وورد عن الامام الصادق(ع) فى جواب أمراة سألته فقالت: ما تقول فى اللواتى مع اللواتى ؟

فقال(ع) هى من النار، اذا كان يوم القيامة أتى بهن فألبسن جلبابا من نار وخفين من نار، وقناعين من نار، وادخل فى أجوافهن وفروجهن أعمدة من نار وقذف بهن فى النار .

قالت : فليس هذا فى كتاب الله!

قال: بلـى، قولـه «وعاداًوثمود واصحاب الرس» الوسائـل ـالنكاحـ ٢٤

وقد نقلفى تفسير الصافى رواية مفصلة عن أميرالمؤمنين(ع) حول أصحاب الرس كما رواها العلامة المجلسى فى حياة القلوب فى الجزء الثالثمنه،ولأجل الاطلاععلى أحوالهم والذنوبالتى ارتكبوها والتى كان منها المساحقة ارجع الى الكتب المتقدمة كما بين(ع) فى كيفية هلاكهم أن الله تعالى أرسل عليهم ريحا حمراء شديدة، وتفجرت الارض براكينا، وظهرت من فوق رؤوسهم سحابة مظلمة صبت عليهم الصواعق فأهلكتهم جميعا. (مفاد الرواية) .

حد السحق :

اذا أقرت المرأة على نفسها أربع مرات بأنها قد ساحقت أو شهد عليهابذلك أربعةشهود عدولثبت علىكلا المرأتين كلواحدة مائة جلدة، واما اذا تابت قبل الاقرار أو الشهادة سقط عنها الحد .

كما أشير سابقاًالى أن نوم رجلين عريانين، أوامرأتين عريانتين فى فراش واحد وتحت لحاف واحد بحيث لايوجد حائل بينهما حرام، واذا ثبت ذلك عند الحاكم لزم تعزيرهما بأقل من مائة سوط وبما يراه الحاكم مناسبا،وانذكر فى بعضالروايات أن حدهما مائةجلدة.

* * *

(٩)

القيادة والدياثة

القيادة :

القيادة هى الجمع بين رجل وأمرأة لغرض الزنا، أو الجمع بين رجلين لغرض اللواط، ولاشبهة فى حرمتها بل فى انها من الكبائر، أنها من الذنوب التى ورد الوعيد عليها فى النصوص المعتبرة بالعذاب، وقد عين لها فى الشرع المقدس حد خاص .

قال الرسول الاكرم(ص) .

«ومن قاد بين امرأة ورجل حراما حرم الله عليه الجنة ومأواه جهنم وسائت مصيرا ولم يزل فى سخط الله حتى يموت» الوسائل ـ النكاح ـ ٢٧

وعن الامام الصادق(ع) :

«لعن رسول الله(ص) الواصلة والمستوصلة يعنى الزانية و القوادة» الوسائل ـ النكاح ـ ٢٧

هذا مضافا الى أن القواد ليس فقط لم ينه عن المنكر انما سعى فى وقوع المنكر وقد اثبتنا فى آخر الباب الأول أن ترك النهى عن المنكر من الكبائر، كيف بمن يأمر بالمنكر ويسعى فى وقوعه!؟

هذا بالاضافه الى أن القيادة كبيرة عند أهل الدين، وسوف نذكر انشاءا... فى الفصل الثالث أنكون الذنب كبيرا عند أهل

الشرع هو بنفسه دليل على أنه من الكبائر .

قال الشيخ الانصارى فى المكاسب :

«القيادة حرام، وهى السعى بين الشخصين لجمعهما على الوطىء المحرم وهى من الكبائر، وقد تقدم تفسير الواصلة والمستوصلة بذلك» .

عن الامام الصادق(ع) قال :

«لعن رسول الله(ص) النامصة والمنتمصة والواشرة والموتشرة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة» ـ معانى الاخبار ـ

وعن الامام الرضا(ع) أنه قال :

«الواصلة التى تزنى فى شبابها فلما كبرت قادت النساء الى الرجال» معانى الاخبار .

حد القيادة :

تثبت القيادة باقرار الشخص على نفسه مرتين، وهكذا تثبت بشهادة عادلين، وبعد ثبوتها يجلد خمس وسبعون جلدة رجلا كان أو أمراة، وذكر بعض الفقهاء أنه اذا كان رجلا يحلق رأسه ويشهر بـه أمام الناس، ويطرد من بلدته اضافة الى الجلد المذكور، وذكر بعضهم أنه ينفى من بلده فى المرة الثانية وتفصيل ذلك مذكور فى كتاب الحدود .

الدياثة :

عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم

الشيخ الزانى، والديوث، والمرئة توطىء فراش زوجها»(١) .

وقال الرسول الاكرم(ص) :

«ان الجنة لتوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولايجدها عائق ولا ديوث» .

قيل يا رسول الله وما الديوث؟

قال(ص) : الذى تزنى امرأته وهو يعلم» ـ وسائل الشيعة ـ

وقال(ص) ايضا :

«قال الله تعالى وعزتى وجلالى لايدخل الجنة مدمن خمر ولا نمام ولاديوث» وسائل الشيعة

وقال الامام الصادق(ع) :

«حرمت الجنة على الديوث» ـ الوسائل ـ

***

١ـ الوسائل/كتاب النكاح/باب ١٦

(١٠)

الاستمناء

العاشر من الذنوب الكبيرة التـى ورد الوعيد عليها بالعذاب (الاستمناء) وهو اخراج المنى بالطريق غير الطبيعى، مثل الدلك باليد أو بسائر الاعضاء منه أو من غيره عدا الزوجة .

كتب فى الجواهر فى آخر كتاب الحدود :

«المسألة الثانية : من استمنى بيده أو بغيرها من اعضائه عزر لانه فعل محرما بل كبيرة ففى خبر أحمدبن عيسى سئل الصادق(ع) عن الخضخضة فقال اثم عظيم قد نهى الله عنه فى كتابه وفاعله كناكح نفسه ولو علمت بمن يفعله ما أكلت معه فقال السائل بين لى يابن رسول الله(ص) من كتاب الله فيه فقال قول الله تعالى ومن ابتغى وراء ذلك فاؤلئك هم العادون وهو مما وراء ذلك فقال الرجل: أى أكبر الزنا أو هى؟

فقال(ع) : هو ذنب عظيم»

وسئل(ع) عن الخضخضة فقال : من الفواحش .

وروى فى الرجل ينكح بهيمة أو يدلك فقال(ع) : كل ما أنزل به الرجل مائه من هذا وشبهه فهو زنا» الوسائل ـ النكاح ـ ٨٢

وروى عن الامام الصادق(ع) :

«ثلاثة لايكلمهم الله تعالـى ولاينظر اليهم ولايزكيهم ولهم

عذاب أليم، الناتف شيبه، والناكح نفسه، والمنكوح فى دبره» .

وروى عن رسول الله (ص) قوله «ناكح الكف ملعون» ـ المستدرك ـ

وقد ذكر صاحب الجواهر أن المستفاد من الادلة جواز الاستمناء مع الزوجة والأمة لكن الاولى ترك ذلك .

وذكر فى المسالك قريبا من ذلك. الا ان الاحتياط فى تركه .

شيوع الاستمناء :

مما يؤسف له أن هذا الوباء المهلك بدأ يشيع بنحو غير طبيعى فى أوساط الشباب وذلك نتيجة المشكلات اللامتناهية، ومصارف الزواج، وكون الشباب عزابا، وبدأ الشباب العزيز من حيث يشعرون ولايشعرون يصابون بانواع وأقسام الامراض الناجمة عن ذلك بقطع النظر عن العقاب الاخروى .

أن مسؤولية الاباء والامهات توعية ابناءهم، ومراقبتهم وهكذا يأتى فى الدرجة الثانية من حيث المسؤولية المعلمون والاساتذة و الاطباء، فان عليهم توعية الشباب بالعواقب الوخيمة الروحية و الجسمية التى تنجم من هذا البلاء .

وهنا ننقل مقاطع من كتاب (العجز الجنسى) الذى ألفه مجموعة من الكتاب المتخصصين حول مضرات الاستمناء(١)

١ـ نقل المصنف نصاً مطولاً حول الاضرار الروحية والجسمية للاستمناء، ندعو القارى لمراجعة المصادر العربية التى تتناول هذا الموضوع .

(١١)

البدعة

(الحادى عشر) البدعة، وحرمتها من ضروريات المذهب، واما اعتبارها من الذنوب الكبيرة فلورود الوعيد بالعذاب عليها فى روايات متواترة، وحيث أن أصل المطلب مسلم وظاهر، نكتفى بذكر عدة روايات:

قال رسول الله (ص) :

«كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» ـ وسائل الشيعة ـ

وقال أمير المؤمنين (ع) : «من مشى الى صاحب بدعة فوقره فقد سعى فى هدم الاسلام» ـ الوسائل الشيعة ـ

ورد عن الامام الصادق (ع) «أنه عد البدعة من الكبائر لقول رسول الله (ص) من تبسم فى وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»(١). سفينه البحار / ٦٣

وقال رسول الله (ص) :

«اذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدى فاظهروا البرائة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا فى

١ـ نقل فى (بحار الانوار) فى باب البدعة مايقارب ثلاثين رواية، وفى الوسائل فى نفس هذا الباب نقل أحد عشر حديثاً، وفى باب تحريم المجاملة لأهل المعاصى والبدع نقل أحد وعشرين رواية وفى الباب التاسع والثلاثين نقل ثمانية أحاديث .

الفساد فى الاسلام ويحذرهم الناس ولايتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات فى الأخرة» ـ وسائل الشيعة ـ

قال العلامة المجلسى فى شرح هذا الحديث :

«كأن المراد بأهل الريب الذين يشكون فى الدين ويشككون الناس فيه بالقاء الشبهات، وقيل: المراد بهم الذين بناء دينهم على الظنون والأوهام الفاسدة كعلماء أهل الخلاف، ويحتمل أن يراد بهم الفساق والمتظاهرين بالفسوق، فأن ذلك مما يريب الناس فى دينهم، وهو علامة ضعف يقينهم» مرآة العقول ـ باب مجالسة أهل المعاصى.

ماهى البدعه؟

قال العلامة المجلسى :

«البدعة فى عرف الشرع ما حدث بعد الرسول(ص) ولم يرد فيه نص على الخصوص، ولايكون داخلاً فى بعض العمومات، أو وردنهى عنه خصوصاً أو عموماً، فلا تشمل البداعة مادخل فى العمومات مثل بناء المدارس وأمثالها الداخلة فى عمومات ايواء المؤمنين واسكانهم واعانتهم، وكأنشاء بعض الكتب العلمية والتصانيف التى لها مدخل فى المعلومات الشرعية، وكالألبسة التى لم تكن فى عهد الرسول(ص) والاطعمة المحدثة فأنها داخلة فى عمومات الحلية ولم يرد فيها نهى، ومايفعل منها على وجه العموم اذا قصد كونها مطلوبة على الخصوص كان بدعة، كما أن الصلاة خير موضوع ويستحب فعلها فى كل وقت.. كما اذا عين أحد سبعين تهليلة فى وقت مخصوص على أنها مطلوبة للشارع فى خصوص هذا الوقت بلا نص ورد فيها كانت بدعة.

وبالجملة احداث أمر فى الشريعة لم يرد فيه نص بدعة..»

مرآة العقول .

أقسام البدعة فى نظر الشهيد الاول :

يقول الشهيد الاول :

«محدثات الامور بعد عهد النبى(ص) تنقسم أقساماً لايطلق اسم البدعة عندنا الا على ماهو محرم منها :

أولها : الواجب، كتدوين القرآن والسنة اذا خيف عليهما من التلف من الصدور، فان التبليغ للقرون الآتية واجب اجماعاً، وللأية، ولايتم الابالحفظ وهذا فى زمان الغيبة واجب، أما فى زمان ظهور الامام فلا لأنه الحافظ لهما حفظاً لايتطرق اليه خلل. وثانيهما : المحرم، وهو كل بدعة تناولها قواعد التحريم وأدلته من الشريعة كتقديم غير الائمة المعصومين عليهم السلام وأخذهم مناصبهم و استئثارهم ولاة الجور عليم بالاموال ومنعها مستحقها وقتال أهل الحق وتشريدهم وابعادهم والقتل على الظنة والالزام ببيعة الفساق والمقام عليها وتحريم مخالفتها والغسل فى المسح والمسح على غير القدم وشرب كثير من الأشربة والجماعة فى النوافل والاذان الثانى يوم الجمة وتحريم المتعتين والبغى على الامام وتوريث الاباعد و منع الاقارب ومنع الخمس أهله والافطار فى غير وقته الى غير ذلك من المحدثات المشهورات، ومنها بالاجماع من الفريقين المكس وتولية المناصب غير الصالح لها ببذل أو ارث وغير ذلك .

وثالثها : المستحب. وهوماتناولته أدلة الندب كبناء المدارس و الربط، وليس منه اتخاذ الملوك الاهبة ليعظموا فى النفوس، اللهم الا مايكون مرهباً للعدو .

ورابعها : المكروه وهو ما اشتملته أدلة الكراهية كالزيادة فى تسبيح الزهراء عليها السلام وسائر الموظفات أو النقيصة منها و

التنعم فى الملابس والمأكل بحيث يبلغ الاسراف بالنسبة الى الفاعل وربما أدى الى التحريم اذا استضر به وعياله .

وخامسها : المباح، وهو الداخل تحت أدلة الاباحة كنخل الدقيق، فقد ورد أول شيء اتخذته الناس بعد رسول الله (ص) اتخاذ المناخل لأن لين العيش والرفاهية من المباحات فوسيلته مباحة» انتهى

كلام المجلسى :

قال العلامة المجلسى بعد مقدمة ذكرها : البدعة هى أن يحلل ما حرمه الله، أو يعتبر مكروهاً مالم يحكم الله بكراهته، أو يوجب مالم يوجبه الله، أو يجعل مستحباً مالم يحكم الله باستحبابه، ولو كان بلحاظ الخصوصية، مثال ذلك: أن الصلاة فى كل وقت مستحبة فلو صلى الانسان فى وقت ما بعنوان أنه وقت من الاوقات فأنه يثاب على عمله، وأما لو صلى ركعتين قبل الغروب بعنوان أن الصلاة فى خصوص هذا الوقت مطلوبة فذلك بدعة حرام ....

وكذلك من صلى صلاة النافلة ثلاث ركعات بتسليم واحد، حيث ان هذه الكيفية فى الصلاة لم تردفى سنة رسول الله (ص)، وكذلك من ركوعين فى الركعة الواحدة فكل ذلك بدعة وحرام .

ومثل ذلك كلمة (لااله الاالله) فانها أفضل الذكر فى كل وقت، ولكن لو أن شخصاً قرر أن يقولها ألف وخمسمائة مرة بعد صلاة الصبح بعنوان أن هذا العدد وبخصوص هذا الوقت مقرر من الشارع، أو يقرره هو شخصاً ويعتبره عبادة من العبادات فجميع ذلك بدعة فى الدين، وأشد المعاصى...»(١) انتهى

١ــ عين الحياة ــ للعلامة المجلسى .

البدعة تعنى تغيير الحكم الالهى :

بناءا على ذلك فان البدعة معناها تغيير شريعة الله، بأضافة شيء أو تقليل شيء منها حسب رأيه وعقله الناقص، سواءا كان ذلك فى الاصول أو الفروع(١) .

قال الامام الصادق(ع) :

«حلال محمد(ص) حلال أبداً الى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً الى يوم القيامة لايكون غيره ولايجيىء غيره» ـ اصول الكافى ـ

وقال عليه السلام :

«من دعى الناس الى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال» . سفينة البحار / حـ ٢ / ٢٢٠

١ـ نقل فى كتاب اصول الكافى باب البدع والراى والمقائيس اثنين وعشرين حديثا .

(١٢)

الحكم بغير حق

الثانى عشر الحكم على خلاف ما أنزل الله، ويكفى لاثبات أن هذا من الذنوب الكبيرة أن الله تعالى اعتبر من يحكم بغير ما أنزل الله كافرا وظالما وفاسقا حيث قال: «ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون» ٥ / ٤٣

«ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون» ٥ / ٤٤

«ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون» ٥ / ٤٦

فقد اثبت بذلك الكفرو الفسق والظلم لفاعل هذا العفل .

قال فى تفسير الميزان :

«والآيات الثلاث آيات مطلقة لاتختص بقوم دون قوم، وان انطبقت على أهل الكتاب فى هذا المقام» .

«وقد اختلف المفسرون فى معنى كفر منلم يحكم بما أنزل الله كالقاضى يقضى بغير ما أنزل الله، والحاكم يحكم على خلاف ما أنزل الله، والمبتدع يستن بغير السنة، وهى مسأله فقهية الحق فيها أن المخالفة لحكم شرعى أو لأى أمر ثابت فى الدين فى صورة العلم بثبوته والرد له توجب الكفر، وفى صورة العلم بثبوته مععدم الرد توجب الفسق، وفى صورة عدم العلم بثبوته مع الرد له لاتوجب كفرا ولا فسقا لكونه قصورا يعذر فيه الا أن يكون قصر فى شىء من

مقدماته ويراجع فى ذلك الكتب الفقهية» ـ الميزان ـ

والروايات الواردة فى المقام كثيره منها :

عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«من حكم فى درهمين بغير ما أنزل الله فهو كافر بالله العظيم» ـ وسائل الشيعة ـ القضاء ـ ٥

وقال رسول الله(ص) :

«ومن حكم بما لم يحكم به الله كان كمن شهد بشهادة زور، يقذف به فى النار» الوسائل ـ القضاء ـ ٥

وعن الامام الباقر(ع) :

«من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله تعالى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وله وزر من عمل بفتياه» ـ وسائل الشيعة ـ

وقد وردت روايات عديدة فى أن الترافع الى من لا يصلح للحكم هو كالترافع الى الطاغوت، والمال الذى يأخذه منه سحت حتى وان كان الحق معه .

* * *

(١٣ - ١٤)

القتال فى الاشهر الحرم والصد عن سبيل الله

الثالث عشر من الذنوب الكبيرة القتال فى الاشهر الحرم الاربعة هى: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب، والمراد ابتداء المسلمين بالقتال فى هذه الاشهر وهو من المحرمات، وبناء على ذلك لو ابتدأ الكفار أو غيرهم ممن لايعتقد بحرمة هذه الاشهر بقتال المسلمين جاز للمسلمين محاربتهم .

ويكفى لاثبات أن القتال فيها من الذنوب الكبيرة تصريح القرآن المجيد بذلك فى قوله تعالى «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام و اخراج أهله منه أكبر عندالله» السورة ٢ / ٢١٧

ومن هنا فقد كان الأنسب ذكر هذا الذنب فى الباب الاول ضمن الكبائر المنصوصة .

وحيث أن الاية الكريمة صرحت بان القتال فى الاشهر الحرم من الكبائر، ثم ذكرت فى ذيلها أربعة ذنوب اعتبرتها أكبر من القتال، يثبت أن تلك الذنوب الاربعة هى الاخرى من الكبائر كما سنذكرها فى الفصل الثالث .

وتلك الذنوب الاربعة هى : الصد عن سبيل‌الله، والكفر بالله، وصد الناس عن المسجد الحرام، وأخراج أهل المسجد الحرام منه،.

وهناك تفصيل حول نزول هـذه الاية والتحقيق فى أطرافها راجع للاطلاع تفسير (مجمع البيان) وتفسير (منهج الصادقين) و نظائرها .

مايلزم الاطلاع عليه هنا هو معنى الصد عن سبيل‌الله والمراد منه، الذى لاشك فى اعتباره من الكبائر، وورد فى أربعة موارد من القرآن المجيد اعتباره من اعمال الكفار والمنافقين، كما فى سورة أبراهيم حيث قال تعالى :

«ويل للكافرين من عذاب شديد، الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله، وينفقونها عوجا» .

مراتب الصد عن سبيل‌الله :

(١) ان‌أشدمراتبه صدالآخرين عن‌الايمان بالله،وسائر العقائد الحقة، كما يصنعه علماء اليهود والنصارى الذين عملوا على كتمان نبوة محمد(ص) وعدم ظهور حقانيتها لقومه لئلا يؤمنوا به .

وهكذا علماء السنة الـذين لايدعوا امامـة أميرالمؤمنين(ع) المباشرة بعد رسول‌الله(ص) تتضح للمسلمين، وهكذا امامة أحد عشر اماما من أولاده عليهم السلام .

(٢) صدالآخرين‌عن الطاعة،وأداء الواجبات، وترك المحرمات الالهية، كمن يمنع من يجب عليه الحج ويريد الذهاب له عن اداءه، وهكذا المنع من الصلاة(١) والصيام، وسائر الواجبات .

وحيث كان ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من كبائر

١ـ «أرايت الذى ينهى عبدا اذا صلى»

الذنوب التى جاء الوعيد عليها بالعذاب الأليم كما تقدم، اذن فكيف حال من ينهى عن المعروف، أو يأمر بالمنكر؟

(٣) منع الآخرين من أعمال الخير المحبوبة عندالله تعالى، و الموجبة للقرب منه، مثل من يمنع الأخرين عن الانفاق فى سبيل الله، وسائر الامور المستحبة .

وهذا القسم الثالث وان لم يمكننا القول بأنه حرام الا أن الاحوط تركه، ذلك أن الشخص الممنوع عن أداء الخير يستطيع أن يوأخذ المانع يوم القيامة ويقول له بأنك ظلمتنى، وحرمتنى من السعادة، ومن موجبات القرب، ويكفى فى مذمة ذلك ماورد من الروايات فى كتاب الأمر بالمعروف من الوسائل الباب / ٨ .

يقول الامام الصادق(ع) :

«لعن الله قاطعى سبيل المعروف، قيل : وما قاطعوا سبيل المعروف؟

قال :الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره»

* * *

(١٥)

كفران النعمة

الخامس عشر كفران النعمة كما جاء الوعيد على ذلك بالعذاب فى القرآن المجيد وورد التعبير عنه بالكفر فى عدة مواضع، وورد أنه سبب فى نزول البلاء على أهله .

قال تعالى فى سورة ابراهيم :

«واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد» الاية / ٧ .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

«فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولاتكفرون» .

قوم سبأ كفروا فعذبوا :

وقال تعالى فى سورة سبأ حول أهالى سبأ :

«لقد كان لسبأ فى مسكنهم جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وشىء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور» .

النعمة تتحول الى نقمة :

يقول تعالى فى سورة النحل :

«وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» الاية / ١١١ .

والتعبير باللباس هنا (لباس الجوع..) من حيث احاطته بهم كما يحيط اللباس بصاحبه، وقال بعض المفسرين أن المراد من القرية فى هذه الآية مكة حيث أصيبت بقحط وجوع مدة سنوات حتى وصل بهم الحال من الجوع والشدة الى أن ياكلوا العظام المحروقة والدم والميتة .

كفر النعمة من أقسام الكفر :

لقد عد الامام الصادق(ع) الكفر بالنعمة من أقسام الكفر حيث قال(ع) :

«الكفر فى كتاب الله خمسة أوجه الى أن قال(ع) والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله تعالى يحكى قول سليمان «هذا من فضل ربى ليبلونىء اشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم» السورة ٢٧ / الاية ٤٠

وقال تعالى :

«فاذكرونى اذكركم واشكروالى ولاتكفرون»(١) السورة ٢ / الاية ١٥٢ .

وخلاصة كلام الامام(ع) أن الله تعالى يعد الكفر بالنعمة كفرا، كما يعلم من هذه الايات الثلاث أن لكفران النعمة ثلاثة آثار سيئة : أحدها أنه يوجب زوال النعمة والثانى العذاب والألم، والثالث أن الله تعالى يترك الكافر بالنعمة الى نفسه .

١ــ اصول الكافى/كتاب الايمان والكفر.

كفران النعمة وأخبار أهل البيت(ع) :

الروايات فى المقام عديدة نكتفى بذكر بعضها .

عن رسول‌الله(ص) قوله :

«أسرع الذنوب عقوبة كفران النعمة» ـ وسائل الشيعة ـ

وعنه(ص) ايضا :

«ثلاث من الذنوب تعجل عقوبتها ولاتؤخر الى الآخرة، عقوق الوالدين والبغى على الناس، وكفر الاحسان» ـ وسائل الشيعة ـ

وقال أمير المؤمنين(ع) فى وصيته :

«ولاتكفر فان كفر النعمة من ألأم الكفر» ـ المستدرك ـ

وقال(ع) أيضا :

«أحب الناس الى‌الله العامل فيما أنعم به عليه بالشكر، وأبغضهم اليه العامل فى نعمه بكفرها» ـ المستدرك ـ

معنى كفران النعمة :

كفران النعمة معناه اخفاؤها، وله مراتب ثلاث :

(١) الجهل بالنعمة، وهو أسوء المراتب وأشدها، وله صورتان:

أحدهما الجهل بأصل النعمة، فهو نتيجة لعدم الفهم، لايعرف النعمة ولايرى لها وجودا، ويساوى بين وجودها وعدمها .

والآخر الجهل بالمنعم بأن يجهل الخالق بالمرة، أو يجهل أنه هو المنعم، فلا يرى تلك النعمة منه بل يراها من غيره .

والخلاصة أن الجهل بالنعمة أو بالمنعم كلاهما كفران بالنعمة، ومورد قطعى للعقوبة التى وعد بها الكافرون بالنعمة، ولاشك أنه من كبائر الذنوب .

(٢) الكفر بحسب الحال، وتوضيحه أن الانسان العاقل حين تصل

اليه نعمة الله يجب أن يفرح ويبتهج قلبه حيث حلت به نعمة الله وعنايته، ويجب أن يذكر الله ويشكره ويأمل دوام فضله «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» أما اذا فعل عكس ذلك فأساء الظن بخالقه، ولم يأمل فضله، ولم يأنس قلبه معه بل كان بعيدا عنه يائسا منه، فذلك هو الكفر بنعمة الله .

(٣) الكفر بالاعضاء والجوارح ـ وهو الكفر العملي ـ وذلك بأن يقصد بقلبه المعصية ويظهر بلسانه الذم والشكوى، بدل ذكر النعمة وشكرها «وأما بنعمة ربك فحدث» فهو يتجاهل النعمة، ويشكو لعدم تحقق آماله الوهمية من فعل الله وايضا يصرف نعمة الله في غير ماخلقت له، ويستعين باعضائه على مانهى الله عنه، وما يوجب البعد عن رحمته .

قال الامام السجاد(ع) في تفسير «الذنوب التي تغير النعم» : منها كفران النعم. «معاني الاخبار» .

وقال الرسول الاكرم(ص) :

«ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم» ـ بحار الانوار ـ والايات والروايات الواردة في وجوب الشكر عديدة، وفي بيان حقيقة ذلك ومراتبه تفصيل ليس هنا محل ذكره، على الراغبين مراجعة اصول الكافي، وسائر الكتب الاخلاقية.

لولا الشكر لكان الانسان أحقر من الحيوان:

يقول الامام السجاد في أول دعاء من الصحيفة السجادية :

«والحمدلله الذي لو حبس عن عبادة معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة وأسبغ عليهم من نعمة المتظاهره لتصرفوا في مننه فلم يحمدوه، وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك

لخرجوا من حدود الانسانيه الى حدالبهيمة فكانوا كما وصف فـى محكم كتابه: انهم الاكالانعام بل هم أضل سبيلا» .

والخلاصة أن الكافر بالنعمة خارج عن حريم الآدمية، فضلاً عن السعادة الابديـة للانسان الناشئة مـن الايمان، والمعارف الحقة، والاعمال الصالحة .

كفران الوسائط :

حيث أن الله تعالى بحكمته البالغة جعل الدنيا تجرى وفق أسباب، وجعل لكل نعمة سببا يوصل العباد اليها، لزم بحكم العقل والشرع عدم نسيان تلك الاسباب والوسائط وعدم اغفالها. بل يجب شكرها، لا بأعتبار أنها هى المنعم بالاستقلال بل باعتبار أنها واسطة فى النعمة، ويشكر الله تعالى بحاله ولسانه أنه تفضل عليه بواسطة فلان شخص، وهنا نكتفى بنقل عدة روايات .

يقول الامام السجاد(ع) :

«ان الله يحب كل عبد شكور يقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة أشكرت فلانا؟ فيقول بل شكرتك يارب، فيقول تعالـى لم تشكرنى اذ لم تشكره، ثم قال(ع) : أشكركم لله أشكركم للناس.» ـوسائل الشيعةـ

ويقول الامام الصادق(ع) :

«من حق الشكر لله أن تشكر من أجرى تلك النعمة علـى يده» ـوسائل الشيعةـ

وعن الامام الرضا(ع) :

«من لم يشكـر المنعم من المخلوقين لـم يشكر الله عزوجل» ـوسائل الشيعةـ

وقال الرسول الاكرم(ص) :

«يؤتى العبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله عزوجل فيأمر به الى النار، فيقول أى رب أمرت بى الى النار وقد قرأت القرآن، فيقول الله : أى عبدى انى قد أنعمت عليك ولم تشكر نعمتى، فيقول: أى رب أنعمت على بكذا وشكرتك بكذا، وأنعمت على بكذا وشكرتك بكذا، فلايزال يحصى النعمة ويعدد الشكر فيقول الله تعالى : صدقت عبدى الانك لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه، وانى قد آليت على نفسى أن لاأقبل شكر عبد لنعمة أنعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقى اليه» . الوسائل ـ فعل المعروف ـ ٨ (١)

وقد نقلنا فى البحث السابق رواية عن الامام الصادق(ع) قال فيها : «لعن الله قاطعى سبيل المعروف . قيل : وما قاطعوا سبيل المعروف ؟

قال : الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره» .

كيفية شكر الواسطة :

قال الرسول(ص) : «كفاك بثنائك على أخيك اذا أسدى اليك معروفاً أن تقول له جزاك الله خيراً واذا ذكر وليس هو فى المجلس أن تقول جزاه الله خيراً فاذاً قد كافيته» ـ الوسائل ـ

وقال(ص) أيضا «من سئلكم بالله فاعطوه ومن أتاكم معروفاً

١ـ فى وسائل الشيعة فى الباب الثامن من كتاب الامر بالمعروف نقل ١٦ حديثا فى هذا الموارد، وفى الباب السابع منه نقل ١١ حديثا، وفى المستدرك نقل ١٤ حديثا ، ونقل فى الباب السابع منه تسعة أحاديث، فى استحباب الدعاء لمن كان واسطة فى النعمة .

فكافوه وان لم تجدوا ماتكافونه فادعوا الله له حتى تظنوا أنكم قد كافيتموه» ـ الوسائل ـ

وبالجملة فانه يجب مقابلة الاحسان بالاحسان كماقال تعالى فى سورة الرحمن «هل جزاء الاحسان الا الاحسان» مع الالتفات الى أن البادىء بالاحسان هو الافضل .

وصريح الروايات أنه لافرق بين المحسن أن يكون مؤمنا أو كافرا، مطيعا أو فاسقا .

والخلاصة يجب مكافأته على احسانه كان من كان، ومهما كان احسانه .

الولاية أكبر النعم :

لاشك أن نعم الله الدنيوية والاخروية، الصورية والمعنوية على كل فرد لاتعد ولاتخصى كما قال تعالى فى القرآن المجيد «وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها» وكفران كل واحدة من تلك النعم هو من الذنوب الكبيرة التى يستحق عليها العقاب، لكن يجب أن يعلم أنه كلما كانت النعمة أهم وأعظم وأكبر أثرا كانت العقوبة على الكفران بها أشد وأكبر، وكان اثمه أكبر .

وأهم النعم وأعلاها ولاية آل محمد عليهم السلام، وكفران هذه النعمة أشد من أى ذنب آخر، وكفرانها يتحقق بأنكار ولايتهم عليهم السلام أو نسيانهم وعدم ذكرهم وعدم السير فى طريق محبتهم والاعراض عن أوامرهم ونواهيهم، والخلاصة عدم الاعتناء بشأنهم، وعدم الاستفادة من نعمة ولايتهم .

ومن خلال مراجعة تفسير الصافى وتفسير البرهان يعلم أن معظم الايات القرآنية الواردة حول الايمان هى اشارة الى الايمان بولايتهم، وهكذا الايات الواردة فى مورد الكفر فأن معظمها تنظر

الى الكفر بولايتهم، وكنموذج على ذلك نستعرض بعضها :

قال تعالى فى سورة ابراهيم «ألم ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفراو أحلوا قومهم دار البوار» وقد ورد فى أخبار كثيرة أن النعمة هناهى أهل بيت العصمة والطهارة، والمراد بالكفر بنوأمية وأعداء آل محمد(ص) .

وقال تعالى فى سورة التكاثر «ولتسئلن يومئذ عن النعيم» وقد ورد فى روايات عديدة ان المراد بالنعيم فى هذه الآية ولاية آل محمد(ص) .

والخلاصة أن أصل النعمة وحقيقتها هى نعمة الولاية وذلك أن التمتع بأية نعمة يتوقف على ولايتهم(ع) .

كفران وجود العلماء :

من كفران نعمة الولاية الكفران بوجود العلماء الربانيين والفقهاء الروحانيين الذين هم النواب العامة اللامام الحجة بن الحسن ـ ارواحنا فداه ـ فى زمن غيبته فظاهر جداً أن الكفر بالنائب كفر بالمنوب عنه، كما أن شكر النائب شكر للمنوب عنه، وحيث أن ذكر الادلة والروايات فى هذا المقام وبيان فضل العلماء يوجب اطالة الكلام والخروج عن وضع الكتاب، نكتفى بالاشارة فقط وبنحو الاختصار الى المراد بالنائب العام ومعنى الكفران بنعمته .

من هو نائب الامام ؟

نائب الامام(ع) هوكل من تلقى من حيث العلم علوم آل محمد(ص) بحيث يمكنه استنباط الاحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام تبعا للادلة (الكتاب، السنة، العقل، الاجماع) ومن حيث المعرفة استفاد

من معارف آل محمد (ص) الحقة بحيث وصل الى مقام اليقين والاطمئنان، ومن حيث الكمالات النفسية تحرر من قيود الهوى وتغلب على شيطان النفس، واصبحت لديه ملكة العدالة .

وخلاصة ذلك أنه مثال ونموذج عن نفس الامام (ع)، كسب من نوره ليستفيد الناس من نور أقواله وأفعاله (ع) بل ليستفيدوا من من نفس وجوده الشريف، ويفلحوا بأتباعه .

وليس خفيا على أهل المعرفة أن الوصول الى مثل هذا المقام الشامخ (نيابة الامام (ع) عزيزجدا، وصعب متوقف على تحمل الصعوبات، وألوان المجاهدات .

وحيث أن وجود مثل هذا العالم الروحانى من أكبر النعم الالهية كان شكره من أهم الشكر كما أن الكفر به من أكبر الذنوب .

الكفران بوجود العالم الروحانى :

كفران وجود العالم الروحانى يتحقق بأن لايرى وجوده نعمة، ولايعتنى بشأنه، ولايعتقد بوجوب اطاعته، أو ـ والعياذ بالله ـ يرد حكمه والذى هو نفسه ذنب كبير وبمنزلة رد الامام عليه السلام الذى هو بحد الشرك بالله تعالى، والخلاصه أن ذلك قطع بالامام (ع) .

يقول أبو حمزة أن الامام الصادق (ع) قال له :

«أغد عالما أو متعلما أو أحب أهل العلم ولاتكن رابعاً فتهلك ببغضهم» ـ اصول الكافى ـ

وعن الامام السجاد (ع) :

«أوحى الله تعالى الى دانيال ان أمقت عبيدى الجاهل المستخف بأهل العلم التارك للاقتداء بهم وان أحب عبيدى التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحكماء القابل عن الحكماء»

ـأصول الكافى ـ

العقوبة الشديدة على كفران وجود العلماء :

ورد الوعيد بالعقوبة الشديدة علـى كفران النعمة منها قال رسول‌الله(ص) «سيأتى زمان على الناس يفرون من العلماء كما يفر الغنم من الذئب فاذا كان ذلك ابتلاهم الله بثلاثة أشياء الاول يرفع الله البركة من أموالهم، والثانى سلط الله عليهم سلطاناً جائراً و الثالث يخرجون من الدنيا بلا ايمان» ـ سفينة البحار / المجلد ٢ / ٢٢ ـ

ولا يفوتنا القول أن طلاب العلوم الدينية حيث أنهم فى طريق الوصول الى مقام النيابة الشامخ فان وجودهم هو أيضا نعمة ويلزم على الجميع الاعتراز بهم، كما أن الكفران بوجودهم بعدم الاعتناء بهم وهتكهم حرام أيضا.

* * *

الفصل الثانى

ماهو أعظم من احدى الكبائر الثابته

(١)

الفتنه

سوف نستعرض فى هذا الفصل بعض الذنوب التى ثبت بالفحوى وبالأولوية القطعية أنه أكبر من بعض الذنوب الكبيرة التى ذكرناها فى الباب الأول وفى الفصل الاول من الباب الثانـى أو التى ثبت بالقرآن المجيد أو بالنصوصة المعتبرة أنها أكبر من أحد الكبائر المسلمة مثل الفتنة التى جاء فى القرآن المجيد التصريح بأنها أكبر من القتل وأشد، كما فى قول تعالى «والفتنة أشدمن القتل» «والفتنة أكبر من القتل» ـوحيث أن قتل الانسان بدون حق هومن الكبائر المسلمة كما تقدم اذن فكون الفتنة من الكبائر مسلم أيضا اذ أنها أكبر من القتل .

ويكفى لمعرفة شدة مبغوضية الفتنة أنالله تعالى أمر بجهاد المشركين فى القرآن المجيد دفعا للفتنة وذلك قوله تعالى «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة» السورة ٢ / ١٨٩

جاء فى كتاب السلام العالمى والاسلام للسيد قطب :

«هنانتبين تلك الحرب الوحيدة التى يقرها الاسلام «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله» فماذا هى كلمة الله التى يقاتل من يقاتل فى سبيلها فيكون فى سبيل الله؟

انكلمة الله هى التعبير عن ارادته، وأرادته الظاهرة لنانحن البشر

هى تك التى تتفق مع الناموس الذى وضعه للكون والحياة والناس وقد مربنا أن التناسق فى طبيعة الكون والتعاون فى حياة البشر هما القانون الذى يريده الله للحياة، التناسق الذى يمنع الفساد و والاضطراب، ويسمح للحياة بالرقى الدائم والارتفاع الذى يحقق الخير العام للبشرية فى جميع الاعصار «وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان».

ولقد جاء الاسلام الى هذه الانسانية كلها، فمن تحقيق كلمة الله أن يصل هذا الخير الذى جاء الاسلام به الى الناس جميعاً، وألا يحول بينهم وبينه حائل. فمن وقف فى طريق هذا الخير أن يصل الناس كافة وحال بينهم وبينه بالقوة فهو اذن معتد على كلمة الله، وازالته من طريق الدعوة هى اذن تحقيق لكلمة الله لالفرض الاسلام فرضاً على الناس ولكن لمنحهم حرية المعرفة وخبرة الهداية، فالاسلام لايكره أحداً على اعتناقه ولكنه يكره الذين يقفون بالقوة فى طريقه ويفتنون الناس عنه «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله» وهذه حرب من الحرب التى يقرها الاسلام ويحرض عليها تحريضاً ويدعو رسوله أن يحرض عليها المؤمنين ويحب الذين يخوضونها ويعدهم أعلى درجات الرضوان...

ولقد جاء الاسلام ليحقق العدالة فى الارض قاطبة ويقيم القسط بين البشر عامة. العدالة بكل أنواعها : العدالة الاجتماعية، والعدالة القانونية، والعدالة الدولية، فمن بغى وظلم وجانب العدل فقد خالف عن كلمة الله ، وعلى المسلمين أن يقاتلوا لاعلاء كلمة الله...»

قال تعالى فى سورة البروج «ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم» .

وقال الرسول الاكرم (ص) :

«كفر بالله العظيم من هذه الامة عشرة، الى ان قال (ص) والساعى فى الفتنة» وسائل الشيعة / الجهاد .

معنى الفتنة :

رغم ان أهل اللغة ذكروا للفتنة حسب موارد استعمالها عشرة معانى الاان المراد بالفتنة هنا هو معناها العرفى الذى يتبادر من اطلاقها وهو احداث الشغب وسلب أمن واستقرار وحرية الآخرين فردا أو جماعة، وايجاد الفرقة بين نفرين أو أكثر، وخلق الاثنينية مع الآخرين ووضع الناس فى حالة العذاب والشقاء .

الفتنة فى الامور الدينية :

والفتنة فى الدين على أقسام فأحيانا يسعى الشخص فى اضلال الناس، ولايدعهم يقبلوا الدين الحق من خلال شبهات وشكوك يطرحها بقلمه أولسانه، واحيانا يمنع الآخرين من قبول الدين من خلال ايذائهم وتعذيبهم كما فى معاملة مشركى مكة مع المسلمين فى صدر الاسلام، ومثل معاملة معاوية عليه الهاوية مع شيعة الامام أمير المؤمنين (ع).

بنوأمية أسوء فتنة :

يقول أمير المؤمنين (ع) ضمن خطبة له فى نهج البلاغة :«ألا وان أخوف الفتن عندى فتنة بنى أمية فأنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها، وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمى عنها،» نهج البلاغة ـ الخطبة ٩٣

أن فى كل قرن بشهادة التاريخ من صدر الاسلام والى زماننا هذا ـ وهو القرن العشرين ـ تظهر فى العالم الاسلامى فتنة، وبالطبع فأن

وجودها انما هو لأجل امتحان الناس وظهور الصادق من الكاذب من مدعي الاسلام، وتمييز الخبيث من الطيب، ومعرفة السعداء من الاشقياء وقد جاء في القرآن المجيد الاشارة الى هذا الموضوع في أكثر من موضع، من ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت :

«أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون». وان أشد الفتن في القرن الاخير هي فتنة الشيوعية، وفتنة أتباع الرأسمالية والمادية والوجودية التي انهمر سيلها في اوربا وامريكا باتجاه الشعوب الاسلامية، فاقتلعت أسس العقيدة بالمبدا والمعاد من القلوب ووضعت محلها بذور المادية والشهوانية والذاتية وحب الدنيا ، وأصبح المسلمون في هذا المقطع الزمني مصداقا حقيقيا للآية الشريفة «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا».

وبالجملة فقد سلبوا الجوانب الانسانية والمعنوية من المجتمع البشري ، ومنعوهم عن ذكر الله والآخرة، وشغلوهم بأنواع الشهوات والفسق والفجور بحيث لم يبق من الاسلام الا اسمه كما جاء في الخبر عن رسول الله.

ومن خلال النظر في حال مجتمعنا المعاصر يعلم أن صفات الكمال الانساني قد سلبت منه، ووضعت محلها الرذائل الحيوانية والشيطانية.

مثال ذلك أنه سلب منهم الحياء ـ الذي هو من الصفات الانسانية العالية، والذي يصد عن آلاف المفاسد، ويؤمن العفاف العام ـ وحل محله الاستهتار والتحلل وهكذا فقدت رعاية الحقوق وبالأخص حقوق الوالدين الذي هو من لوازم المجتمع البشري والذي اهتمت به الديانات، فقد زال هذا الأمر وحل محله تضييع الحقوق، وكفران النعمة، وعدم

تقدير الاحسان والخدمة من الآخرين.

لقد زال من المجتمع البشرى التعاون والتعاضد والحنان العاطفى، والشعور بالرحمة، وطلب الخير، والعفو، وأمثال ذلك مما يتوقف عليها نظام الحياة الدنيا وسعادة العقبى، وحل محلها الذاتية والانانية وقساوة القلب، وفقدان الرحمة وطلب الراحة للنفس والزحمة للآخرين وأمثالها.

كما فقد الصدق فى القول والعمل من جميع الطبقات وحل محله الكذب والخداع والغش والتحايل والتلاعب كما يلاحظ أن صاحب كل جنس يتلاعب بأشكال مختلفة فى جنسه حتى يجعله بصورة السالم الصحيح فى مقام بيعه، ولايمتنع عن أية خيانة وجناية من أجل تحصيل الثروة وتأمين وسائل الرفاه المادية له، كما حدث مرارا أن يبيع طعاما مسموما بحيث يعرض أرواح بنى نوعه للخطر.

والخلاصة أنهم أصبحوا كالحيوانات مفصول أحدهم عن الآخر، ويتعاملون فيما بينهم بتناكر وتنافر وبمنطق القوة والغلبة، وماذكر هو نموذج من مفاسد الفتنة المادية، أما لو أردنا المضى فى شرحها لامتلأت به الكتب.

ولا يفوتنا القول أن من مكائد المؤسسين والمروجين لهذه الفتنة تضعيف وسحق علماء الدين فى المجتمع، وأكبر وسيلة لهم لتحقيق ذلك هو ايجاد حالة التشاؤم والسخرية بالأديان فى المجتمع وبالخصوص فى طبقة الشباب، والسعى فى ايجاد الفواصل بينهم وبين المجتمع حتى لايسمعوا شيئا من ذوى الدين والصفات الكمالية الانسانية، ولايتعرفوا على مواصفات الآدمية وعلاماتها، ولايدركوا الحقائق فينزلقوا فى تيار الفساد وهم صم بكم ويشتغلوا بأنواع الاهواء والقذارات.

وان أعظم حربة لهم فى ذلك هى حربة الاتهام، فيتهمونهم احيانا بأنهم لامعرفة لهم بأوضاع العالم وتمدنة، وأنهم منعوا الناس فترة طويلة عن التقدم، واحيانا يتهموهم بأنهم يطلبون الدنيا و الرئاسة وحيث أن التمدن الاجتماعى يمنع عن رئاستهم لذا فهم يعارضوه، وغير ذلك من الاتهامات، وغير خفى على كل مسلم فاهم أن جميع ذلك اتهام عار عن الحقيقة والواقع .

البدعة والتجسس :

من جملة الفتن الدينية البدعة فى الدين ، فان اولئك الذين يبتدعون طرقا جديدة فى الاسلام، ويفرقون بها المسلمين، ويسببون حدوث آلاف الفتن والمفاسد فى العالم الاسلامى هم أسوأ الفتانين .

ومن جملة الفتن الدينية التجسس للكفار فى الامور التى يجب أن تبقى سراً بين المسلمين، كما يقول تعالى فى سورة النساء حول المنافقين «واذا جائهم أمر من الآمن أو الخوف أذاعوا به».

وقد نقل المجلسى عن البيضاوى فى معنى هذه الآية أنها نزلت فى عدة من المسلمين الضعفاء كانت طريقتهم على نقل ما يصلهم من أخبار رسول الله (ص) اذا اراد شن حملة، أو مايخبر به رسول الله (ص) عن طريق الوحى من انتظار المسلمين أو انكسارهم، فكانوا ينشون هذه الاخبار الأمر الذى يبعث على القلق والفساد وهذا الآية نزلت فى ذم افشاء الامور التى يترتيب على افشاءها مفسدة .

افشاء أسرار الشيعة والاحاديث المشكلة :

ومثل ذلك نقل أسرار الشيعة التى وصلتهم عن أئمتهم للمخالفين، الأمر الذى يسبب الايذاء والضرر للمؤمنين، وخلاصة القول عدم

التقية فيما تجب فيه التقية .

يقول العلامه المجلسى ـ فى شرح حديث اياكم والاذاعة ـ : «ويمكن شموله لأفشاء بعض غوامض العلوم التى لاتدركها عقول عامة الخلق»(١)

وعن الامام الصادق(ع) «من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان» اصول الكافى

وايضا قال(ع) فى تفسير قوله تعالى «ويقتلون الانبياء بغير حق» قال(ع) : «أما والله ماقتلوهم بأسيافهم ولكن أذاعوا سرهم و أفشوا عليهم فقتلوا» ـ أصول الكافى ـ

وقال(ع) «ماقتلنا من أذاع حديثنا خطأً ولكن قتلنا قتل عمد» ـ اصول الكافى ـ

ايجاد الفرقة :

من جملة الفتن الدينية ايجاد الفرقة والتشتت بين الجماعة المتحدة بقلبها والمتوجهة الى ربها والذاكرة لنبيها وامامها، وذلك اما بالقوة القاهرة أو بالقاء الشبهة وسوء الظن بين المأمومين وامام الجماعة أو بين المأمومين بعضهم مع البعض الآخر، والخلاصة تبديل اتحاد القلوب ـ الذى هو هدف مقدس للشارع وموجب لكل خير ـ بالتباغض والفرقة الموجب لكل شر، والذى هو أمر مبغوض للشارع المقدس .

اثم الفتنة أكبر من القتل :

كما سبقت الاشارة اليه أن الفتنة أكبر من القتل بنص القرآن

١ـ مرآة العقول ـ باب الاذاعة .

المجيد وذلك أن قتل النفس هو مجرد اتلاف حياة مؤقتة وعارية دنيوية وفى الحقيقة انقاذها من شرور هذا العالم وآفاته وأماالفتنة فى الدين فهى سبب لقطع الحياة الابدية، والحرمان من النعم الخالدة، وبمقدار ماتكبر الحياة الآخرة على الدنيا بل هو أمر غير قابل للقياس كذلك ـ وبنفس المقدار ـ فأن الفتنة فى الدين هى أكبر وأخطر من قتل النفس.

الفتنة فى الامور الدنيوية :

الفتنة الدنيوية أسوأ من القتل وذلك :

أولاً : أن من يشعل نار الفتنة ويحرق بها جماعة يسلب راحتهم ويدعهم فى عذاب هو فى كل يوم لهم بمثابة القتل، ولو أنه قتلهم دفعة واحدة لكان أروح لهم.

ثانياً : أن أغلب الفتن تنجر الى القتل وملحقاته من الجرح و نقصان الاعضاء .

يقول الشهيد الثانى وهو يعد الكبائر «والقتل بغير حق وتدخل فيه جناية الطرف» ـ القواعد ـ

فسرت الفتنة بالكفر والشرك :

ولايبقى خفياً أن أكثر المفسرين فسروا الفتنة فى الايات المذكورة بالكفر والشرك، وفى رواية عن الامام الباقر (ع) فى تفسير آية (حتى لاتكون فتنة) أنه فسر الفتنة بالشرك، هذا المعنى لامنافاة بينه وبين ماهو الظاهر من معنى الفتنة كما تقدم ، وذلك أن الظاهر أن المراد فى الروايات وكلمات المفسرين بيان سبب الفتنة اذ أن المؤمن الحقيقى لاتصدرمنه فتنة دينية أو دنيوية كما قال أمير

المومنين(ع) فى صفات المتقين «الخير منهم فى قلبه والشر منهم مأمون» ـ نهج البلاغة ـ

ومعناه أن من دخل فى قلبه نور الايمان أمن جميع الناس من شره، اذن فالفتان هو اما كافر أو مشرك باطنى وظاهرى أو اذا كان مسلما فهو مازال لم يخلص من ظلمات الكفر ومراتب الشرك، ولم يزل قلبه غير منور بنور الايمان.

التجسس للظالم :

من الفتن المسلمة التجسس للحكام والظلمة وخطر ذلك وعظيم مفسدته وكونه أكبر من القتل ظاهر جدا، اذقد يكون جاسوس واحد سببا فى قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، بل سببا فى فجائع كربلاء وما بعدها.

* * *

(٢)

بيع الأسلحة للكفار

الذنوب التي ثبت بالفحوى والاولوية القطعية أنها من الكبائر مثل النهي عن المعروف والامر بالمنكر أي منع الآخرين عن اتيان ما أمر الله به أو حثهم على ارتكاب ما نهى عنه، فمن حيث أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الكبائر ـ كما تقدم في الباب الاول ـ فيثبت بحكم العقل القطعي أن النهي عن المعروف هو كبيرة حتما .

ومثل التجسس للكفار بما يكون في غلبتهم ومثل بيع الاسلحة الحربية للكفار في زمن حربهم للمسلمين .

ويتضح أن هذين الأمرين من الكبائر من حيث أن الفرار من ميدان الحرب رغم أن ضرره على الاسلام والمسلمين احتمالي الا انه اعتبر من الكبائر فيثبت بالاولوية أن التجسس للكفار وبيع الاسلحة لهم هو أكبر اثما من الفرار لأن ضرره على المسلمين قطعي .

عن الامام الباقر(ع) :

«من حمل الى عدونا سلاحا يستعينون بـه علينا فهو مشرك» ـ المكاسب ـ

وفي وصية النبي(ص) لعلي :

«ياعلي كفر بالله العظيم من هذه الامة عشرة أصناف، وعد منها

بائع السلاح من أهل الحرب» ـ وسائل الشيعة ـ

ولايفوتنا القول أن بيع الاسلحة لقطاع الطريق وأولئك الذين يخلون بالأمن العام للمسلمين هو بحكم بيع الاسلحة للكفار .

(٣)

البهتان

من جملة الذنوب الكبيرة التى ثبتت بطريق الاولوية القطعية هو (البهتان) وهو نسبة العيب الى شخص ليس فيه ذلك العيب، و ذلك لان الغيبة ـ التى هى ذكر الآخر بعيب موجود فيه من الذنوب الكبائر فالبهتان بطريق أولى وبحكم العقل القطعى كبيرة أيضاً، بل البهتان يشتمل على كبيرتين الغيبة والكذب .

وحيث أن البهتان مورد ابتلاء عموم الناس، ومفاسده كثيرة، وقد نهى عنه فى القرآن المجيد والروايات بشدة، وجاء الوعيدعليه بعقوبات شديدة، كان من الجدير الاشارة الى بعض الايات والروايات فى هذا المقام .

آيات الافك فى سورة النور :

فى سورة النور سبعة عشر آية حول موضوع الافك ورغم أن مورد هذه الآيات وشأن نزولها هوخصوص البهتان بالزنا الاأن فيها تهديد شديد لعموم البهتان كما سنذكر ذلك ـ ان شاءا... ـ .

وخلاصة ماذكره المفسرون فى شأن نزول آية الافك هو أنها نزلت فى عدد من المنافقين اتهموا عائشة زوجة الرسول(ص) .

وتفصيل ذلك أن رسول الله(ص) اصطحب معه عائشة فى غزوة

بنى المصطلق، وأركبها هودجاً مستورا .

تقول عائشة (١) كان رسول‌الله(ص) اذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها فأقرع بيننا فى غزوة غزاها ـ وروى أنها كانت غزوة بنى المصطلق ـ فخرج فيها سهمى وذلك بعدما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول‌الله(ص) حتى فرغ من غزوه وقفل .

قالت : ودنونا من المدينة فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى الرحل فلمست صدرتى فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فألتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذى كانوا يرحلوننى فحملوا هودجى على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبونى أنى فيه ـ وكانت النساء اذ ذاك خفافاً لم يهبلهن اللحم ـ انما يأكلن العلقة من الطعام فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فسموت منزلى الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونى فيرجعون الى، فبينا أنا جالسة اذ غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ماكلمنى بكلمة حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى حر الظهيرة .

تقول عائشة : فهلك من هلك فى ـ تعنى قذفها واتهمها ـ وكان الذى تولى كبره منهم عبدالله بن أبى، فقدمنا المدينة فاشتكيت ـ مرضت ـ حين قدمتها شهراً والناس يفيضون فى قول أهل الافك

١ـ نقلنا هذه الرواية كما جاء فى تفسير مجمع البيان .

ولا أشعر بشى من ذلك غير أنى لاأعرف من رسول‌الله(ص) اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى... ودعا رسول‌الله(ص) بريرة فقال يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة؟ قالت بريرة: والذى بعثك بالحق ان رأيت عليها أمراً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، قالت : وأنا والله أعلم أنى بريئة وماكنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول‌الله رؤيا يبرئنى الله بها فأنزل الله تعالى على نبيه... «ان الذين جاؤوا بالأفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم مااكتسب من‌الاثم والذى تولى كبره منهم لهم عذاب عظيم» «لولا اذ سمعتوه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين» «لولاجاؤوا عليه‌بأربعة شهداء فأذلم يأتوا بالشهداء فاولئك عندالله هم الكاذبون» «ولولا فضل‌الله عليكم ورحمته فى الدنياوالآخرة لمسكم‌فيما أفضتم‌فيه عذاب‌عظيم» «اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عندالله عظيم» .

وحاصل الايات الشريفة أنكم ارتكبتم ثلاثة ذنوب، الاول : الافاضة والتحدث بالكذب والافك واشاعته، الثانى: القول بغيرعلم، وبيان مالم تتأكدوا منه، والثالث : استصغار هذا العمل والاستهانة به «وفى آخر الباب الاول ذكرنا أن الاستخفاف بالذنب يجعله كبيرة من الكبائر» .

من هذه الايات وآيات أخرى ـ لم نذكرها طلباً للاختصار ـ يتضح جيداً أن البهتان من كبائر الذنوب بل أكبر من بعض الكبائر .

البهتان وأخبار أهل‌البيت(ع) :

قال الرسول‌الاكرم(ص) :

«من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ماليس فيه أقامه الله تعالى يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قاله» ـبحار الانوار ـ

وعن الامام الصادق(ع) أنه قال «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله فى طينة خبال حتى يخرج مما قال. قلت: وماطينة خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج المومسات» ـاصول الكافى ـ

وقال(ع) :

اذا اتهم المؤمن أخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح فى الماء» ـالكافى ـ

انواع البهتان

البهتان على الله :

ان أشد البهتان هو البهتان على الخالق ـتعالـى ـ كما قال تعالى فى سورة الصف «ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب» مثل من ينكر عدالة الله أو حكمته ـكمنكرى نبوة الانبياء ومنكرى المعاد فهم فى الحقيقة انما ينكرون حكمة الله ـ وأيضاً مثل اولئك الذين يتخذون لله شريكا وهكذا القائلين بمختلف صنوف الشرك فجميع ذلك افتراء محض وقول بدون علم .

وقد جاءفى الايات القرآنية المجيدة تهديد شديد ووعيد بالنار لاولئك، بل ان البهتان على الله من لوازم الكفر .

قال تعالى فى سورة النحل: «انما يفترى الكذب الذين لايومنؤن بآيات الله وأولئك هم الكاذبون» .

البهتان على الرسول(ص) والامام(ع) :

وفى حكم البهتان على الله البهتان على النبى والامام(ع) كمن

يتهمهم بالسحر والجنون والشعر والكذب والذاتية، وتفصيل اتهامات البشر لسلسلة الانبياء الجليلة وأئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين يحتاج الى كتاب مستقل لايسعه هذا المختصر.

البهتان على الناس :

اتهام الناس على قسمين :

أحيانا يكون قولا بدون علم، بأن ينسب عيباً لشخص دون أن يثبت ذلك العيب، ولايقين له به، بل ينسبه اليه لمجرد سوء الظن.

وأحيانا يكون افتراءاً بأن يعلم أن ذلك العيب غير موجود فى الشخص المتهم، والعمل الذى يتهمه به لم يصدر منه، ولكن ينسبه اليه عنادا، والاقبح من ذلك أن يكون ذلك العيب موجود فى المتهم ـ بالكسر ـ ولكنه دفعاً للشبهة عن نفسه ـ يتهم غيره به ويرمى بقذارته على شخص طاهر منها.

وظاهر جداً أن هذا القسم من أسوأ أنواع البهتان على عباد الله، كما قال تعالى فى سورة النساء «ومن يكسب خطيئة أو اثماً ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتاناً واثما مبينا» السورة ٤ / الاية ١١٠

البهتان على الكافر حرام أيضاً :

جاء فى تفسير (منهج الصادقين) أن طعمة بن بيرق كان له ثلاثة أولاد بشر ومبشر وبشير، وكان بشر من هؤلاء الثلاثة رجلاً منافقاً، دخل ليلاً على دار قتادة بن النعمان وكان فيها دقيق مخزون فى وعاء من جلد الخروف فسرقه ومضى به الى دار زيد بن السهين وكان يهودياً فأودعه عنده، فلما عرف قتاده بالخبر جاء الى دار ذلك اليهودى فأنكر اليهودى، فجاء قتادة الى رسول الله (ص) وشكاله الحال، وجاء

بنى بيرق يكلمون رسول الله أن يجادل عنهم، فهم رسول الله (ص) أن يعاقب اليهودى فنزل قوله تعالى «انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما» ١٠٦/ النساء.

عاقبة الخائن :

ونقل فى تفسير الميزان أن عاقبة بشر كانت هى امتناعه عن التوبة التى عرضها الله عليه، وذهب الى مشركى مكة، وهناك ذهب لسرقة دار محترقة .

العلاج ينحصر بتحصيل الايمان :

والحقيقة أنه لا يوجد لهذا النوع من البهتان سبب الا عدم الايمان، والشقاء، والرذالة، وعدم العفة والحياء، كما أن علاجه ينحصر بتحصيل الايمان وتقويته والتفكر فى آثار الخيانة الوخيمة فى الدنيا، وعقوباتها المترتبة عليها فى الآخرة .

سوء الظن :

والقسم الآخر من البهتان أن ينسب أمراً بدون علم الى غيره، وسببه فى الغالب سوء الظن بأن يحمل مارآه أو سمعه على الفساد ثم يسير تبعا لظنه ذلك، ولا يعتنى باحتمال الصحة والصلاح فيه .

لذا جاء النهى لشديد فى القرآن المجيد والاخبار الكثيرة عن سوء الظن بالآخرين وورد الأمر بضرورة حمل عمل المسلم على الصحة، ولأجل مزيد الاصلاع نشير الى بعض الايات والروايات الواردة فى المقام .

بعض الظن اثم :

قال تعالى فى سورة الحجرات «يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا

كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا» .

وخلاصة مفاد هذه الآية الشريفة النهى عن اتباع ظن السوءفى حق الاخ المؤمن .

وفى سورة بنى‌اسرائيل يقول تعالى «ولاتقف ماليس لك به‌علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا» .

يجب الحمل على الافضل :

قال أمير المؤمنين(ع) :

«ضع‌أمر أخيك‌على‌أحسنه‌حتى يأتيك‌ما‌يغلبك منه‌ولاتظنن‌بكلمة خرجت من‌أخيك سوءاً وانت‌تجد لهافى‌الخير محملا»ـ كشف الريبةـ

وقد ذكر العلامة المجلسى عليه الرحمة فى شرح هذا الحديث أنه يعنى احمل العمل أو القول الذى يصدر من أخيك على الوجه الحسن حتى وان لم يكن بظاهره حسن، ولاتحقق عنه فتحصل على دليل قطعى يمنع التأويل، فما أكثر مايكون الظن خطأ، كما أن‌البحث والتدقيق حرام أيضاً لقوله تعالى «ولاتجسسوا» .

وحاصل المعنى أنه متى ماصدر من مؤمن كلام‌له معنيان فاللازم عليك أن تفسره بالمعنى الحسن وان كان ذلك المعنى مجازاً أو كناية وتورية، ولم يكن فى الكلام عليه قرينة، خصوصاً اذا ادعى المتكلم بأنه قصد هذا المعنى .

ذكر الچلبى فى (حاشية المطول) أن (القبعثرى) وهو شاعر أديب‌كان‌فى جمع‌من‌الادباء والشعراء، وكان الوقت وقت حصاد‌التمر من النخيل، فذكر عندهم الحجاج فقال القبعثرى : اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقنى من‌دمه، فوصل كلامه الى الحجاج فأحضره و سأله عن مقالته فقال: أردت بذلك الحصرم، الاأن الحجاج لم يقبل

ذلك منه وقال له : لأحملنك على الأدهم ـ والأدهم فى العربية تعنى القيود والسلاسل وتستعمل فى معنى آخر هو الفرس الأسود ـ فقال القبعثرى : مثل الامير يحمل على الأدهم والأشهب. فقال الحجاج: أردت الحديد فقال القبعثرى: لئن يكون حديد أخير من أن يكون بليداً» انتهى .

ويلاحظ فى هذه الحكاية أن القبعثرى حمل كلام الحجاج ووعيده وتهديده على معنى الوعد واللطف والاحسان، ومثل هذا الصنع يجب أن يراعى فى جميع أقوال وأفعال المسلمين، فطالما أمكن حمل الكلام على معنى سليم صحيح وجب حمله عليه ولم يجز الحمل على المعنى السيء الفاسد .

سوء الظن بالمؤمن حرام :

قال الشهيد الثانى فى كشف الريبة :

«واعلم أنه كما يحرم على الانسان سوء القول فى المؤمن وأن يحدث غيره بلسانه بمساوىء الغير، كذلك يحرم عليه سوء الظن وأن يحدث نفسه بذلك .

والمراد من سوء الظن المحرم عقد القلب وحكمه عليه بالسوء من غير يقين به، وأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه كما أن الشك أيضاً معفو عنه، قال الله تعالى «اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم» فليس لك أن تعتقد فى غيرك سواءاً الا ذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل ومالم تعلمه ثم وقع فى قلبك فالشيطان يلقيه اليك فينبغى أن تكذبه فأنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة» فلا يجوز تصديق ابليس .

ومن هنا جاء فى الشرع أنمن عملت فىفيه رائحة الخمرلايجوز أن يحكم عليه بشربها ولايحد لأمكان انيكون تمضمض به ومجه أو حمل عليه قهراً وذلك أمرممكن فلايجوز اساءة الظن بالمسلم،وقد قال النبى(ص) «انالله تعالى حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء» .

الى أن قال :

وطريق معرفة مايخطر فى القلب من ذلك هلهو ظن سوء أو اختلاج وشك، أن تختبر نفسك فأن كانت قد تغيرت ونفر قلبك عنه نفوراً واستثقله وفترت عن مراعاته وتفقده واكـرامه والاهتمام بحاله والاغتمام بسببه غير ماكان أولاً فهو امارة عقد الظن، وقد قال(ص) «ثلاثة فىالمؤمن وله منها مخرج، فمخرجه من سوء الظن الا تحققه» أى لايحققه فـى نفسه بعقد ولافعل لافى القلب ولافـى الجوارح...

والذى ينبغى فعله عن خطور خاطر سوء على مؤمن أن يزيدفى مراعاته ويدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى اليك بعد ذلك خاطر سوء خيفة من اشغالك بالدعاء» ـانتهىـ

الفصل الثالث

فيما كان عظيما فى أنفس أهل الشرع

(١)

هتك القرآن

الطريق الرابع فى تعيين الذنوب الكبائر هو ماكان عظيماً بنظر أهل الشرع فى تمام عصورهم الى أن يصل الى زمن الائمة(ع) و الرسول(ص) فيثبت بذلك أنه كبيرة. مثل هتك واهانة المقدسات والمحترمات الدينية التى يعتبر لزوم احترامها أمراً بديهيا، مثل القرآن المجيد، والكعبة المعظمة، والمساجد، والمشاهد المشرفة حتى التربة الحسينية.

وفيما يلى نشير بنحو مختصر الى حرمة اهانة الامور المذكورة، ووجوب تعظيمها، وأحكامها.

احترام القرآن من ضروريات المذهب :

بديهى لدى كل مسلم أنه لايوجد شيء أعز ولاأشرف ولاأحق بالاحترام فى الاسلام من القرآن الذى هوكلام الخالق ـ تعالى ـ وقد عبر عنه رسول الله(ص) بأنه الثقل الاكبر فقال :

«ان القرآن هوالثقل الاكبر، وان وصيى هذاوابناى ومن خلفهم من اصلابهم هم الثقل الاصغر» ـ سفينة البحار/ المجلد ١/ ١٣٢ ـ

أحسن الثواب :

يقول الامام الباقر(ع) فى حديث طويل فى باب عظمة القرآن:

«ان القرآن يأتى يوم القيامة فى أحسن صورة.. فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادى؟ فيقول : يارب منهم من صاننى وحافظ على ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيعنى واستخف بحقى وكذب بى وأنا حجتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتى و جلالى وارتفاع مكانى لأثيبن عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب»(١)

وفى رواية أخرى عن الامام الصادق(ع) أنه قال :

«فيقول الجبار : وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لأكرمن اليوم من أكرمك، ولاهينن من أهانك»(٢)

وبالجملة فانه لايخفى على أىمسلم أن اهانة القرآن المجيدمن كبائر الذنوب، وهو اهانة لله ورسوله(ص) .

قال رسول‌الله(ص) :

«أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه واهل بيتى ثم أمتى، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتى؟»(٣)

معنى اهانة القرآن وحكمها :

تشخيص الاهانة أمريعودالى العرف، فأىكلام أوتصرف بالقرآن المجيد يرى عندالعرف توهيناله، ويكون موجبا لهتك حرمته، فهو حرام‌وذنب كبير .

بالطبع، فان ذلك انما هوفى صورة ماإذا كانت الاهانة ناشئة بدافع‌الاستخفاف‌والتوهين‌لأصل الدين،وشريعة سيدالمرسلين(ص).

كما أن هذا الحكم مخصوص بماإذا لـم يكن مستحلا لتوهين القرآن اما اذاكان يراه حلالا فان عمله موجب للكفر والارتداد عن

١، ٢، ٣ : اصول الكافى/ ح ٢/ فضل‌القرآن .

الدين، ذلك أن حرمة اهانة القرآن من ضروريات الدين .

وبناءا على ذلك فان من يركل القرآن بقدمه أو يلقيه فى النجاسة كافر لاحرمة لدمه، وذلك أن ظاهر عمله الاهانة لأصل الدين وانكار حرمة القرآن المجيد، اللهم الا اذا ادعى أنه كان فى حالة الغضب، و فاقداً للارادة، وكان يحتمل ذلك فى حقه .

وهنا يناسب التذكير بعدة ملاحظات حول حرمة اهانة القرآن المجيد ووجوب احترامه:

(١) ان جلد القرآن وغلافه وهكذا أوراقه ـ الخالية من الكتابة ـ هى بمثابة سطور القرآن فى حرمة هتكها .

وبناءاً على ذلك فان تنجيسها حرام أيضا اذا كان موجبا للهتك وفى صورة تنجيسها فان الواجب عليه تطهيرها .

(٢) كتابة القرآن بالحبر النجس حرام أيضا، ولو كتب بذلك أو تنجس بعد أن كتب فان تطهيره واجب وان لم يمكن وجب محوه .

(٣) تسليم القرآن بيد الكافر حرام اذا كان موجبا لهتك القرآن، أو مس الكافر لخطوطه .

وقال بعض العلماء انه لايجوز مطلقا، ويجب أخذه من يد الكافر.

(٤) متى ماوقع القرآن المجيد فى بيت الخلاء ـ لاسمح الله ـ أو أوراق منه، أو دعاء المعصوم(ع) أو الخاتم التى فيه اسم الله، أو التربة الحسينية وأمثال ذلك من المقدسات الدينية والمذهبية التى يحرم هتكها ويجب احترامها فان الواجب اخراجها فورا، و تطهيرها، وان استلزم ذلك صرف مبالغ طائلة وما زال لم يخرجها فان التخلى فى ذلك المكان حرام، وان لم يكن اخراجه ممكنا وجب اغلاق المكان لئلا يتخلى فيه .

وما ذكر فى وجوب الاخراج والتطهير وغيره لايختص بصاحب

المكان ولا يختص بالشخص الذى أوجب تنجسها بل هو واجب على كل مسلم عرف بالخبر وجوبا كفائيا، وان لم يؤده أحد كان الجميع مسؤولا ومحاسبا .

(٥) يحرم على الشخص المحدث مس خطوط القرآن، سواءاً بيده أو بسائر الاعضاء. وحيث أن فروع هذا الحكم كثيرة لذا ندعو القارىء الى مراجعة كتاب (العروة الوثقى) .

(٦) قال الشيخ الانصارى عليه الرحمه فى ختام بحث المكاسب المحرمة :

«صرح جماعة بحرمة بيع المصحف والمراد به خطه.. وعليه تدل ظواهر الاخبار المستفيضة ففى موثقة سماعة «لا تبيعوا المصاحف فان بيعها حرام، قلت: فما تقول فى شرائها؟ قال: اشترمنه الدفتين والحديد والغلاف، واياك أن تشترى منه الورق...» ... وقد تعارف الى الآن تسمية ثمن القرآن هدية»

الفات لازم :

كلما كان الشخص أكثر اطلاعا فى عالم المعرفة، وكلما أدرك عظمة الخالق أكثر، كان القرآن المجيد الذى هو كلامه ـ تعالى ـ عنده أعظم، وسعى فى رعاية الادب اللازم معه واحترامه وتعظيمه، ومع ذلك يعتقد بأنه مقصر فى حق القرآن .

مثل هذا الشخص لايضع يده أبدا على القرآن من غير وضوء وحتى جلده وحاشيته ولا يسمه حتى وان كانت يابسه ولايحمله معه فى حال الحدث، بل يكون على طهارة طالما كان القرآن معه، ولايضع القرآن وراء ظهره عند الجلوس، ولايمد اليه رجليه، ولا يضع فوقه شيئا، وحين يقرأه يتجه الى القبلة ويتلوه بأدب وبحضور قلب وبتأنى

وتأثر بمواعظه، ويستمع له اذاقرأه غيره «واذاقرء القرآن فاستمعوا له وانصتوا» لانه كلام الله، ولايقرأ القرآن فى مجلس اذاكان أهل المجلس لايراعون الادب مع القرآن .

جاء فى كتاب (روضة الازهار)(١) للأكبرى فى الحديقة(٥١) نقلاً عن (أبوالوفاء الهروى) أنه قال: كنت أقرأ القرآن فى مجلس الملك وكان مشغولاً بالحديث غير مستمع للقرآن، فرأيت رسول الله (ص) فى المنام وقد تغير لونه فقال لى : «أتقرأ القرآن بين يدى قوم وهم يتحدثون ولايستمعون وانك لاتقرأ بعد هذا الاماشاءالله» استيقظت من نومى وأنا أبكم لاأطيق الكلام ولكن كنت آمل أن ينطلق لسانى لأنه (ص) قال «الاماشاءالله»، وبعدأربعة شهوررأيت رسول الله (ص) فى المنام فى المكان الذى رأيته فيه اولاً فقال لى «قدتبت؟» قلت «بلى يا رسول الله» فقال (ع) «من تاب تاب الله عليه» ثم قال لى: أخرج لسانك، فمسح عليه وقال «اذا كنت بين يدى قوم تقرء كلام الله فاقطع قرائتك حتى يسمعوا كلام رب العزة» .

وليس خفياً كما أن هتك القرآن المجيد حرام، وذنب كبير، فكذلك الادعية الواردة عن المعصومين عليهم السلام مثل الصحيفة السجادية، وهكذا الاحاديث الواردة عنهم فان هتكها حرام أيضاً، كألقائها على الارض، أو سحقها بالقدم وامثال ذلك مما يعد فى العرف هتكاً.

١ـ الكتاب باللغة الفارسية بأسم (گلزار) .

(٢)

هتك الكعبة

لايوجد فى الاسلام ـ بعد القرآن ـ ماهو أعز وأشرف من الكعبة المعظمة، وهذا أمر بديهى لدى كل مسلم بنحو أنه لاشك فى أن هتك الكعبة من الذنوب الكبيرة، بل أن بعض مراتبه يوجب الكفر والارتداد، كما ذكر ذلك فى هتك القرآن المجيد. يروى الشيخ الصدوق عليه الرحمة عن الامام الصادق(ع) : قوله :

«ان لله عزوجل حرمات ثلاث ليس مثلهن شىء كتابه وهو حكمته ونوره، وبيته الذى جعله قبلة للناس، وعتره نبيكم» .

وقال(ع) :

«ماخلق الله فى الارض بقعة أحب اليه من الكعبة ولا أكرم عليه منها» .

وبالجملة فان من البديهى والضرورى لدى كل مسلم متدين أن أهانة الكعبة ذنب كبير جدا، بل ان من الواضح لزوم احترام مكة بأجمعها، بل تمام الحرم(١).

الوصية بالكعبة :

وعلاوة على ذلك فقد ورد النص صريحاً عن الرسول الاكرم(ص)

١ـ (الحرم) حسب تقدير الفقهاء أوسع من مكة المكرمة، ويقدر بمسافة اثنين وعشرين كيلومتراً طولاً وعرضاً، والمسجد الحرام واقع وسط هذه المسافة عرفاً .

فى أن هتك الكعبة من الذنوب الكبائر وذلك قوله «الكبائر تسع أعظمهن الاشراك بالله عزوجل ـ الى أن قال ـ واستحلال البيت الحرام» الوسائل ـ ابواب جهاد النفس .

وقال تعالى فى سورة المائدة «يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله» الاية ـ ٢

كتب فى تفسير الميزان فى شرح هذه الاية :

«الاحلال هو الاباحة الملازمة لعدم المبالاة بالحرمة والمنزلة، ويتعين معناه بحسب ما أضيف اليه، فأحلال شعائر الله عدم احترامها وتركها، واحلال الشهر الحرام عدم حفظ حرمته والقتال فيه وهكذا»

ولاشك فى أن الكعبة المعظمة هى أعظم الشعائر الالهية .

وقال تعالى فى سورة الحج «ومن يعظم حرمات الله فهو خيرله عند ربه» الاية / ٢٩

وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد من حرمات الله فى هذه الآية الشريفة الكعبة المعظمة التى هى بيت الله الحرام، والمسجد الحرام، ومكة المعظمة التى هى البلد الحرام، وكل الحرم .

مراتب الاهانة :

سبقت الاشارة الى أن بعض مراتب الهتك توجب الكفر والارتداد مثل تخريب الكعبة وتلويثها عمداً بالنجاسة، وأمثال ذلك مما تقدم فى بحث هتك القرآن، أما سائر مراتب الهتك فسوف نشير الى بعضها فى الفروع التالية :

١ـ الالحاد فى الحرم :

كل معصية، وكل مخالفة شرعية تقع فى مكة المعظمة فهى اهانة وهتك لبيت الله الحرام، والبلد الحرام، من حيث أن مخالفة حكم الله

فى بيت‌الله هى منتهى الاساءة واللامبالاة واللاتقدير، ولذا جاء فى بعض الروايات أن ثواب الحسنة فى الحرم مضاعف كما أن عذاب المعصية مضاعف أيضاً .

ويستفاد أيضاً من الروايات أن من ارتكب فى الحرم ذنباً قدعين الشارع فيه الحد أو التعزير فانه يلزم الزيادةعلى العقوبة المقررة، لأنه بعمله هذا قدهتك حرم‌الله، وبناء على ذلك فان كل ذنب‌يصدر فى حرم‌الله فهو ذنب كبير حتماً وقد ذكر بعض الفقهاء أن الدليل على أن‌أى ذنب فى حرم‌الله ذنب كبير هو الوعيد عليه فى القرآن المجيد بالعذاب(١) كمافى قوله تعالى «ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم» السورة ٢٢/الاية ٢٥

ويعلم من الروايات أن المراد بالالحاد ألالحاد فى تمام الحرم، ومعنى ألالحاد ارتكاب أى ذنب وأى عمل مخالف للشرع .

روى أبوالصباح الكنانى قال: سألت أباعبدالله(ع) عن قوله عزوجل «ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» فقال(ع) : كل ظلم يظلمه الرجل على نفسه بمكة من سرقة أو ظلم أحد أوشىء من‌الظلم، فأنى أراه الحاداً» الوسائل ـ كتاب الحج .

قال أبوالصباح : ولذلك كان يتقى الفقهاء أن يسكنوامكة .

وقد ذكر فى الوافى عدة روايات مماثلة .

يقول العلامة المجلسى فى شرح هذا الحديث أنه يعلم من هذا الحديث أن من يستطيع أن يعصم نفسه عن ارتكاب المعاصى لايكره له مجاورة مكة .

قيل للامام الصادق(ع) : ان سبعاً من سباع الطير على الكعبة

١ـ انظر آيات الاحكام للجزائرى ـ كتاب الحج .

ليس يمر به شيء من الحمام الاضربه فقال: أنصبوا له واقتلوه فأنه قد ألحد» الكافى ـ الحج ـ باب ٤

ولايبقى خفياً أن حدالحرم أربع فراسخ من الاطراف الاربعة فيبلغ المجموع ستة عشر فرسخاً .

٢ـ الحرم محل الأمن :

كل من ارتكب جريمة أو خيانة خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم ولاذبه فلا يحق لأحد التعرض له، وانما يلزم مقاطعته، والتشديد عليه فى التعامل الى أن يخرج من الحرم بأختياره، وحينئذ يجوز مجازاته. نعم، من أرتكب فى داخل الحرم مايوجب القصاص أوالحد أو التعزير فانه يجب الاقتصاص منه أو اجراء الحد الالهى عليه ولو فى داخل الحرم .

سئل الصادق(ع) عن رجل قتل رجلاً فى الحل ثم دخل الحرم، فقال: لايقتل ولايطعم ولايسقى ولايباع ولايؤدى حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد، قلت: فما تقول فى رجل قتل فى الحرم أو سرق؟ قال(ع): يقام عليه الحد فى الحرم صاغراً لأنه لم ير للحرم حرمة» الوسائل ـ كتاب الحج .

وروى سماعة بن مهران عن أبى عبدالله(ع) قال: سألته عن رجل لى عليه مال فغاب عنى زماناً، ثم رأيته يطوف حول الكعبة أفأتقاضاه مالى؟ قال: لا، لاتسلم عليه، ولاتروعه حتى يخرج من الحرم» الوسائل ـ كتاب الحج .

٣ـ قتل الحيوان وقلع النبات :

باستثناء الابل، والبقر، والغنم، والدجاج يحرم قتل أى حيوان فى الحرم. الا الافعى والحية والعقرب والفأر والبق والقمل وكل

حيوان مؤذ، فيجوز قتله للخلاص من شره .

كما يحرم أيضاً قلع الشجر والنبات الموجود فى الحرم .

دخول الحرم بدون احرام :

لايجوز الدخول الى مكة المعظمة، بل مطلق الحرم بدون احرام، فيجب على من أراددخول الحرم،ومكة المعظمة،فى سائرايام السنة، أن يحرم من الميقات ويدخل الحرم بلباس الاحرام، وبعد الطواف والسعى والتقصير يحل من احرامه .

ويستثنى من ذلك من يكثردخوله وخروجه من الحرم مثل الحطاب والمسافر، ويستثنى أيضاً من لم يفصل بين احرامه السابق ودخوله للحرم شهر واحد .

وقد اعتقد بعض الفقهاء أن استحلال البيت ـ الذى تقدم أنه من الكبائر ـ يرجع الى هذه المسألة، أى دخول مكة المعظمة محلاً ـ بدون احرام ـ

التخلى مستقبلاً أو مستدبراً للقبلة :

يحرم فى حال التخلى استقبال القبلة أو استدبارها، سواء كان فى صحراء أم عمران، والاحوط عدم وضع الطفل فى حال التخلى مستقبلاً أو مستدبراً للقبلة، نعم لوجلس باختياره كذلك فانه لايجب منعه، أمااذا فعل العاقل البالغ ذلك فان كان جاهلاً بالحكم وجب تعليمه، وان كان عالماً عامداً بفعله وجب منعه عن ذلك من باب النهى عن المنكر (على شرح تقدم فى باب النهى عن المنكر) .

ولاحرمة فيما لو انحرف عن القبلة باتجاه اليمين أو الشمال وان لم يكن انحرافاً كاملاً نحو الشرق أو الغرب .

ونحن من أجل الاختصار لم نذكر مدارك هذا الحكم كما هو طريقتنا فى المسائل السابقة .

(٣)

هتك المساجد

كل مكان بناه المسلمون بعنوان المسجد شيعة كانوا أم من سائر الفرق الاسلامية فانه يجب مراعاة حرمته، وتحرم اهانته وهتكه مثل تخريبه أو تلويث بنائه بالنجاسة. ويعتبر ذلك ذنباً كبيراً لدى كل متدين يعرف بديهياً أن المسجد منتسب الى الخالق ـ تعالى ـ «وان المساجد لله» وأن اهانته هى اهانة لله.

قال ابو بصير: سألت أباعبدالله (ع) عن العلة فى تعظيم المساجد فقال (ع): انما أمر بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله فى الارض»(١)

وروى أن الله تبارك وتعالى أنزل فى التوارة «ألا ان بيوتى فى الارض المساجد فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى، ألا ان على المزور كرامة الزائر، ألا بشر المشائين فى الظلمات الى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة» الوسائل ـ أحكام المساجد

وعلاوة على أن اعتبار هتك المسجد ذنب كبير أمر مرتكز عند كل متدين عد فى القرآن الكريم السعى فى خراب المساجد ـ وهو قسم من أقسام الهتك ـ من أعظم مراتب الظلم فقال «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها» السورة ٢ / ١٠٨

وفيما يلى نذكر عدة من أحكام المساجد بدون ذكر مداركها.

١ـ الوسائل ـ كتاب الصلاة ـ باب ٧٠

١ـ تنجيس المسجد حرام :

يحرم تنجيس المسجد، ويحرم أيضاً ادخال عين النجاسة فيه اذا كان مستلزماً لتنجيس المسجد، وكذا اذاكان موجباً لهتك المسجد وان لم يؤد الى نجاسته .

وكذلك الحال فى ادخال المتنجس فى المسجد فيحرم اذا كان موجباً لهتك المسجد وان لم يوجب نجاسته وكان يابساً، نعم، يجوز ادخاله اذا لم يؤد لاالى الهتك ولاالى التنجيس. والاحوط عدم ادخال عين النجس فى المسجد مطلقاً .

٢ـ تطهير المسجد واجب :

يجب على الفور تطهير المسجد وازالة النجاسة عنه، بنحو يقال فى العرف أنه لم يتسامح فى تطهيره المسجد، ومعنى الوجوب الفورى أنه ـ مثلاً ـ اذا لم يكن وقت الصلاة ضيقاً فان اللازم عليه أولاً تطهير المسجد .

ولافرق فى هذا الحكم بين أرض المسجد وجداره وسقفه وسطحه وخلف الجدار .

ويجب أيضاً تطهير فرش المسجد .

ويجب أن يعلم أن وجوب التطهير لايختص بمن كان سبباً فى تنجيس المسجد، بل هو واجب كفاية على جميع المسلمين، واذا توقف على بذل مال وجب بذله وتطهير المسجد أو فرشه، وان لم يتمكن الشخص لوحده على ذلك وجب أن يستعين بالغير على الترتيب المتقدم .

٣ـ يحرم مكث الجنب والحائض والنفساء :

يحرم على الجنب والحائض والنفساء الوقوف فى المسجد كما

يقول تعالى فى القرآن «ولا جنباً الا عابرى سبيل» ومعنى عابرى سبيل أن يدخل من باب ويخرج من أخرى دون أن يمكث فى المسجد فان ذلك جائز الافى مسجد النبى(ص) والمسجد الحرام فانه لايجوز العبور فيها للجنب والحائض والنفساء .

٤ـ مستحباب المسجد :

يستحب انارةالمسجد، وتنظيفه، وأن يقدم رجله اليمنى عند الدخول، ورجله اليسرى عند الخروج منه، وأن يتأكد من عدم نجاسة نعله لئلا ينجس المسجد، ويستحب أيضاً دخول المسجد على طهارة ـالوضوء أو الغسلـ وأن يلبس أفضل ثيابه، وأن يستعمل العطر الجيد، وأن يصلى عند دخوله ركعتى تحية المسجد .

٥ـ مكروهات المسجد :

يكره الورود فى المساجد من دون أداء صلاة التحية، ولامانع أن يصلى صلاة أخرى، ولاينبغى لهأن يبصق فى المسجد أو يمخط، ولاينبغى لهأن ينامفى المسجدأويرفع صوتهفى غير الأذان، وأمثاله، ولاينبغىله التعريف بالضائعاتأو طلبها، ولاينبغى لهقراءة الاشعار التى لاتشتمل على الموعظة .

ويكره فى المسجد الحديث بأحاديث الـدنيا، ويكره البيع و الشراء فيه .

وينبغى لمن أكل البصل أو الثوم أوكل طعام يولد رائحة كريهة فى الفم أن لايدخل المسجد .

وينبغى أن لايسمح للاطفال والمجانين دخول المسجد .

مراتب المساجد فى الفضل :

أنأشرفالمساجد وأفضلها هو المسجد الحرام، والصلاة فيه

تعدل ألف ألف صلاة فی غیره، وبعده مسجد النبی (ص)، والصلاة فیه تعدل عشرة آلاف صلاة فی غیره، وبعدهما مسجد الکوفة والمسجد الأقصی، والصلاة فیهما تعدل بألف صلاة. وبعد ذلك المسجد الجامع فی کل مدینة، والصلاة فیه مأئة صلاة. وبعده مسجد المحلة، والصلاة فیه تعدل خمس وعشرین صلاة فی غیره، وبعده مسجد السوق، و الصلاة فیه تعدل اثنی عشر صلاة فی غیرة .

(٤)

هتك المشاهد المشرفة

من الضروري والبديهي لدى كل مسلم وجوب رعاية حرمة قبر الرسول(ص) وقبور أئمة الهدى عليهم السلام، بحيث يعتبر هتكها واهانتها من الذنوب الكبيرة .

والروايات في ذلك كثيرة، نكتفي هنا برواية الشيخ في التهذيب:

قال رسول الله(ص) : يا أبالحسن ان الله قد جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم وتحتمل الاذى والمذلة فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم الى الله، و مودة منهم لرسوله، اولئك ياعلى المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي وهم زواري غداً في الجنة»

«ياعلى من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله بشفاعتي ولا يردون حوضي» الوسائل

ـأبواب المزار .

هتك قبر المعصوم كفر :

من ضروريات المذهب أن اهانة القبور المباركة للرسول(ص) والائمة عليهم السلام من كبائر الذنوب بل أكبر الكبائر، وهو فى حد الشرك والكفر، ومثال ذلك تخريبها وتنجيسها .

ويجب ـعلى الاحوطـ تطهيرها عند النجاسة حتى اذالم يكن بقاؤها موجباً لهتكها .

وقد ذكر مشهور الفقهاء أن مكث الجنب والحائض والنفساء فى المشاهد المشرفة حرام كما هو الحال فى المساجد وذلك لانه يوجب هتكها، وذكر بعضهم أن الدخول فيها بقصد العبور حرام أيضاً كما هو الحال فى المسجد الحرام .

الصلاة فى جوار قبر المعصوم :

اذا صلى فى المشاهد المشرفة فلا ينبغى له أن يضع قبر الرسول(ص) والائمة عليهم السلام خلفه ففى هذا العمل هتك، وصلاته باطلة، بل يجب أن يصلى خلف القبر بنحو يكون القبر فى قبلة المصلى، اما الصلاة على يمين القبر أو شماله فالاحوط أن لايكون محاذياً للقبر ولا متقدماً عليه بل يقف خلفه ولو قليلاً .

يقول الامام موسى بن جعفر(ع) :

«أما السجود على القبر فلا يجوز فى نافلة ولا فريضة ولازيارة، بل يضع خده الايمن على القبر، وأما الصلاة فأنها خلفه ويجعله الامام، ولايجوز أن يصلى بين يديه لأن الأمام لايتقدم، ويصلى عن يمينه وشماله» الوسائل ـ مكان المصلى ـ٢٦

وروى عن الامام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف «ولا يجوز أن يصلى بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره لأن الامام لا يتقدم عليه ولا يساوى» الوسائل ـ ابواب مكان المصلى ـ ٢٦

وقد حمل صاحب الوسائل هذا الحديث على الكراهة .

وقد ذكر بعض الفقهاء أن الميزان هو صدق عنوان الهتك، و هو مسلم فى الصلاة قدام القبر، ولا يصدق الهتك فى الصلاة الى يمين القبر أو شماله وان كان الاحتياط أفضل .

(٥)

هتك التربة الحسينية

من البديهى عند جميع الشيعة أنه يلزم احترام التراب الواقع فى أطراف القبر الحسينى الشريف الى مسافة ميل أو أربعة أميال أو فرسخ، ومايؤخذ منه بعنوان التبرك، أو بقصد الاستشفاء به، أو السجود عليه وغير ذلك من خواصه وآثاره . وكون هتكه واهانتهمن الذنوب الكبيرة أمر مرتكز عند جميع الشيعة بنحو يحصل اليقين بأن الأمر كذلك منذ زمن السجاد(ع) والى هذا الزمان .

وأيضاً، فان هتك التربة هو هتك لصاحب القبر، ومن البديهى أن هتك الامام(ع) من كبائر الذنوب .

وبناءاً على ذلك فان القاء التربة الحسينية بقصد الاهانة، أو ركلها بالقدم، أو تنجيسها وماماثل ذلك هو ذنب كبير .

ولو دخل بيت الخلاء ومعه التربة الحسينية فسقطت منه وجب عليه اخراجها وتطهيرها، ومالم يخرجهافان التخلى فىذلك الموضع حرام، وان لم يكن اخراجها ممكناً لزم اغلاق ذلك الموضع لكى لا يتخلى فيه ـكما تقدم فى حرمة هتك القرآن ـ

فضيلة التربة الحسينية :

الروايات الواردة فى فضيلة أرض كربلاء وشرفهـا، والآثار

العظيمة للتربة الحسينية كثيرة، وفيما يلى ننقل روايتين فى باب فضلها وشرفها وحكايتين فى باب عواقب اهانتها .

روى الشيخ الأجل ابن قولويه ـ وهو استاذ الشيخ المفيد ـ عن محمدبن مسلم قال :

«خرجت الى المدينة وأنا وجع فقيل له (ع) محمدبن مسلم وجع، فأرسل الى ابوجعفر ـ الامام الباقر (ع) ـ شراباً مع غلام مغطى بمنديل فناولنيه الغلام وقال لى اشربه فانه قد أمرنى أن لا أبرح حتى تشربه فتناولته فاذا رائحة المسك منه، واذا شراب طيب الطعم بارد، فلما شربته قال لى الغلام: يقول لك مولاك اذا شربته فتعال: ففكرت فيما قال لى وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلى، فلما استقر الشراب فى جوفى فكأنما نشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه فصوت بى: صح الجسم أدخل، فدخلت عليه وأنا باك، فسلمت عليه وقبلت يده ورأسه. فقال لى: وما يبكيك يامحمد؟ قلت: جعلت فداك أبكى على اغترابى وبعد الشقة وقلة القدرة على المقام عندك انظر اليك، فقال لى : أما قلة القدرة فكذلك جعل الله أوليائنا وأهل مودتنا وجعل البلاء اليهم سريعاً، وأما ماذكرت من الغربة فأن المؤمن فى هذه الدنيا غريب وفى هذا الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدار الى رحمة الله، وأما ماذكرت من بعد الشقة فلك بأبى عبدالله عليه السلام أسوة بأرض نائية عنا بالغرات، وأما ماذكرت من حبك قربنا والنظر الينا وانك لاتقدر على ذلك فالله يعلم مافى قلبك و جزاؤك عليه .

ثم قال لى: هل تأتى قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم، على خوف ووجل! فقال : ماكان فى هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف فى اتيانه آمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين

وانصرف بالمغفرة وسلمت عليه الملائكة، وزار (ورآه) النبى(ص) وما يصنع، ودعا لـه، انقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله .

ثم قال لى: كيف وجدت الشراب؟ فقلت أشهد أنكم أهـل بيت الرحمة وأنك وصى الاوصياء، ولقد أتانى الغلام بما بعثته وماأقدر على أن أستقل على قدمى، ولقدكنت آيساً من نفسى فناولنى الشراب فشربته فما وجدت مثل ريحه ولاأطيب من ذوقه ولاطعمه ولاأبرد منه فلما شربته قال لى الغلام أنه أمرنى أن أقول لك اذا شربته فأقبل الى وقد علمت شدة مابى.

فقلت لأذهبن اليه ولو ذهبت نفسى فأقبلت اليك فكأنى نشطت من عقال فالحمد الذى جعلكم رحمة لشيعتكم ورحمة على، فقال: يا محمد ان الشراب الـذى شربته فيه من طين قبر الحسين(ع) وهو أفضل ما استشفى به فلا تعدل به فأنا نسقيه صبياننا ونسائنافنرى فيه كل خير. فقلت : جعلت فداك انا لنأخذ منه ونستشفى به؟فقال: يأخذه الرجل فيخرجه من الحائر وقد أظهره فلايمر بأحد من الجن به عاهة ولادابة ولاشىء فيه آفة الاشمه فتذهب بركته فيصير بركته ما يمسح به شىء ولاشرب منه شىء الا أفاق من ساعته، وماهـو الا كحجر الاسود أتاه صاحب العاهات والكفر والجاهلية وكان لايتمسح به أحد الا أفاق وكان كأبيض ياقوتة فاسود حتى صار الى مارأيت.

فقلت : جعلت فداك وكيف أصنع به؟

فقال : تصنع به مع اظهارك اياه مايصنع غيرك، تستخف بـه فتطرحه فى خرجك وفى أشياء دنسة فيذهب مافيه مما تريده له .

فقلت : صدقت جعلت فداك، قال ليس يأخذه أحد الاوهو جاهل بأخذه، ولايكاد يسلم بالناس فقلت: جعلت فداك وكيف لى أن آخذه

كما تأخذه؟ فقال لى: أعطيك منه شيئاً؟

فقلت : نعم .

قال : اذا أخذته فكيف تصنع به؟

فقلت : أذهب به معى .

فقال : فى أى شىء تجعله؟ فقلت : فى ثيابى!

قال : فقد رجعت الى ماكنت تصنع، اشرب عندنامنه حاجتك ولاتحمله فانه لايسلم لك، فسقانى منه مرتين فما أعلم أنى وجدت شيئاً مما كنت أجد حين انصرفت»

وضع التربة الحسينة مع الجنازة :

روى العلامة فى (منتهى المطلب) قال :

ان امرأة كانت تزنى وتوضع أولا دها وتحرقهم بالنار خوفاً من أهلها، ولم يعلم بهغيرأمها، فلما ماتت دفنت فانكشف التراب عنها ولم تقبلها الارض ، فنقلت من ذلك المكان الى غيره فجرى لهاذلك، فجاء أهلها الى الصادق(ع) وحكوا له القصة ، فقال لأمها: ما كانت تصنع هذه فى حياتها من المعاصى؟ فأخبرته بباطن أمرها، فقال الصادق(ع) : ان الارض لاتقبل هذه، لأنها كانت تعذب خلق الله بعذاب الله، اجعلوا فى قبرها شيئاً من تربة الحسين(ع) ففعل ذلك بها فسترها الله تعالى» الوسائل ـ ابواب التكفين

تجهيز الميت بالتربة الحسينية :

يستحب وضع مقدار من التربة الحسينية فى القبر وتوضع مقابل وجه الميت، ويستحب أيضاًعند تحنيط الميت وضعمقدار من التربة الحسينية داخل الكافور، وأما جبينه ويداه فأنها تمسح

بالتربة فقط، ويمسح بالكافور فقط ركبتاه وابهاما قدميه، حيث أن مسحها بالتربة الحسينية ينافى احترام التربة .

شفاء من كل داء :

روى الشيخ الطوسى عليه الرحمة فى (الأمالى) بأسناده عن مشايخه عن محمد الازدى قال: حدثنا أبى قال :

صليت فى جامع المدينة والى جانبى رجلان على أحدهما ثياب السفر، فقال أحدهما لصاحبه: يافلان أما علمت أن طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، وذلك أنه كان بى وجع الجوف فتعالجت بكل دواء فلم أجدفيه عافية وخفت على نفسى وأيست منها، وكانت عندنا امرأة من أهل الوفة عجوز كبيرة، فدخلت على وأنا فى أشد مابى من العلة، فقالت لى ياسالم ماأرى علتك كل يوم الازائدة؟ فقلت لها نعم. قالت: فهل لك أن أعالجك فتبرأ بأذن الله عزوجل؟ فقلت لها: ماأنا الى شىء أحوج منى الى هذا، فسقتنى ماءاً فى قدح فسكتت عنى العلة، وبرأت حتى كأن لم تكن علة قط، فلما كان بعد أشهر دخلت على العجوز فقلت لها: بالله عليك ياسلمة ـ وكان اسمها سلمة ـ بماذا داويتنى؟

فقالت : بواحدة مما فى هذه السبحة ـ من سبحة كانت فى يدها ـ فقلت : وما هذه السبحة؟ فقالت: أنها من طين قبر الحسين(ع) .

فقلت لها: يارافضية داويتنى بطين قبر الحسين فخرجت من عندى مغضبة ورجعت والله علتى كأشد ماكانت وأنا أقاسى منها الجهد والبلاء، وقد والله خشيت على نفسى، ثم أذن المؤذن فقاما للصلاة وغاباعنى»(١)

١ـ أمالى الطوسى/ح ١/ ٣٢٧

الاهانة للتربة الحسينية مهلك :

ونقل الشيخ عليه الرحمة فى الكتاب نفسه

عن موسى بن عبدالعزيز قال :

لقينى يوحنا بن سراقيون النصرانى المتطبب فى شارع أبى أحمد فاستوقفنى وقال لى : بحق نبيك ودينك من هذا الذى يزور قبره قوم منكم بناحية قصر أبى هبيرة ـ منطقة كربلاء ـ من هو من أصحاب نبيكم ؟

قلت : ليس هو من اصحابه، هو ابن بنته، فما دعاك الى المسألة عنه؟ فقال : له عندى حديث طريف.

فقلت : حدثنى به. فقال: وجه الى سابور الكبير الخادم الرشيدى ـ خادم هارون الرشيد ـ فصرت اليه فقال لى : تعال معى، فمضى وأنا معه حتى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمى فوجدناه زائل العقل، متكأ على وسادة، واذا بين يديه طست فيه حشوجوفه، وكان الرشيد استحضره من الكوفة، فأقبل سابور على خادم كان من خاصة موسى فقال له : ويحك ماخبره؟ فقال له: أخبرك أنه كان من ساعة جالساً وحوله ندمائه وهو من أصح الناس جسماً، وأطيبهم نفساً ، اذ جرى ذكر الحسين بن على عليه السلام، قال يوحنا : هذا الذى سألتك عنه. فقال موسى: ان الرافضة لتغلو فيه حتى انهم فيما عرفت يجعلون تربته دواءاً يتداوون به، فقال له رجل من بنى هاشم كان حاضراً : قد كانت بى علة غليظة فتعالجت بكل علاج فما نفعنى حتى وصف لى كاتبى أن آخذ من هذه التربة، فأخذتها فنفعنى الله بها وزال عنى ما كنت أجده .

قال : فبقى عندك منها شىء؟ قال : نعم . فوجه فجاء منها بقطعة فناولها موسى بن عيسى فأخذها موسى فاستدخلها فى دبره استهزاءاً

بمن يداوى بها، واحتقاراً وتصغراً لهذا الرجل الذى هذه تربته ـ يعنى الحسين(ع)ـ فماهو الا أن استدخلها دبره حتى صاح : النار النار، الطست الطست، فجئناه بالطست فأخرج فيها ماترى، فانصرف الندماء وصار المجلس مأتماً، فأقبل على سابور فقال: أنظر هل لك فيه حيلة؟ فدعوت بشمعة فنظرت فاذا كبده وطحاله ورئته وفؤاده خرج منه فى الطست، فنظرت الى أمر عظيم فقلت : ماللأحد فى هذا صنع الا أن يكون لعيسى الذى كان يحيى الموتى. فقال لى سابور : صدقت ولكن كن ههنا فى الدار الى أن يتبين مايكون من أمره فبت عندهم وهو بتلك الحال مارفع رأسه فمات وقت السحر .

قال محمد بن موسى : قال لى موسى بن سريع : كان يوحنا يزور قبر الحسين(ع) وهو على دينه ، ثم أسلم بعد هذا وحسن أسلامه» الامالى ـ ح ١ ـ ٣٢٨

وقد نقل العلامة المجلسى هذه الرواية فى بحار الانوار ـ المجلد العاشر .

الرؤيا الصادقة :

نقل الشيخ النورى فى دار السلام قال :

دخل بعض اخوانى على والدتى رحمها الله فرأت فى جيبه الذى فى أسفل قبائه بالفارسية تربة مولانا أبى عبدالله عليه السلام فزجرته وقالت هذا من سوء الادب ولعلها تقع تحت فخذك فتنكسر فقال نعم انكسرت منها الى الآن اثنتان وعهد أن لا يضعها بعد ذلك فيه ولما مضى بعض الايام رأى والدى العلامة رفع الله مقامه فى المنام ـ ولم يكن له اطلاع بذلك ـ أن مولانا أباعبدالله عليه السلام دخل عليه زائراً وقعد فى بيت كتبه الذى كان يقعد فيه غالباً فلاطفه كثيراً

وقال أدع بنيك يأتوا الى لأكرمهم فدعاهم وكانوا خمسة معى فوقفوا قدامه(ع) عند الباب وكان بين يديه أشياء من الثوب وغيره فكان يدعو واحداً بعدواحد ويعطيه شيئاً منه فلما وصلت النوبة الى الاخ المزبور سلمه الله نظر اليه شبه المغضب والتفت الى الوالد قدس سره وقال: ابنك هذا قد كسر تربتين من تراب قبرى تحت فخذه ثم طرح اليه شيئاً ولم يدعه اليه وببالى أن ما أعطاه كان بيت المشط الذى يعمل من الثوب الذى يقال له بالفارسية (ترمه) فانتبه وقص ما رآه على الوالدة رحمها الله فأخبرته بما وقع فتعجب من صدقه»

وحيث كان ختام مباحث هـذا الكتاب بالأسم المقدس لسيد الشهداء(ع) ـ وهو رحمة الله الواسعة ـ أرجو الله ببركة سيد الشهداء عليه السلام أن يوفقنا للتوبة مما تقدم من ذنوبنا ويعصمنا منها فيما يأتى .

اللهم اغفرلنا ماسلف من ذنوبنا، واعصمنا فى مابقى من عمرنا بحق الحسين وأخيه وجـده وأبيه وأمه وبنيه صلوات الله عليهـم أجمعين ولعنة الله على اعدائهم الى يوم الدين .

سؤال وجواب

بعد الطبعة الاولى لهذا الكتاب سأل البعض :

هل الذنوب الاخرى التى لم يرد ذكرها فى هذا الكتاب هى ذنوب صغيرة، أم يحتمل كونها من الكبائر أيضاً؟

وسأل بعض آخر :

هل يوجد ذنوب كبيرة آخرى فى الاسلام غير ماذكر فى هـذا الكتاب أم لا؟

وربما يرغب آخرون فى معرفة هذين الأمرين، ومن هنا آثرنا أن نذكر جواب هذين السؤالين مفصلاً فى الطبعة الثالثة لهذا الكتاب.

توجد ذنوب أخرى :

يجب أن يعلم أن فقهاء الاسلام رضوان الله عليهم ذكروا مفصلاً جميع الواجبات والمحرمات ـ مضافاً الى المستحباب والمكروهات ـ فى كتاب العبادات وأبواب المعاملات والايقاعات وحتى أبواب الحدود والديات .

فقد ذكر الشيخ الحر العاملى ـ عليه الرحمة ـ فى كتاب بداية النهاية جميع الواجبات والمحرمات من الطهارة والى الديات، وقد قيل أن مجموع الواجبات التى جمعت فى هذا الكتاب بلغت ألفاً و خمسمائة وخمس وثلاثون، والمحرمات ألفاً واربعمائة وثمان و أربعون .

ومن هنا يعلم أن نسبة ماذكر فى كتابنا من الذنوب الى ماذكر فى كتاب بداية النهاية أقل من العشر .

يحتمل كون الذنوب الاخرى كبائر :

أما حول انحصار الكبائر بما ذكرناه فى هذا الكتاب فقد قلنا فى أول الكتاب أن مقصودنا هو شرح الذنوب المتفق على أنها من الكبائر، دون أن تكون الكبائر منحصرة بها، وبناءاً على ذلك فان باقى الذنوب التى لم تذكر فى هذا الكتاب ستبقى فى حالة الابهام والتردد، فيحتمل أنها من الكبائر ويحتمل أنها صغائر وبذلك يتحقق غرض الشارع المقدس فى أبهام الكبائر، وهو ترك كل ذنب يحتمل أنه كبيرة. كما أن بعض الكبائر القطعية جميع مراتبها ودرجاتها كبيرة قطعاً مثل

الشرك، وبعض الكبائر يختلف الحال فيها بين مرتبة واخرى. فبعض مراتبها كبيرة قطعاً وبعضها الآخر مشكوك مردد، وذلك مثل الكذب على تفصيل تقدم سابقاً.

وحيث أن معرفة الكبائر واجبة على كل مسلم لكى يتجنبها، و كذلك معرفة سائر المحرمات التى يمكن أن يبتلى بها، وبناءاً على ذلك فاننا سنذكر فيمايلى فهرستاً مفصلاً للكبائر القطعية، وبعد ذلك نذكر فهرستاً للمحرمات التى هى مورد الابتلاء العام.

فهرست الكبائر القطعية

١ـ الشرك والرياء ٢ـ اليأس من رحمة الله ٣ـ القنوط وسوء الظن بالله ٤ـ الأمن من مكر الله ٥ـ قتل النفس ٦ـ عقوق الوالدين ٧ـ قطع الرحم ٨ـ أكل مال اليتيم ٩ـ أكل الربا ١٠ـ الزنا ١١ـ اللواط ١٢ـ القذف ١٣ـ شرب المسكر ١٤ـ القمار ١٥ـ اللهو بآلات الموسيقى ١٦ـ الغناء ١٧ـ الكذب ١٨ـ اليمين الكاذبه ١٩ـ شهادة الزور ٢٠ـ كتمان الشهادة ٢١ـ نقض العهد ٢٢ـ خيانة الامانة ٢٣ـ السرقة ٢٤ـ التطفيف ٢٥ـ أكل الحرام ٢٦ـ حبس الحقوق ٢٧ـ الفرار من الزحف ٢٨ـ التعرب بعد الهجرة ٢٩ـ معونة الظالمين ٣٠ـ عدم نصرة المظلوم ٣١ـ السحر ٣٢ـ الاسراف ٣٣ـ التكبر ٣٤ـ محاربة المسلمين ٣٥ـ أكل الدم والميتة ولحم الخنزير ٣٦ـ ترك الصلاة عمداً ٣٧ـ عدم دفع الزكاة ٣٨ـ الاستخفاف بالحج ٣٩ـ ترك أحد الواجبات ٤٠ـ الاصرار على الذنب والاستهانة به ٤١ـ الحيف فى الوصية ٤٢ـ الغيبة ٤٣ـ النميمة ٤٤ـ الاستهزاء بالمؤمن ٤٥ـ هجاء المؤمن بشعر أو نثر ٤٦ـ ايذاء المؤمن ٤٧ـ السب

والطعن ٤٨ـ اذلال المؤمن وتوهينه ٤٩ـ فضح المؤمن وتعنيفه ٥٠ـ ايذاء الجار ٥١ـ المكر والخديعة ٥٢ـ ذو الوجهين ٥٣ـ الاحتكار ٥٤ـ الحسد ٥٥ـ معاداة المؤمن ٥٦ـ المساحقة ٥٧ـ القيادة و الدياثه ٥٨ـ الاستمناء ٥٩ـ البدعة ٦٠ـ الحكم بغير حق ٦١ـ القتال في الاشهر الحرم ٦٢ـ الصد عن سبيل الله ٦٣ـ كفران النعمة ٦٤ الفتنة ٦٥ـ بيع الاسلحة للكافرين ٦٦ـ البهتان وسوء الظن ٦٧ـ هتك القرآن ٦٨ـ هتك الكعبة ٦٩ـ هتك المساجد ٧٠ـ هتك المشاهد المشرفة والتربة الحسينية .

فهرست الكبائر الاحتمالية

١ـ أكل وشرب النجس ٢ـ كشف العورة أمام ناظر مميز ٣ـ النظر لعورة الغير ٤ـ استقبال أو استدبار القبلة عند التخلي ٥ـ المكث في المساجد في حال الحيض والنفاس والجنابة ٦ـ لباس الحرير والذهب للرجل ٧ـ تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ٨ـ النظر الى الغير بشهوة وريبة رجلاً كان أو امرأة ٩ـ النظر في كتاب الغير ورسائله من دون رضاه ١٠ـ النظر في منازل الآخرين دون رضاهم ١١ـ اقتناء وحفظ كتب ومجلات الضلال ١٢ـ صنع التماثيل ١٣ـ مس بدن الاجنبي ١٤ـ مدح الظالم ـ الا لتقية ـ وبشكل عام مدح من لا يستحق المدح، وهكذا ذم من لا يستحق الذم ١٥ـ الوقوف في مجلس المعصية ١٦ـ استعمال أواني الذهب والفضة ١٧ـ عدم الحضور في صلاة الجماعة من باب الاعراض والادبار ـ بل صرح بعض الفقهاء بأن ذلك من الكبائر بدليل عدم قبول شهادة مثل هذا الشخص ـ ١٨ـ يجب ترك المحرمات المذكورة في أبواب الطهارة

والصلاة والصوم من الرسائل العملية، كما أن التسامح فـى أداء واجبات الوضوء والغسل والتيمم وواجبات الصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة حرام أيضاً، كذلك المحرمات المذكورة فى أبواب المعاملات مـن البيع والشراء والاجارة والهبة والغصب وغيرها، فيجب معرفتها وتركها، فلو أخذ شيئاً من صاحبه حياءاً واضطرمالكه للأذن بأخذه فان التصرف فيه محرم لأنه فى حكم الغصب .

وايضاً، يجب أن يعلم أن الغصب من الذنوب المستمرة، يعنى أنه فى كل لحظة استطاع فيها أن يرد المغصوب فلم يرده ثبت عليه معصية جديدة .

وكذلك المحرمات فى أبواب النكاح والطلاق فيجب التعرف عليهاوتركها، وكذلك المحرمات فى ابواب الاطعمة والأشربة فالتعرف عليها واجب لغرض تركها .

وحيث كانت هذه المحرمات مذكورة مفصلاً فى الرسائل العملية أغنانا ذلك عن ذكرها فى هذا الكتاب .

خاتمة

القسم الاول : التوبة

القسم الثانى : حكايات موقظة

كلمة الغ

كلمتا: ل ع ا ، جمعا

كلمتاهما ثلاثة: ل ن ا ، جمعا

القسم الاول ـ التوبة

«يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً»

لايخفى على ذوى البصائر أن التوبة هى شعبة من الفضل الالهى العظيم، وباب من أبواب رحمة الرب الرحيم التى فتحها لعبادة. ولو كانت الباب مغلقة لم يكن لأحد فلاح لأن طبيعة البشر مجبولة على الخطأ والمعصية والاشتباه بنحو لاينجو واحد من البشر فى أعمال جوارحه وجوانحه ـ الاعضاء والقلب ـ من الابتلاء بأنواع الآثام الا من عصم الله .

والخلاصة أنه لايوجد بشر يستطيع أن يعصم نفسه من أنواع الخطاء والذنب، ويحافظ على طهارة فطرته الاولى حتى الكثير من الانبياء (طبعاً فان أخطاء الانبياء تختلف عن أخطاء الآخرين كما سنذكر ذلك ـ انشاءا...ـ) وبناءاً على ذلك فقد جعل الله ـ الحكيم الرحيم ـ التوبة دواءاً للألام المعنوية، وعلاجاً للأمراض القلبية، و مطهراً لانواع الاوساخ، ليطهر الانسان بعد الابتلاء بالذنب ببركة التوبة ويكون من أهل النجاة .

فالسعيد من عرف أهمية هذه الباب واستفاد منها وشكر هذه النعمة الالهية، والشقى من كانت باب الرحمة هذه حجة عليه، أى أنه يقف يوم القيامة عند الحساب والسؤال عن أعماله فكلما أرادأن يعتذر قال: الهى كنت جاهلاً لاعلم لى، كنت أسيرالشهوةوالغضب، غلبنى هواى، وعجزت عن مقاومة وساوس الشيطان، فيقال له فى رد

كل أعذاره: ألم أفتح لك باب التوبة؟ هل كلفتك بمالاتطيق؟ هل أخذتك بشدة؟ هل وضعت للتوبة شرائطاً صعبة وخارج قدرتك؟

***

وفيما يلى نشير الى عدة مطالب هامة ترجع الى التوبة .

حقيقة التوبة

قال الرسول الاكرم(ص) : «الندامة توبة»

وقال الامام الباقر(ع) : «كفى بالندم توبة»

ويقول الامام الصادق(ع) : «مامن عبد أذنب ذنباً فندم عليه الاغفر الله له قبل أن يستغفر» ـ الكافي ـ

وبناء على ذلك فان حقيقة التوبة هى الندم على الذنب ـ لما فيه من القبح عند الله ـ والندم على كل عمل يخالف رضاه ـ تعالى ـ حاله حال عبد عمل عملاً لا يرضى عنه مولاه وكان غافلاً عن أن مولاه يراه، فانه سوف يندم بشدة على عمله .

ومثل تاجر يعقد معاملة يخسر بها كل رأس ماله ويصبح مديناً فكم سوف يندم على ذلك!؟ خصوصاً اذا كان صديقه العارف قد نهاه عن تلك المعاملة قبل ذلك .

ومثل من منعه الطبيب من تناول طعام وأخبره بخطورته، فاذا أكله ومرض بعدئذ فكم يندم بعدئذ؟

الندم يوجب ترك الذنب :

وبالطبع، فكلما كان الايمان بالله، ويوم الجزاء، والتصديق باخبار الرسول(ص) والائمة عليهم السلام أكثر كلما كان الندم على الذنب أكثر، وكان الاحتراق الباطني ـ وتأنيب الضمير ـ أكثر، كما أن لازم الحسرة والندم على صدور الذنب العزم على تركه فيما بعد

بحيث لو لم يكن مصمماً على تركه يعلم حينئذ بأنه غير نادم على ذلك الذنب .

يقول أمير المؤمنين(ع) : «ان الندم على الشر يدعو الى تركه» ـ الوسائل ـ

كما أن من لوازم الحسرة والندامة على الذنب السعى فى تلافى ماصدر منه، فان كان من حقوق الله مثل مالو ترك الصلاة والصوم والزكاة والحج فيجب عليه قضاؤها، وان كان من حقوق الناس فان كان حقاً مالياً أعاده لصاحبه ان كان حياً وللورثة ان كان ميتاً وتصدق به عن صاحبه ان كان لايعرفه، وان كان الحق عرضاً وجب عليه تحصيل رضى الطرف الآخر، وان كان الحق قصاصاً سلم نفسه لصاحب الحق فأما أن يقتص منه أو يأخذ الدية أو يعفو عنه، وان كان الحق حداً كالقذف وجب عليه أن يسلم نفسه لصاحب الحق ليقيم عليه الحد أو يعفو عنه .

أما الذنوب التى فرض الله فيها الحد مثل الزنا، فانه لايجب عليه أن يقر على نفسه أمام الحاكم الشرعى ليجرى عليه الحد، انما يكفى منه الندم على الذنب، والعزم على تركه فى المستقبل، و الاستغفار منه، حاله فى ذلك حال الكبائر التى لم يثبت فيها حد شرعى كاستماع الغناء والموسيقى. وظاهر الايات والروايات أنه يجب بعد الندم الاستغفار، وهو أن يطلب العفو والمغفرة من الله(١) .

١ـ قال تعالى «واستغفروا الله»

وقال(ص) «دواء الذنوب الاستغفار»

وعن على(ع) «العجب ممن يقنط ومعه الممحاة قيل وما الممحاة؟ فقال: الاستغفار» ـ الوسائل ـ

التوبة الكاملة :

روى أن قائلاً عند أمير المؤمنين قال: استغفر الله فقال له (ع): ثكلتك أمك أتدرى ما الاستغفار؟ ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى. الثانى: العزم على ترك العود اليه أبداً. الثالث: أن تؤدى الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة. الرابع: أن تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدى حقها. الخامس: أن تعمد الى اللحم الذى تنبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد باللحم و ينشأ بينهما لحم جديد. السادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية» .

وجوب التوبة وفضلها :

تجب التوبة من كل ذنب كبير أو صغير باتفاق جميع العلماء وبحكم العقل، كما قال المحقق الطوسى فى (تجريد الكلام) والعلامة الحلى فى شرحه «التوبة واجبة لدفعها الضرر الذى هو العقاب أو الخوف ودفع الضرر واجب» .

قال تعالى فى سورة النور «وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون» الاية ـ ٣١ .

وقال تعالى فى سورة التحريم «يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار...» الاية ـ ١٠

ماهى التوبة النصوح؟

ذكر المجلسى فى شرح الكافى فى معنى التوبة النصوح عدة وجوه

ذكرها المفسرون :

«منها: أن المراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى أن يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة فى صاحبها، أو تنصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثم لايعود اليها أبداً .

ومنها : أن النصوح ماكانت خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم عسل نصوح اذا كان خالصاً من الشمع، بأن يندم على الذنوب لقبحها أو كونها خلاف رضاالله سبحانه لالخوف النار مثلاً ...

ومنها : أن النصوح من النصاحة وهى الخياطة لأنها تنصح من الدين ما مزقته الذنوب أو يجمع بين التائب وبين أولياء الله وأحبائه كما تجمع الخياطه بين قطع الثوب .

ومنها : أن النصوح وصف للتائب واسناده الى التوبة من قبيل الاسناد المجازى، أى توبة ينصحون بها أنفسهم بأن يأتوابها على أكمل ما ينبغى أن تكون عليه حتى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلية، وذلك بأذابة النفس بالحسرات، ومحو ظلمة السيئات بنور الحسنات» .

الى أن قال «وفى كلام بعض الاكابر أنه لايكفى فى جلاء المرآة قطع الأنفاس والابخرة المسودة لوجهها، بل لابد من تصقيلها وازالة ماحصل فى جرمها من السواد، كذلك لايكفى فى جلاء القلب من ظلمات المعاصى وكدوراتها مجرد تركها وعدم العود اليها، بل يجب محو آثار تلك الظلمات بأنوار الطاعات فأنه كما يرتفع الى القلب من كل معصية ظلمة وكدورة كذلك يرتفع اليه من كل طاعة نور وضياء، فالأولى محو ظلمة كل معصية بنور طاعة تضادها بأن ينظر التائب الى سيئاته مفصلة، ويطلب لكل سيئة منها حسنة تقابلها، فيأتى بتلك الحسنة على قدر ماأتى بتلك السيئة .

فيكفر استماع الملاهى مثلاً باستماع القرآن والحديث والمسائل الدينية. ويكفر مس خط المصحف محدثاً بأكرامه وكثرة تقبيله و تلاوته، ويكفر المكث فى المسجد جنباً بالاعتكاف فيه وكثرة التعبد فى زواياه وأمثال ذلك .

وأما فى حقوق الناس فيخرج من مظالمهم أولاً بردها عليهم، والاستحلال منهم، ثم يقابل ايذائه لهـم بالاحسان اليهم، وغصب أموالهم بالتصدق بماله الحلال، وغيبتهم بالثناء على أصل الدين و أشاعة أوصافهم الحميدة، وعلى هذا القياس يمحوكل سيئة من حقوق الله أو حقوق الناس بحسنة تقابلها من جنسها، كما يعالج الطبيب الامراض بأضدادها» ـ انتهى ـ

فضيلة التوبة

١ـ التائب محبوب عندالله، قال تعالى فى سورة البقرة «ان‌الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» الاية ـ ٢٢٢

ويقول الامام الصادق(ع) «ان‌الله يفرح بتوبة عبده المؤمن‌اذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته اذا وجدها» ـالكافى ـ

٢ـ تبديل المعصية الى حسنة بواسطة التوبة، وليس فقط ازالة ظلمة المعصية بل احلال نور الطاعة محلها، كما قال تعالى فى سورة الفرقان «والذين لايدعون مع‌الله الهاً آخر ولايقتلون النفس التى حرم‌الله الابالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، الامن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان‌الله غفوراً رحيماً» الاية ـ ٧٠

٣ـ مورد ثناء الملائكة ودعائها، كما قال تعالى فى سورة المؤمن «الذين يحملون العرش ومن حوله ويسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك أنت العزيزالحكيم، وقهم‌السيئات ومن‌تق السيئات يومئذفقد رحمته وذلك الفوز العظيم» ٧ ـ ٩

٤ـ التائبون أهل الجنة. قال تعالى فى سورة آل‌عمران «الذين اذا

فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الاالله ولم يصروا على مافعلواوهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة منربهم وجنات تجرى من تحتها الانهارخالدينفيها ونعم أجر العاملين» ١٣٥ ـ ١٣٦

٥ـ التوبة سبب فى اطالة العمر، وسعة العيش قال تعالى فى سورة هود «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله» ـ ٣ـ

روى عن الامام الصادق(ع) أنه قال «من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال» سفينة البحار / حـ ١

والخلاصة كما أن الذنب يوجب قصر العمر فان التوبة توجب اطالة العمر .

قال تعالى فى سورة نوح «فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعللكمجنات ويجعل لكم انهاراً» ١٠ ـ ١٢

٦ـ التوبة سبب استجابة الدعاء كما يعلم ذلكمن الحكاية الاولىالتى سنذكرها ـانشاءا...ـ

٧ـ التوبة مقبولة عندالله. قال تعالى فى سورة الشورى «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون» ـ٢٥ـ

عن الامامالصادق(ع) قال: قالرسولالله(ص): بينما موسى(ع) جالساً اذ أقبل ابليس وعليه برنس ذو آلوان، فلما دنى من موسى(ع) خلع البرنس وقام الى موسى فسلم عليه فقال له موسى مـن أنت؟ فقال: أنا ابليس، قال: أنت فلا قربالله دارك. قال: انى انما جئت لأسلم عليك لمكانكمنالله، قال:فقاللهموسى(ع): فماهذا البرنس؟ قال: به أختطف قلوب بنى آدم، فقال موسى: فأخبرنى بالذنب الذى

اذا أذنبه ابن‌آدم استحوذت عليه؟ قال: اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر فى عينيه ذنبه»(١)

٨ـ يمسح الذنب مهما كان، وذلك قوله تعالى فى سورة الزمر:

«قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة‌الله ان‌الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم، وانيبوا الى ربكم وأسلموا له‌من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون» ٥٣ ـ ٥٤

روى أن الامام الرضا(ع) سمع بعض أصحابه يقول: لعن‌الله من حارب علياً(ع). فقال‌له: قل‌الامن تاب وأصلح، ثم‌قال: ذنب من‌تخلف عنه‌ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم ثاب» الوسائل ـ الجهاد ـ ٤٧

يعلم من هذا الحديث أن أعظم الذنوب (أعنى محاربة وصى الرسول(ص) قابل للعفوعنه بالتوبة .

٩ـ لاتبطل التوبة بكسرها،فاذا نكث الشخص التائب عهده مع‌الله ـ تعالى ـ وأذنب ثانية فان توبته السابقة لاتبطل، بل الواجب عليه أن يتوب من ذنبه الجديد .

والخلاصة أنه اذا نقض الانسان توبته وغلبه الهوى والشيطان، فان اللازم عليه أن يتوب مرة أخرى وسوف يعفى عنه .

روى عن الامام الباقر(ع) أنه قال :

يا محمدبن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أماوالله‌انها ليست الالأهل الايمان .

قلت : فانه فعل ذلك مراراً، يذنب ثم يتوب ويستغفر ـ الله ـ؟ فقال: كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عادالله عليه بالمغفرة

١ـ اصول‌الكافى ـ باب‌العجب .

وان الله غفور رحيم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات. فأياك أن تقنط من رحمة الله»(١)

وفى رواية اخرى عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبدالله(ع) «يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً» قال: هو الذنب الذى لايعود فيه أبداً، قلت: وأينالم يعد؟ فقال: ياأبامحمد ان الله يحب من عباده المفتن التواب»(٢)

١٠ـ باب التوبة مفتوح حتى آخر لحظة :

فى الرواية عن الامام الباقر(ع) أنه قال: ان آدم(ع) قال: يارب سلطت على الشيطان وأجريته منى مجرى الدم فاجعل لى شيئاً، فقال: ياآدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فان عملها كتبت عليه، سيئة، ومن هم منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة فان هو عملها كتبت له عشراً. قال: يارب زدنى، قال: جعلت لك أن من عمل منهم سيئة ثم استغفر له غفرت له، قال: يارب زدنى، قال: جعلت لهم التوبة ـ أو قال بسطت لهم التوبة ـ حتى تبلغ النفس هذه، قال: يارب حسبى»(١)

وفى رواية أخرى قال رسول الله(ص) :

«من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: ان السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته. ثم قال ان الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال: ان الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال: ان يوماً لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته» اصول الكافى ـ وقت التوبة .

قال العلامة المجلسى: يمكن أن يكون هذا التدريج لبيان اختلاف

١، ٢/ اصول الكافى ـ باب التوبة .

مراتب التوبة فى القبول والكمال، فأن التوبة الكاملة المشتملة على تدارك مافات وتطهير النفس عن كدورات السيئات وتحليتها بأنوار التضرعات والحسنات لايتأتى غالباً فى أقل من سنة فان لم يتيسر ذلك فلا أقل من شهر لتحصيل بعض تلك الامور وهكذا» وأما المراد بالمعاينة فى قوله «قبل أن يعاين» فقدقال الشيخ البهائى رحمه‌الله «أى يرى ملك الموت، كما روى عن ابن‌عباس، ويمكن أن يراد بالمعاينة علمه بحلول الموت وقطعه الطمع من الحياة وتيقنه ذلك كأنه يعاينه، وأن يراد معاينة رسول‌الله(ص) وأمير المؤمنين(ع) كما روى فى الاخبار» انتهى

وبالجملة فالتوبه عند اليقين بالموت باطلة وغير مفيدة بأجماع العلماء وصريح القرآن المجيد، قال تعالى «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً» سورة النساء ـ ١٨

وقال تعالى «انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان عليماً حكيماً» ـ ١٧ـ

التوبة واجب فورى

قال الشيخ البهائى فى (شرح الاربعين) :

«لاريب فى وجوب التوبة على الفور فأن الذنوب بمنزلة السموم المضرة بالبدن وكما يجب على شارب السم المبادرة الى الاستفراغ تلافياً لبدنه المشرف على الهلاك كذلك يجب على صاحب الذنوب المبادرة الى تركها، والتوبة منهاتلافياً لذنبه المشرف على التهاقب والاضحلال ومن أهمل المبادرة الى التوبة وسوفها من وقت الى وقت فهو بين خطرين عظيمين ان سلم من واحد فلعله لايسلم من الآخر :

أحدهما: أن يعاجله الأجل فلا ينتبه من غفلته الاوقد حضر الموت وفات وقت التدارك وانسدت ابواب التلافى وجاء الوقت الذى اشار اليه سبحانه بقولـه «وحيل بينهم وبين مايشتهون» وصار يطلب المهلة والتأخير يوماً أو ساعة فيقال له لامهلة كما قال سبحانه «من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب» قال بعض المفسرين فى تفسير هـذه الآية أن المحتضر يقول عند كشف الغطاء ياملك الموت أخرنى يوماً أعتذر فيه الى ربى وأتوب اليه وأتزود صالحاً فيقول فنيت الايام. فيقول أخرنى ساعة فيقول فنيت الساعات. فيغلق عنه باب التوبة ويغرغر بروحه الى النار و يتجرع غصة اليأس وحسرة الندامة على تضييع العمر وربما اضطرب أصل ايمانه فى صدمات تلك الاهوال نعوذ بالله من ذلك .

وثانيهما : أن تتراكم ظلمات المعاصى على قلبه الى أن يصير

ريناً وطبعاً فلا تقبل المحو فأن كل معصية يفعلها الانسان يحصل منها ظلمة فى قلبه كما يحصل من أنفاس الانسان ظلمة فى المرآة فاذا تراكمت ظلمة الذنوب صارت ريناً كما يصير بخار النفس عند تراكمه على المرآة صدءاً، واذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم بعضه فوق بعض وطال مكثه وغاص فى جرمها وأفسدها فصارت لاتقبل الصيقل أبداً. وقد يعبر عن هذا القلب بالقلب المنكوس والقلب الاسود.

روى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكلينى فى كتاب الكافى عن الامام أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق(ع) أنه قال: «كان أبى يقول «مامن شىء أفسد للقلب من خطيئة، ان القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله»

وروى فى الكتاب المذكور عن الامام أبى جعفر محمد بن على الباقر(ع) أنه قال: «مامن عبد الاوفى قلبه نكتة بيضاء فاذا أذنب خرج من النكتة نكتة سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى فى الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطى البياض، فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير أبداً وهو قول الله عزوجل (كلابل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون).

وقوله(ع) «لم يخرج الى خير أبداً» يدل على أن صاحب هذا القلب لايرجع عن المعاصى ولايتوب منها أبداً ولو قال بلسانه تبت الى الله يكون هذا القول مجرد تحريك اللسان من دون موافقة القلب فلا أثر له أصلاً كما أن قول القصارة غسلت الثوب لايصير الثوب نقياً من الاوساخ، وربما يؤول حال صاحب هذا القلب الى عدم المبالاة بأوامر الشريعة ونواهيها فيسهل أمر الدين فى نظره ويزول وقع

الاحكام الالهية من قلبه وينفر عن قبولها طبعه وينجر ذلك الى اختلال عقيدته وزوال ايمانه فيموت على غير الملة وهو المعبرعنه بسوء الخاتمة. نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا» انتهى .

مراتب التوبة

تنقسم التوبة التى هى بمعنى العودة الى الله ـ الى عدة أقسام تبعاً لأختلاف انواع التائبين:

١ـ العودة من الكفر الى الايمان، ومن الشك والحيرة الى اليقين والاطمئنان، وهكذا الرجوع من أى عقيدة باطلة الى الحق.

٢ـ العودة من المعصية ـ صغيرة أو كبيرة ـ الى الطاعة. ومن المخالفة الى الامتثال والموافقة.

٣ـ العودة من القصور أو التقصير فى معرفة الخالق تعالى و أداء وظائف العبودية بالنحو المناسب والعودة من الغفلة عنه تعالى الى ذكره، والعودة من البعد عنه الى القرب منه، والعودة من الجفاء معه تعالى الى الوفاء.

ويجب أن يعلم أن توبة المعصومين ـ وهم الانبياء والائمة عليهم الصلاة والسلام ـ انما هى من القسم الثالث والرابع ـ

وفى هذا البيان يعلم أن التوبة لازمة على جميع أفراد البشر حتى الصالحين، من حيث أنه حتى الطاهرين وهم فى مقام معرفتهم وعبادتهم يوجد هناك مقام أعلى مماهم فيه يجب أن يصلوا اليه، و مقامهم الفعلى بالنسبة الى ذلك المقام يعتبر ذنباً، وهكذا كل حال من أحوال الذكر، وحد من حدود القرب يوجد فوقه مقام يجب أن يصلوا اليه.

وبالجملة فكل أحد ـ وفى أى حد كان من حدود المعرفة والعبودية

والشكر ـ لم يصل يقيناً الى مايليق برب العالمين، كما قال سيد الكائنات، واشرف الخلائق رسول الله (ص) «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك» .

لذا يجب ان يشعر الانسان دائماً بالخجل والتقصير، ويسعى للوصول الى مقامات أعلى، خصوصاً بعد ممارسة ماهو ضرورى فى عالم الطبيعة، والالتذاذ باللذات المادية المباحة التى لايتيسر فى اثناء الاستغراق فى الذكر .

كيفية التوبة الكاملة ومستحباتها

قلنا فيما سبق أن حقيقة التوبة الحسرة والندم وتألم القلب من الذنب الذى ارتكبه، وكلما كان الغم والندم أكثر كانت التوبة أقرب الى القبول، وهو أمر يتبع الشعور بعظم الذنب، فكلما رأى ذنبه أعظم كان ندمه وحسرته أشد، مثله فى ذلك مثل من اشتعلت النار فى أمواله وأمتعته نتيجة اهماله وتسامحه، فبديهى أنه كلما كانت أمواله المعرضة للاحتراق أكثر كان ندمه على اهماله أكثر خصوصاً اذا كانت النار بنحو يصعب اخمادها، اما اذا تعرض الشخص نفسه للاحتراق بحيث لامفر له ولا منقذ فان حاله معلوم حينئذ .

وهكذا الشخص المذنب فانه يجب أن يعلم بأن النار التى أعدت له لامفر له منها، ولايستطيع أحد اخمادها، لأنها نار سجرها الله لغضبه، يقول أمير المؤمنين (ع) فى (دعاء كميل) «وهذا مالاتقوم له السماوات والارض»، وقد روى عن رسول الله (ص) لو أن رجلاً أخرج من نار جهنم ووضع فى نار الدنيا لاستطاع أن ينام من الراحة .

العذاب الأليم :

وأيضاً لاينبغى للعاصى أن ينظر الى صغر المعصية وانما ينظر

فى عظمة الله الذى عصاه، ويعلم أن عذابه أليم، وغضبه شديد لا تطيقه السماوات والارض.

يقول تعالى فى سورة المزمل «ان لدنيا أنكالاً وجحيماً، وعذاباً ذا غصة وعذاباً أليماً» والايات القرآنية فى بيان شدة العقوبة الالهية عديدة، والخلاصة أن العاصى يجب أن يندم ويخاف كثيراً، ويجب أن يئن ويبكى ولا يقر له قرار مالم يطمئن بأنه قد طهر، ولا يحصل هذا الاطمئنان الا عند الموت حين تبشره ملائكة الرحمة.

والعجيب أن هذا الانين والبكاء. وهذا التحرق والتألم يطفىء النيران، ويمسح الاوساخ. ويضىء ظلمات الذنوب بحيث يصبح حاله كما كان قبل الذنب كما قال رسول الله (ص) «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» بل يصبح أحياناً أفضل مما كان من كثرة احتراق قلبه، وسعيه فى اصلاح حاله حتى يكون محبوباً عند الله، ومن هنا يدعو الامام السجاد «وأوجب لى توبة توجب لى محبتك» الصحيفة السجادية ـ «وانقلنى الى درجة التوبة اليك» ـ دعاء أبى حمزة الثمالى ـ

كثرة الندم ـ توبة الانبياء :

بعد أن عرفت أن حقيقة التوبة هى الندم القلبى، وأثر التوبة فى مسح الذنب يختلف باختلاف الندم زيادة ونقصاناً، يجب أن يسعى المذنب فى زيادة الندم، وأفضل طريق لذلك التدبر فى آيات القرآن المجيد خصوصاً الايات التى تتحدث عن الانبياء السابقين مثل داود، ويونس، وأيوب ـ عليهم السلام ـ مع الالتفات الى أن ذنوبهم عليهم السلام ليست مثل ذنوب الآخرين، بل هى ذنوب بحسب مقامهم كما تقدم الاشارة الى ذلك، وهكذا تذكر قصص بعض التائبين التى سنشير ـ ان شاء ا... ـ الى بعضها فى خاتمة الكتاب.

كمال التوبة ـ الصوم، الغسل، الصلاة :

ويليق بالمذنب بعد حصول حالة التوبة عنده عدة أعمال:

١ـ صيام ثلاثة أيام. يقول الامام الصادق(ع) فى قول الله عزوجل «توبوا الى الله توبة نصوحا» قال(ع) «هو صوم الاربعاء والخميس والجمعة» الوسائل ـ كتاب الجهاد ـ

٢ـ غسل التوبة، كما ذكر ناذلك فى بحث اللهو بآلآت الموسيقى حيث قال الامام الرضا(ع) لمن أراد التوبة من سماع الغناء «قم فاغتسل وصل مابدالك» قال الرسول الاكرم(ص) «انه ليس من عبد عمل ذنباً كائناً ماكان وبالغاً مابلغ ثم تاب الاتاب الله عليه، فقم الساعة واغتسل وخرلله ساجداً» المستدرك ـ كتاب الطهارة .

٣ـ صلاة ركعتين أو أربع ركعات، يقول الامام الصادق(ع) «ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتطهر وصلى ركعتين واستغفر الله الاغفر له وكان حقاً على الله أن يقبله لأنه سبحانه قال: ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» الوسائل ـ جهاد النفس

جاء فى كتاب (الاقبال) فى باب أعمال شهر ذى العقده أن رسول الله(ص) قال لاصحابه: «يا أيها الناس من كان منكم يريد التوبة؟

قلنا : كلنا نريد التوبة يارسول الله، فقال عليه السلام: اغتسلوا وتوضؤوا وصلوا أربع ركعات واقرأوا فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين مرة ثم استغفروا سبعين مرة ثم اختموا بلا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم، ثم قولوا يا عزيز يا غفار اغفرلى ذنوبى وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فانه لايغفر الذنوب الا أنت .

ثم قال(ص) : مامن عبد من أمتى فعل هذا الانودى من السماء يا

عبدالله استأنف العمل فانك مقبول التوبة مغفور الذنب وينادى ملك من تحت العرش أيها العبد بورك عليك وعلى أهلك وذريتك وينادى مناد آخر أيها العبد ترضى خصماؤك يوم القيامة وينادى ملك آخر أيها العبد تموت على الايمان ولا أسلب منك الدين ويفسح فى قبرك وينور فيه.... قلنا: يارسول الله لوأن عبداً يقول فى غير الشهر فقال(ع): مثل ما وصفت وانما علمنى جبرئيل(ع) هذه الكلمات أيام أسرى بى»

الاستغفار ـ تكرار التوبة ـ التهجد بالسحر :

٤ـ الاستغفار وقراءة دعاء التوبة الوارد عن الائمة الطاهرين(ع) خصوصاً أدعية الصحيفة السجادية، بالأخص دعاء (٣١) فى التوبة، وكذلك المناجاة الخمس عشرة، بالأخص مناجاة التائبين وينبغى أن يتوجه الى معانيها عند قرائتها، ويجهد فى أن يكون عمله مطابقاً لقوله .

٥ـ تكرار التوبة والاستغفار .

قال الامام الصادق(ع) «كان(ص) يتوب الى الله ويستغفره فى كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب» الوسائل ـ الجهاد

وقال(ع) «اذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهى يتلألأ» أصول الكافى ـ الاستغفار

وعن الامام الرضا(ع) قوله «مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فيتناثر، والمستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزىء بربه» ـ أصول الكافى ـ

وورد عن الامام الصادق(ع) ان رسول الله(ص) كان لايقوم من مجلس وان خف حتى يستغفر الله عزوجل خمساً وعشرين مرة»

وروى السيد ابن طاووس في كتاب مهج الدعوات عن الرسول الاكرم (ص) أنه قال من أصابه هم أو ضيق أو كرب فليقل ثلاثين ألف مرة (استغفر الله وأتوب اليه) فرج الله عنه ذلك ـ الرواية ليست نصاً ـ يقول الراوي هذا الخبر صحيح ومجرب .

٦ـ اختيار وقت السحر للاستغفار :

رغم أن الاستغفار أمر مطلوب في أي وقت حصلت فيه حالة التوبة والتضرع، الا أن لوقت السحر وهو الثلث الاخير من الليل الى طلوع الفجر أثراً خاصاً في الطهاره من الذنوب، وقد أمر به في أكثر من موضع في القرآن المجيد، كما جاء فيه المدح والثناء للمستغفرين بالاسحار، واعتبر ذلك من صفات المتقين المفلحين .

من ذلك قوله تعالى «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون» وقال تعالى : «والمستغفرين بالاسحار»

يقول أمير المؤمنين (ع) «ان الله عزوجل اذا أراد أن يصيب أهل الارض بعذاب قال: لولا الذين يتحابون بجلالي ويعمرون مساجدي ويستغفرون بالاسحار لأنزلت عذابي» الوسائل ـ جهاد النفس ـ ٩٤

وقال لقمان لأبنه يابني لايكن الديك أكيس منك يقوم في وقت السحر ويستغفر وأنت نائم» المستدرك ـ وصايا لقمان .

والاخبار في فضيلة وقت السحر وأعماله كثيرة .

ويستحب في قنوت صلاة الوتر أن يقول سبعين مرة استغفر الله، وثلاثمائة مرة العفو .

والمقام المحمود الذي منحه الله تعالى لنبيه (ص) والذي هو أمل كل مؤمن انما كان لتهجده (ص) في السحر كما في قوله تعالى «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» السورة

٧ـ الآية ٨١

والخلاصة أن كل من وصل الى مقام من المقامات، ودرجة من الدرجات كانت له عادة الاستيقاظ فى السحر .

القسم الثانى
حكايات موقظة

حيث أن نقل قصص أهل الايمان والتقوى له أثر خاص فى التنبيه والتوعيه بحيث تدفع السامع نحو العمل، ننقل فى هذا المقام عدة قصص عن أهل التوبة، وبعد ذلك قصص أخرى مؤيدة لبعض المطالب المتقدمة فى هذا الكتاب آملين أن يستفيد القارى العزيز منها.

(١)

جاء فى كتاب مصابيح القلوب (للسبزوارى) أنه لما نزلت آية تحريم الخمر أمر رسول الله (ص) أن ينادى المنادى أن لايشرب أحد الخمر، وفى يوم من الايام التقى رسول الله (ص) فى طريقه برجل مسلم يحمل بيده قنينة خمر، فلما رآى رسول الله (ص) اضطرب خوفاً وقال الهى تبت اليك، لاتفضحنى أمام نبيك، ولما اقترب منه رسول الله (ص) سأله عما فى يده فقال: انه خل، فطلب منه رسول الله (ص) أن يصب قليلاً منه فى يده فلما صبه فاذا هو قد انقلب الى خل حقيقة، فبكى الرجل وقال يارسول الله: والله انه ماكان خلاً بل خمراً ولكنى تبت وسألت الله أن لايفضحنى أمامك! فقال (ص) نعم من تاب بدل الله سيئاته الى حسنات «أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» (الرواية ليست نصاً»

(٢)

وفى (أصول الكافى) عن معاوية بن وهب قال :

خرجنا الى مكة ومعنا شيخ متأله متعبد لا يعرف هذا الأمر ـ لم يكن على مذهب الشيعة ـ يتم الصلاة فى الطريق ومعه ابن أخ له مسلم، فمرض الشيخ فقلت لابن أخيه: لو عرضت هذا الامر على عمك لعل الله أن يخلصه، فقال كلهم: دعوا الشيخ حتى يموت على حاله فأنه حسن الهيئة، فلم يصبر ابن أخيه حتى قال له: ياعم ان الناس ارتدوا بعد رسول الله (ص) الا نفراً يسيراً وكان لعلى بن أبى طالب (ع) من الطاعة له، قال: فتنفس الشيخ وشهق وقال: أنا على هذا وخرجت نفسه، فدخلنا على أبى عبدالله (ع) فعرض على بن السرى هذا الكلام على أبى عبدالله (ع) فقال: هو رجل من أهل الجنة، قال له على بن السرى: انه لم يعرف شيئاً من هذا غير ساعته تلك!؟

قال : فتريدون منه ماذا؟ قد دخل والله الجنة»

(٣)

جاء فى بحار الانوار ـ باب الخوف والرجاء ـ أنه كان فى بنى اسرائيل رجل ينبش القبور فمرض جار له فخاف الموت فبعث الى النباش فاحضره، وقال: كيف كان جوارى لك؟ قال: أحسن جوار، قال: فأن لى اليك حاجة؟ فقال: قضيت حاجتك، فأخرج اليه كفنين فقال: أحب أن تأخذ أحبهما اليك، واذا دفنت فلا تنبش قبرى ولا تأخذ كفنى فأمتنع النباش من ذلك وأبى أن يأخذه فقال له الرجل: أحب أن تأخذه، فلم يزل يلح عليه حتى أخذ أحبهما اليه ومات الرجل فلما دفن قال النباش: هذا قد دفن فما علمه بأنى تركت كفنه أو

أخذته لأخذنه، فأتى قبره فنبشه فسمع صائحاً يقول ويصيح به لا تغفل، ففزع النباش من ذلك فتركه وترك ما كان عليه، وقال لولده: أى أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الاب كنت لنا. قال: فأن لى اليكم حاجة قالوا قل ما شئت فانا سنصير اليه ان شاء الله، قال: أحب ان أنا مت أن تأخذونى فتحرقونى بالنار فاذا صرت رماداً فدقونى ثم تعمدوا بى ريحاً عاصفاً فذروانصفى فى البر ونصفى فى البحر، قالوا: نفعل. فلما مات فعل به ولده ما أوصاهم به فلما ذروه قال الله جل جلاله للبر: اجمع مافيك وقال للبحر: اجمع مافيك، فاذا الرجل قائم بين يدى الله جل جلاله فقال الله عزوجل: ماحملك على ماأوصيت بـه ولدك أن يفعلوه بك؟ قال: حملنى على ذلك وعزتك خوفك.

فقال الله جل جلاله: فأنى سأرضى خصومك وقد آمنت خوفك و غفرت لك».

(٤)

جاء فى كتاب الروضة من الكافى عن الامام الصادق (ع) قال: كان عابد فى بنى اسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً فنخر ابليس نخرة فاجتمع اليه جنوده فقال: من لى بفلان؟ فقال بعضهم: أناله، فقال: من أين تأتيه؟ فقال: من ناحية النساء، قال: لست له لم يجرب النساء، فقال له آخر: فأناله، فقال له: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية الشراب واللذات، قال: لست له ليس هذا بشىء. قال آخر: فأناله. قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية البر، قال: انطلق فأنت صاحبه، فانطلق الى موضع الرجل فأقام حذاه يصلى قال: وكان الرجل ينام والشيطان لاينام ويستريح والشيطان لايستريح، فتحول اليه الرجل وقد تقاصرت

اليه نفسه واستصغر عمله، فقال: ياعبدالله بأى شيء قويت على هذه الصلاة؟ فلم يجبه ثم أعاد عليه فلم يجبه ثم أعاد عليه فقال: ياعبدالله انى أذنبت ذنباً وأنا تائب منه فاذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة؟ قال: فأخبرنى بذنبك حتى أعمله وأتوب فاذا فعلته قويت على الصلاة؟ قال: أدخل المدينة فسل عن فلانة البغية فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لى درهمين وماأدرى ماالدرهمين فتناول الشيطان من من تحت قدمه درهمين فناوله اياهما فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية فأرشده الناس وظنوا أنه جاء يعظها فأرشدوه فجاء اليها فرمى اليها بالدرهمين وقال: قومى فقامت فدخلت منزلها وقالت أدخل، وقالت: انك جئتنى فى هيئة ليس يؤتى مثلى فى مثلها فأخبرنى بخبرك فأخبرها فقالت له: ياعبدالله ان ترك الذنب أهون من طلب التوبة وليس كل من طلب التوبة وجدها وانما ينبغى أن يكون هذا شيطاناً مثل لك فانصرف فأنك لاترى شيئاً. فأنصرف وماتت من ليلتها فأصبحت فاذا على بابها مكتوب : احضروا فلانة فأنها من أهل الجنة، فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لم يدفنوها ارتياباً فى أمرها فأوحى الله عزوجل الى نبى من الانبياء لاأعلمه الاموسى بن عمران(ع) أن أئت فلانة فصل عليها ومر الناس أن يصلوا عليها فأنى قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدى فلاناً عن معصيتى»

(٥)

جاء فى تفسير الصافى ـ سورة آل عمران ـ أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله(ص) باكياً، فسلم فرد عليه، ثم قال: مايبكيك يامعاذ فقال: يا رسول الله ان بالباب شاباً طرى الجسد، نقى اللون، حسن

الصورة يبكى على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك فقال النبى(ص): أدخل على الشاب يامعاذ، فأدخله عليه فسلم عليه فرد(ص) ثم قال: ما يبكيك ياشاب؟ قال: كيف لاأبكى وقد ركبت ذنوباً ان أخذنى الله عزوجل ببعضها أدخلنى نار جهنم، ولا أرانى الاسيأخذنى بها ولا يغفرلى أبداً!!

فقال رسول‌الله(ص): هل أشركت بالله شيئاً؟

قال: أعوذ بالله أن أشرك بربى شيئاً!

قال: أقتلت النفس التى حرم‌الله؟

قال: لا

فقال النبى(ص): يغفر الله ذنوبك وان كانت مثل الجبال الرواسى، قال الشاب: فأنها أعظم من الجبال الرواسى.

فقال النبى(ص): يغفرالله لك ذنوبك وان كانت مثل الارضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق.

قال: فأنها أعظم‌من‌الارضين السبع‌وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

فقال النبى(ص): يغفر الله لك‌ذنوبك وان كانت‌مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسى.

قال: فأنها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبى(ص) كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك ياشاب ذنوبك أعظم أم ربك؟ فخر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان‌الله ربى ماشىء أعظم من ربى، ربى أعظم يانبى‌الله من كل عظيم،

فقال النبى(ص): فهل يغفر الذنب العظيم الاالرب العظيم؟

قال‌الشاب: لاوالله يارسول‌الله، ثم‌سكت‌الشاب فقال‌النبى(ص) ويحك ياشاب ألاتخبرنى بذنب واحد من ذنوبك؟

قال: بلى أخبرك أنى كنت أنبش القبور سبع سنين أخرج الأموات وأنزع الاكفان فماتت جارية من بعض نبات الانصار، فلما حملت الى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجن عليهم الليل أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها ونزعت ماكان عليها من أكفانها، وتركتها متجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً، فأتانى الشيطان فأقبل يزينها الى ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيها فلم يزل يقول لى هذا حتى رجعت اليها ولم أملك نفسى حتى جامعتها وتركتها مكانها فاذا أنا بصوت من ورائى يقول: ياشاب ويل لك من ديان يوم الدين، يوم يقفنى واياك كما تركتنى عريانة فى عساكر الموتى ونزعتنى من حفرتى، وسلبتنى أكفانى وتركتنى أقوم جنبة الى حسابى، فويل لشبابك من النار، فما أظن أنى أشم ريح الجنة أبداً فما ترالى يا رسول الله؟

فقال النبى (ص) : تنح عنى يا فاسق انى أخاف أن أحترق بنارك فما أقربك من النار ثم لم يزل (ص) يقول ويشير اليه حتى أمعن من بين يديه، فذهب فأتى المدينة فتزود منها ثم أتى بعض جبالها فتعبد فيها ولبس مسحاً وغل يديه جميعاً الى عنقه ونادى يارب هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول، يارب أنت الذى تعرفنى، وأزل منى ماتعلم سيدى، يارب انى أصحبت من النادمين وأتيت نبيك تائباً فطردنى وزادنى خوفاً فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لاتخيب رجائى، سيدى ولاتبطل دعائى ولاتؤيسنى من رحمتك ، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة تبكى له السباع والوحوش ، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه الى السماء، وقال: اللهم مافعلت فى حاجتى؟ ان كنت استجبت دعائى، وغفرت خطيئتى فأوح الى نبيك، وان لم تستجب لى دعائى ولم تغفر لى خطيئتى وأردت

عقوبتى فعجل بنار تحرقنى أو عقوبة فى الدنيا تهلكنى، وخلصنى من فضيحة يوم القيامة، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه (ص) «والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله» يقول عزوجل: أتاك عبدى يامحمد تائباً فطردته فاين يذهب، والى من يقصد ومن يسأل أن يغفرله ذنباً غيرى ثم قال عزوجل «ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون، اولئك جزائهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» فلما نزلت هذه الأية على رسول الله (ص) خرج وهو يتلوها ويتبسم فقال لأصحابه: من يدلنى على ذلك الشاب التائب فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه فى موضع كذا وكذا فمضى رسول الله (ص) باصحابه حتى انتهوا الى ذلك الجبل فصعدوا اليه يطلبون الشاب فاذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه الى عنقه، وقد اسود وجهه وتساقطت اشفار عينه من البكاء وهو يقول: سيدى قد أحسنت خلقى وأحسنت صورتى، فليت شعرى ماذا تريد بى أفى النار تحرقنى أو فى جوارك تسكننى، اللهم انك قد أكثرت الاحسان الى وأنعمت على، فليت شعرى ماذا يكون آخر أمرى الى الجنة تزفنى أم الى النار تسوقنى؟ اللهم ان خطيئتى أعظم من السماوات والارض، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعرى تغفر خطيئتى أم تفضحنى بها يوم القيامة؟ فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكى ويحثو التراب على رأسه، وقد أحاطت به السباع، وصفت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله (ص) فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول أبشر فأنك عتيق الله من النار.

ثم قال لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول،

ثم تلا عليه ماأنزل الله عزوجل فيه وبشره بالجنة»

(٦)

جاء فى المجلد الاول من سفينة البحار صفحة ١٢٧ فى قوله تعالى «وآخرون اعترفوا بذنوبهم» أنها نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر وكان رسول‌الله(ص) حاصر بنى قريضة فقالوا له ابعث‌لنا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا فقال رسول‌الله(ص) يا أبا لبابه ائت حلفائك ومواليك فأتاهم فقالوا له يا أبا لبابه ماترى أننزل على‌حكم رسول‌الله(ص)؟ فقال: انزلوا واعلموا أن حكمه فيكم‌هوالذبح وأشار الى حلقه، ثم ندم على ذلك فقال: خنت‌الله ورسوله ونزل من‌حصنهم ولم يرجع الى رسول‌الله(ص) ومر الى المسجد وشد فى عنقه حبلاً ثم شده الى الاسطوانة التى كانت تسمى اسطوانة التوبة فقال لاأحله حتى أموت أو يتوب الله على. فبلغ رسول‌الله(ص) فقال أما لوأتانا لاستغفرنا الله له فأما اذا قصد الى ربه فالله أولى به وكان أبولبابه يصوم النهار ويأكل بالليل مايمسك‌به نفسه،وكان بنته‌تأتيه بعشائه وتحله عند قضاء الحاجة فلما كان بعد ذلك ورسول‌الله(ص) فى بيت أم سلمة نزلت توبته فقال ياأم سلمة قد تاب الله على أبى لبابه. فقالت: يا رسول‌الله أفأوذنه بذلك؟ فقال فافعلى، فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت ياأبا لبابه قد تاب الله عليك فقال الحمدلله فوثب المسلمون يحلونه فقال لاوالله حتى يحلنى رسول‌الله(ص) بيده‌فجائه رسول‌الله(ص) فقال: يا أبا لبابه قد تاب‌الله عليك توبة لو ولدت‌من أمك هذا لكفاك فقال: يا رسول‌الله فأتصدق بمالى كله؟ قال: لا،قال فبثلثيه؟ قال: لا، قال: فبنصفه؟ قال: لا، قال، فبثلثه؟ قال: نعم.

فأنزل الله عزوجل «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم. خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليهم، ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم» سورة التوبة .

هاتان القصتان تعلمنا أن التائب أولا: يجب أن يدرك عظمة ذنبه، ويزداد خجلاً، ويعرف أن رحمة الله ومغفرته هى نعمة كبيرة ويكون جدياً فى طلبها، ويعرف أنه لايستغنى عنها، وثانياً: أن لايطمئن الى قبول توبته، ولايكف عن التضرع وطلب المغفرة، وغالباً لايحصل مثل هذا الاطمئنان الاساعة الموت .

والخلاصة: يجب أن يبقى فى تحرق وتألم بين حالة الخوف والرجاء الى حين يسمع نداء الملك ساعة الموت أن لاتخف ولاتحزن و«أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون»

(٧)

روى فخر المحققين السيد محمد أشرف سبط سيد الحكماء ميرداماد فى كتاب (فضائل السادات) نقلاً عن الشهيد الثانى أنه قال :

«وجدت فى كتاب المدهش لأبى الفرج الاصفهانى قال بعض الصالحين دخلت الى مصر فوجدت بها حداداً يخرج الحديد من النار بيده ويقلبه على السندان ولايجد لذلك ألماً فقلت فى نفسى هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار فقلت ياسيدى بالذى من عليك بهذه الكرامة الامادعوت لى: قال: فبكى وقال والله ياأخى ماأنا كما ظننت! فقلت: ياأخى ان هذا الذى فعلته ان رأيت أن تطرفنى به فأفعل فقال: نعم،

كنت يوماً من الايام جالساً فى هذا الدكان وكنت كثير التخليط اذ وقفت على امرأة جميلة الصورة لم أر قط أحسن منها وجها فقالت ياأخى هل عندك شىءلله عزوجل؟ فلما نظرت اليها فتنت بها وقلت لها: هل لك أن تمضى معى الى البيت وأرفع لك ما يكفيك زماناً طويلاً فقالت : لست والله من يفعل هذا، فقلت : فأذهبى عنى، قال: فذهبت وغابت عنى طويلاً ثم رجعت وقالت قد أحوجتنى الضرورة الى ماأردت، قال: فقفلت الدكان ومضيت بها الى البيت، قال: فقالت لى ياهذا ان لى اطفالاً قد تركتهم على فاقة فان رأيت أن تعطينى شيئاً أذهب به اليهم وأرجع اليك فأفعل، فأخذت عليها العهود والمواثيق ثم دفعت اليها دراهم فمضت وغابت ساعة ثم رجعت فدخلت الى البيت وأغلقت الباب وسكرته، فقالت: لم فعلت هذا؟ فقلت: خوفاً من الناس، فقالت : ولم لاتخاف من رب الناس؟ فقلت انه غفور رحيم، ثم تقدمت اليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة فى يوم ريح عاصف ودموعها تنحدر على خديها فقلت: مم اضطرابك؟ قالت: يا هذا خوفاً من الله عزوجل، ثم قالت ياهذا ان تركتنى لله تعالى ضمنت لك ان الله لايعذبك بناره لافى الدنيا ولا فى الآخرة قال: فقمت ودفعت اليها جميع ماكان عندى وقلت: ياهذه اذهبى لسبيلك قد تركتك خوفاً من الله عزوجل قال: فلما فارقتنى غلبتنى عيناى فرأيت امرأة لم أر أحسن منها وجهاً وعلى رأسها تاج من الياقوت فقالت يا هذا جزاك الله عناخيرا فقلت لها: ومن أنت؟ قالت: أم الصبية التى أتتك وتركتها خوفاً من الله عزوجل، لاأحرقك الله بالنار لافى الدنيا ولافى الآخرة، فقلت ومن هى يرحمك الله فقالت هى من نسل رسول الله (ص) قال: فحمدت الله عزوجل اذ وفقنى وعصمنى ثم ذكرت قوله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»

ثم أفقت من ذلك الوقت لم تعد على النار فى دار الدنيا وأرجو أن لا تعدو على فى الآخرة» الفضائل / ٢٤١

(٨)

وجاء أيضاً فى الكتاب المذكور أن اسحاق بن ابراهيم الطاهرى رأى رسول الله (ص) فى المنام يقول له: أطلق سراح القاتل.

يقول اسحاق: انتبهت من النوم مرعوباً، واستدعيت الشرطة وقلت لهم من هو هذا القاتل وأين هو؟ قالوا: انه رجل أقر على نفسه بالقتل وهو حاضر عندنا، فأحضروه، فقال له اسحاق: لئن صدقت أطلقتك فقال: كنت أنا وجماعة من أهل الفساد لم نترك حراماً الا وارتكبناه، وارتكبنا كل عمل قبيح، وكان لدنيا امرأة عجوز تجلب لنا الفتيات، وفى يوم من الايام دخلت علينا تلك العجوز ومعها فتاة فى غاية الجمال، فلما رأتنا تلك الفتاة وعرفت الأمر صاحت وسقطت مغشياً عليها، ولما أفاقت صاحت الله الله، اتقوا الله واتركونى، لقد خدعتنى هذه العجوز وقالت لى ان فى هذا المكان مشاهد جميلة و شوقتنى اليها وجرتنى الى هذا المكان، اتقوا الله، فانا علوية من نسل الزهراء عليها السلام.

يقول القاتل: لم يعتن رفقائى بكلامها وهجموا على الفتاة، فأخذتنى الغيرة لحرمة رسول الله (ص) فمانعتهم حتى أصبت بعدة جراحات منهم كما ترانى الآن، الى أن ضربت كبيرهم ضربة قوية فقتلته وأنقذت الفتاة سالمة وصرفتها فدعت لى الفتاة وقالت: ستر الله عيوبك كما سترت على، وأعانك الله كما أعنتنى، وفى هذا الحال وبعد سماع الصراخ والصيحات دخل الجيران الى الدار

بينما كان الخنجر بيدى يقطر دماً، والمقتول أمامى ملطخاً بالدم، فأخذونى وأحضرونى هنا .

فقال له اسحاق: لقد عفوت عنك لله ورسوله، فقال الرجل: وأنا أيضاً أتوب من جميع ذنوبى، ولا أعود الى معصية بحق من عفوت به عنى.

* * *

ترى فى هذه القصة كيف أن ذلك القاتل رغم جميع آثامه صار مورداً للطف الله ورسوله حتى نجى من القتل و وفق للتوبة من جميع ذنوبه وذلك بسبب تركه للحرام ومنعه منه ومعونته للمظلوم .

(٩)

نقل الحاج الشيخ عباس القمى فى كتاب (منازل الآخرة) أن رجلاً اسمه (ابن صمد) كان يحاسب نفسه فى معظم أوقات الليل والنهار، وفى مرة حسب مامضى من أيام عمره فرأى أن ستين عاماً قد مضى من عمره، وحسب تلك السنين فاذا هى واحد وعشرين ألف وخمسمائة يوم، فقال: الويل لى ان كنت قد ارتكبت فى كل يوم ذنباً واحداً لا أاكثر فسوف ألقى الله بأحد وعشرين ألف وخمسمائة ذنب، قال ذلك و سقط مغمى عليه ثم مات فى هذا الحال .

روى أن رسول الله (ص) نزل بأرض قرعاء ـ أى لانبات فيها ـ فقال لأصحابه: ائتوا بحطب فقالوا: يارسول الله نحن بأرض قرعاء مابها من حطب قال: فليأت كل انسان بما قدر عليه فجاؤوا به حتى رموه بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله (ص): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: اياكم والمحقرات من الذنوب، فأن لكل شىء طالباً، ألا وان طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى امام

مبين» أصول الكافى .

(١٠)

نقل الفاضل النراقى فى معراج السعادة أنه كان فى البصرة أمرأة يقال لها (شعوانة) لايخلو منها مجلس من مجالس الفسق و الفجور، فى يوم من الايام مرت مع جمع من اماءها فى زقاق من أزقة البصرة فوصلت الى بيت يعلو منه الصراخ والضجيج، فقالت سبحان الله، ماأعجب هذا الصراخ والغوغاء، وأرسلت واحدة من اماءها لتعرف حقيقة الحال، ذهبت تلك الامة ولم ترجع، فأرسلت الثانية بعدها فذهبت ولم ترجع أيضاً، فأرسلت الثالثة وأوصتها أن تعود بسرعة، فلما ذهبت وعادت قالت: سيدتى ليس هذا مجلس للبكاء على ميت، بل هو مأتم للعاصين ذوى الصحائف السود، فلما سمعت ذلك (شعوانة) قالت: آه، لأذهب وأرى الخبر بنفسي، فلما ذهبت رأت واعظاً يعظ مجموعة من الناس التفوا حوله، يخوفهم من عذاب الله وهم مشغولون بالبكاء والأنين، وحين دخلت شعوانه كان الواعظ مشغولاً بتفسير قوله تعالى «اذا رأتهم من مكان بعيدسمعوا لها تغيظاً وزفيرا، واذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً، لاتدعو اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً» فلما سمعت (شعوانه) هذه الآية أثرت فيها وقالت: ياشيخ أنا واحدة من ذوى الوجوه السود ـ يعنى المذنبين ـ اذا تبت هل يتوب الله على؟ فقال الواعظ: نعم، اذا تبت يتوب الله عليك، حتى اذا كانت ذنوبك مثل ذنوب شعوانة، فقالت: ياشيخ أناشعوانة، لاأعودالى ذنب بعد اليوم، فقال الواعظ: الله أرحم الراحمين، اذا تبت تاب الله عليك، فتابت

شعوانة، وأعتقت عبيدها واماءها، واشتغلت بالعبادة وقضاء ما فات منها حتى ضعف بدنها ووصلت غاية العجز، فى يوم ما نظرت الى بدنها وقد ضعف كثيراً وصار نحيفاً فقالت: آه .. آه لقد صرت بهذا الحال فى الدنيا، ولاأدرى كيف يكون حالى فى الآخرة!؟فسمعت هاتفاً يهتف ويقول: ليطمئن بالك، كونى ملازمة لذكرى حتى أريك جزائك يوم القيامة .

نيامد در اين در كسى عذرخواه
كه سيل ندامت نشستن گناه
(انتهى)

انتهيت بحمدالله من ترجمة هـذا الكتاب وأنا أرجو الله أن يعصمنى ويعصم أخوانى من الذنوب، وأن ينفعنابه ويتوب عنا، و يغفر لنا ماسلف من معاصينا، وأن لايحرمنى ثواب جهدى فى هذا الكتاب ويحشرنى مع مؤلفه ويقر عينى بشفاعته وشفاعة أجداده الطاهرين عليهم السلام يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

المذنب الفقير
صدرالدين القبانچى

فهرست مباحث الكتاب

الموضوع	الصفحه
٢٦ـ حبس الحقوق	**٣ ـ ٢٠**
المطالبة بالحقوق يوم الحشر	٤
موارد حبس الحقوق	٥
يجب دفع الدين	٦
حكم الاقراض والاقتراض	١٠
ثواب اعطاء القرض وعقاب تركه	١٠
يجب امهال المدين العاجز	١٢
يعطى للدائن من الحسنات	١٤
التعجيل فى أداء الدين مستحب	١٧
دفع حق الناس	١٨
٢٧ـ الفرار من الزحف	**٢١ ـ ٢٣**
٢٨ـ التعرب بعد الهجرة	**٢٤ ـ ٣٤**
ماهو التعرب بعد الهجرة	٢٤
التعرب بعد الرسول الاكرم(ص)	٢٦
يجب الهجرة الى الفقيه	٢٧
الهجرة واجبة ومستحبة ومباحة	٢٨
موارد التعرب بعد الهجرة	٣١
اهمال العلوم الدينية	٣٤
٢٩ـ معونة الظالمين	**٣٥ ـ ٥٩**
أقسام الظالمين	٣٨

الموضوع	الصفحه
١ـ معونة الظالم فى ظلمه	٣٨
معونة الظالم وأخبار أهل البيت	٣٩
مدح الظالم حرام أيضاً	٤١
موارد جواز قبول الولاية	٤٣
٢ـ معونة الظالم فى غير الظلم	٤٧
٣ـ معونة من لايكون الظلم مهنة له فى غير الظلم	٥٣
٤ـ يجب أن لايعين على الاثم أيضاً	٥٤
المعونة فى الأثم على قسمين	٥٤
٣٠ـ عدم نصرة المظلومين	**٦٠ ـ ٧٣**
الاعانة لاتنحصر بالمستغيث	٦٣
نصرة المظلومين لاتختص بالمؤمن	٦٤
آثار نصرة المؤمن	٦٦
٣١ـ السحر	**٧٤ ـ ٩٥**
السحر وروايات أهل البيت(ع)	٧٦
حد السحر القتل	٧٧
حقيقة السحر وأقسامه وملحقاته	٧٧
١ـ السحر	٧٨
بحث فلسفى	٧٨
بحث علمى	٨١
٢ـ الكهانة	٨٢
قذارة السحر والكهانة	٨٤
٣ـ الشعبذة	٨٦
٤ـ التسخير	٨٧

الموضوع	الصفحه
٥ـ القيافة	٨٧
٦ـ التنجيم	٨٨
السحر والمعجزة أمران	٩٢
علاج السحر	٩٥
٣٢ـ الاسراف	**٩٦ ـ ١١٦**
معنى الاسراف وأنواعه	٩٨
الاسراف يختلف باختلاف الاشخاص	١٠٠
أبوذر لايخدع	١٠١
الاسراف يختلف باختلاف الأزمان	١٠٥
الاسراف الحرام دائماً	١٠٦
هل يوجد فى الخير اسراف	١٠٨
الاسراف فى العقائد والاعمال	١١٥
٣٣ـ الكبر	**١١٧ ـ ١٥٤**
الكبر والتكبر وأقسامه	١٢٠
١ـ الكبر على الله	١٢٠
ترك الدعاء	١٢٢
التكبر على حرمات الله	١٢٣
٢ـ الكبر على الرسول(ص) والامام(ع)	١٢٤
التكبر على العالم تكبر على الرسول	١٢٥
٣ـ الكبر على عبادالله	١٢٦
الكبر على الناس فى القرآن المجيد	١٢٨
علامات الكبر	١٣١
علاج مرض الكبر	١٣٢

الموضوع	الصفحه
١ـ العلاج العلمى	١٣٢
٢ـ العلاج العملى	١٤٢
فضل التواضع	١٤٢
معنى التواضع وأقسامه	١٤٤
١ـ التواضع مع الله	١٤٤
٢ـ التواضع مع الرسول والامام(ع)	١٤٦
٣ـ التواضع مع الناس	١٤٦
التكبر لايجتمع مع العبوديةلله	١٤٩
التواضع يختلف باختلاف الازمان	١٥٢
علامات التواضع	١٥٣
٣٤ـ محاربة المسلمين	**١٥٥ ـ ١٦٢**
من هو المحارب؟	١٥٦
روايات فى كيفية اجراء الحد	١٦٠
الدفاع ومقاومة السارق	١٦١
٣٥ـ أكل الميتة والدم ولحم والخنزير	**١٦٣ ـ ١٨٢**
١ـ الميتة	١٦٣
التذكية بالصيد	١٦٧
حديث حول أكل اللحوم	١٦٨
التذكية بالذبح الشرعى	١٧٥
لماذا تحرم الميتة	١٧٨
٢ـ الدم	١٨٠
سبب حرمة الدم	١٨١
٣ـ الخنزير	١٨١

الموضوع	الصفحه
٣٦ـ ترك الصلاة عمداً	**١٨٣ ـ ٢٠٢**
مغالطة بعض السخفاء	١٨٥
خمس عشرة أثر لترك الصلاة	١٨٧
معونة تارك الصلاة	١٨٩
أقسام ترك الصلاة	١٩٠
شرائط اخرى لقبول الصلاة	١٩٤
ماذا يعنى حضور القلب	١٩٦
الصلاة الواجبة	١٩٨
٣٧ـ عدم دفع الزكاة	**٢٠٢ ـ ٢٢٤**
مانع الزكاة كافر	٢٠٥
سبب وجوب الزكاة	٢٠٦
الزكاة والصدقة تضاعف المال	٢٠٨
أقسام الزكاة وموارد وجوبها	٢١٢
زكاة الفطرة	٢١٤
مصرف الزكاة	٢١٥
الزكاة المستحبة	٢١٥
سائر النفقات الواجبة	٢١٦
موارد وجوب الخمس ومصرفه	٢١٨
النفقات المستحبة	٢٢٠
٣٨ـ الاستخفاف بالحج	**٢٢٥ ـ ٢٣٨**
تأخير الحج	٢٥٥
الآيات التى فسرت بتارك الحج	٢٢٧
الآثار الدنيوية لترك الحج	٢٢٧

الموضوع	الصفحه
فضيلة الحج	٢٢٩
شرائط وجوب الحج	٢٣٢
أسرار وجوب الحج	٢٣٤
٣٩ـ ترك أحد الواجبات	**٢٣٩ ـ ٢٥٦**
ماهى الواجبات؟	٢٤٠
صيام شهر رمضان	٢٤١
الجهاد فى سبيل الله	٢٤٢
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر	٢٤٤
شرائط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	٢٤٨
مراتب النهى عن المنكر	٢٥٠
الولاية والبراءة	٢٥٣
انكار حق أهل البيت	٢٥٥
٤٠ـ الاصرار على الذنوب	**٢٥٧ ـ ٢٦٦**
ماهو الأصرار على الذنب ؟	٢٥٩
مايلحق بالأصرار	٢٥٩
١ـ استصغار الذنب	٢٦١
٢ـ السرور بالذنب	٢٦٢
٣ـ المجاهرة بالذنب	٢٦٣
٤ـ الذنب والموقع الاجتماعى للشخص	٢٦٤
تعيين الأصرار أمر عرفى	٢٦٦
الحيف فى الوصية	**٢٦٨ ـ ٢٧٠**

* * *

الباب الثانى
الكبائر غير المنصوصه
الفصل الاول : ماورد الوعيد عليه بالعذاب

الموضوع	الصفحه
١ـ الغيبة	**٢٧٨ ـ ٢٩١**
الغيبة وروايات أهل البيت	٢٧٩
معنى الغيبة وموارده	٢٨٢
أنواع الغيبة	٢٨٣
كفارة الغيبة والتوبة منها	٢٨٥
موارد جواز الغيبة	٢٨٦
استماع الغيبة حرام	٢٨٩
ذواللسانين وذو الوجهين	٢٩١
٢ـ النميمة	**٢٩٢ ـ ٢٩٦**
معنى النميمة	٢٩٤
٣ـ هتك حرمة المؤمن	**٢٩٧ ـ ٣١٣**
١ـ الاستهزاء والسخرية	٢٩٨
٢ـ السب والطعن	٣٠١
٣ـ اذلال المؤمن واحتقاره	٣٠٥
٤ـ تعنيف المؤمن وذمه	٣٠٦
٥ـ هجاء المؤمن	٣٠٨
٦ـ ايذاء المؤمن	٣٠٩
ايذاء الجار	٣٠٩
حقوق الجار	٣١١

الموضوع	الصفحه

ايذاء الزوج	٣١٢
ايذاء الفقير	٣١٢
٤ـ المكر والخديعة	**٣١٤ ـ ٣٢١**
معنى المكر والغدر والخدعة	٣١٥
١ـ مخادعة الله	٣١٥
ادعاء المقامات الدينية	٣١٦
مخادعة أئمة الدين	٣١٦
٢ـ مخادعة عبادالله	٣١٦
ذو الوجهين واللسانين	٣١٨
من هو ذو الوجهين واللسانين	٣١٩
الغش أيضاً مخادعة مع الناس	٣٢٠
البيع بغلاء مخادعة أيضاً	٣٢١
٥ـ الأحتكار	**٣٢٢**
٦ـ الحسد	**٣٢٤ ـ ٣٣٠**
الحسد يأكل الايمان	٣٢٤
الحسد أساس الكفر	٣٢٥
الطريق العلمى والعملى لدفع الحسد	٣٢٧
الغبطة ليست حراماً	٣٢٩
٧ـ معاداة المؤمن	**٣٣١**
٨ـ المساحقة	**٣٣٣**
حد السحق	٣٣٤
٩ـ القيادة والدياثة	**٣٣٥**
القيادة	٣٣٥

الموضوع	الصفحه
حد القيادة	٣٣٦
الدياثة	٣٣٦
١٠ـ الأستمناء	**٣٣٨**
١١ـ البدعة	**٣٤٠**
ماهى البدعة ؟	٣٤١
أقسام البدعة	٣٤٢
كلام المجلسى	٣٤٣
١٢ـ الحكم بغير حق	**٣٤٥**
١٣ ـ ١٤ القتال فى الأشهر الحرم والصد عن سبيل الله	**٣٤٧**
١٥ـ كفران النعمة	**٣٥٠ ـ ٣٥٩**
كفر النعمة من أقسام الكفر	٣٥١
كفران النعمة واخبار أهل البيت(ع)	٣٥٢
معنى كفران النعمة	٣٥٢
كفران الوسائط	٣٥٤
كيفية شكر الواسطة	٣٥٥
الولاية أكبر النعم	٣٥٦
كفران وجود العلماء	٣٥٧

* * *

الفصل الثانى ـ ماهو أعظم من احدى الكبائر المنصوصة

الموضوع	الصفحه
١ـ الفتنة	**٣٦٣ ـ ٣٧١**
معنى الفتنة	٣٦٥
١ـ الفتنة فى الامور الدينية	٣٦٥
البدعة والتجسس	٣٦٨
افشاء اسرار الشيعة	٣٦٨
ايجاد الفرقة	٣٦٩
اثم الفتنة أكبر من القتل	٣٦٩
٢ـ الفتنة فى الامور الدنيوية	٣٧٠
٢ـ بيع الاسلحة للكفار	٣٧٢
٣ـ البهتان	**٣٧٤ ـ ٣٨٢**
أنواع البهتان	٣٧٧
١ـ البهتان على الله	٣٧٧
٢ـ البهتان على الرسول والامام	٣٧٧
٣ـ البهتان على الناس	٣٧٨
العلاج ينحصر بتحصيل الايمان	٣٧٩
سوء الظن	٣٧٩

الفصل الثالث ـ فيما كان عظيماً فى أنفس أهل الشرع

الموضوع	الصفحه
١ـ هتك القرآن	**٣٨٥**
٢ـ هتك الكعبة	**٣٩٠**
٣ـ هتك المساجد	**٣٩٥**
٤ـ هتك المشاهد المشرفة	**٣٩٩**
٥ـ هتك التربة الحسينية	**٤٠٢**
* * *	
سؤال وجواب	٤٠٩
فهرست الكبائر القطعية	٤١١
فهرست الكبائر الاحتمالية	٤١٢
* * *	
خاتمة	
القسم الاول : التوبة	**٤١٧ ـ ٤٣٨**
١ـ حقيقة التوبة	٤١٩
٢ـ فضيلة التوبة	٤٢٤
٣ـ التوبة واجب فورى	٤٢٩
٤ـ مراتب التوبة	٤٣٢
كيفية التوبة الكاملة ومستحباتها	٤٣٣
القسم الثانى : حكايات موقظة	**٤٣٩ ـ ٤٥٢**

اعلان

بسم ا... الرحمن الرحيم

نعلى للقراء الكرام بأنه قد تم ترجمة الكتب التاليـة لشهيـد المحراب السيد دستغيب :

١ـ التوحيد
٢ـ النبوة
٣ـ الامامة
٤ـ الاخلاق الاسلامية
٥ـ النفس المطمئنة
٦ـ المهدى الموعود
٧ـ الاستعاذة
٨ـ المعاد

ترجمها فضيلة السيد أحمد القبانچى .
وسوف تصدر قريباً ان شاء الله تعالى .

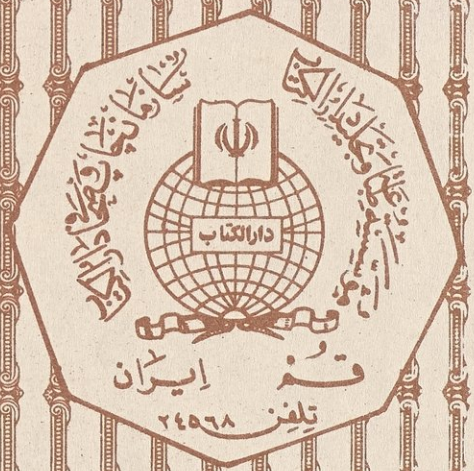
دارالکتاب
قم
ایران
تلفن ۲۴۵۶۸

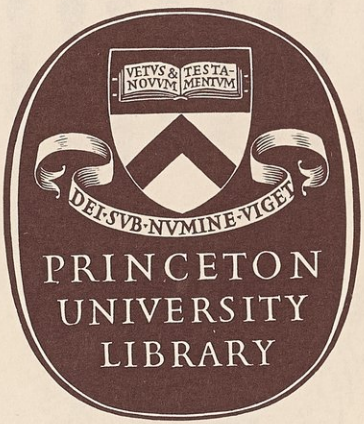
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 063449845